

فاضل الربيعي

مصر الأخرى

إسرائيل المُتخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

مصر الأخرى

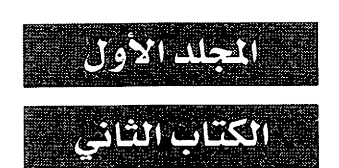
إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة

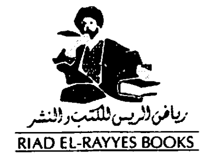


فاضل الربيعي

مصر الأخرى

إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة





Other Egypt

The Imagined Israel: A Contribution to Correcting the History of the Archaic Kingdom of Israel

By: Fadhil Al Rubaiee

First Published in October 2017

BEIRUT – LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb
www.elrayyesbooks.com

ISBN: 978-9953-661-4

الطبعة الأولى: تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠١٧

الإخراج الفني: علي كمال الدين

المحتويات

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان التّام، للمساعدة الثمينة التي تلقيتها من صديقي الباحث (المهندس) الفلسطيني الأستاذ **صفوت صافي**. لقد عمل معي صفوت كمساعدَ باحث نشيط طوال مرحلة إعداد هذين المجلدين للنشر، وبذل مجهوداً كبيراً دون كلل أو تردد، باحثاً عن أفضل المصادر للحصول على النقوش الآشورية والمسندية. وأود أيضاً أن أشكر السيدة **لينا أبوبكر**، الشاعرة والصحفية الفلسطينية المقيمة في لندن، **وصديقي الكاتب الفلسطيني اللامع مجدي ممدوح** المقيم في عمان، لمساعدتهما الثمينة في ترجمة بعض النقوش عن الإنكليزية، والشكر موصول لكل من تلقيتُ منهم المساعدة في إتمام هذين المجلدين.



خلاصة تنفيذية

هذا هو الكتاب الثاني من المجلد الأول **(إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة)** وهو يطرح حلولاً جديدة لمشكلة (مصر) في التوراة. وينطلق من الفكرة الآتية:

أن التوراة لم تذكر اسم مصر، قطّ. وأن الاسم الوارد في التوراة بصيغة مصريم מצרים لا يقصد به مصر البلد العربي والإقليم الجغرافي المعروف اليوم، ولو كان محرِّر النصوص العبرية قد قصد مصر لرسمه في صورة מצר، وهذا ما سأبرهن عليه بالتفصيل. كذلك لم يحدث في التاريخ قطّ، أن وقعت معارك بين **المصريين والآشوريين في رفح الفلسطينية**، ولم يحدث أن اشتبكوا **فوق أي بقعة أخرى من أرض فلسطين. ورمسيس الثاني** لم يهاجم **قدس** (التي يُزعَم أنها دُعيت في التوراة باسم **قادش**). وكل ما يُقال عن وجود مسرح **فلسطيني** لحروب **مصرية آشورية**، هو من قبيل التلاعب بالحقيقة التاريخية الذي قام به علماء آثار ومؤرخون من التيار التوراتي، وضاعفت من نتائجه المدمّرة، قراءة استشراقية لنصوص التوراة

قابلة للسجال والنقد. لكن هذا كلهُ، لا يعني بأيّ صورةٍ من الصور، نفياً لوجود صراع **آشوري مصري**، أو أنهم لم يخوضوا هذا الصراع بقوة السلاح. لكن الأمر المؤكد، أننا لا نملك أي سجلات تاريخية عن هذا الصراع المزعوم. قد تكون هذه الحروب والمعارك، وقعت بالفعل، ولكن في مكان وميدان آخر.

ما تقوله نظرية هذا الكتاب أيضاً أن **الملكة حتشبسوت** (١٤٩٠–١٤٦٨ق.م من الأسرة الثامنة عشرة)، التي تركت في معبدها بالدير البحري بطيبة الغربية، رسوماً تمثّل بعثةً بحرية أوفدتها إلى **بلاد بونت** *Pont* للحصول على البخور للمعابد المصرية، لم ترسل هذه البعثة إلى مكان وهمي أو لا وجود له، بل أرسلتها إلى مكان معلوم هو **بلاد البون**، وهي قلب **اليمن القديم وأرض البخور**، ويُرسم اسمها في النقوش اليمنية في صورة **(البونت)** وتعرف منذ القدم **بالبون الأعلى والبون الأسفل، وهما بونان عظيمان** اشتهرا بأشجار البخور ضمن منطقة **عمران**. وهذا الإقليم القديم يتشكل من مجموعة أودية وسهول خصبة تعرف **بقاع البون**، وتقدَّر مساحته الإجمالية بـ ٦٠٦ كيلومترات تقريباً، ويمتد من جنوب **عمران** إلى شمالها. وهذه المساحة الهائلة تفسّر لنا على أكمل وجه، الوصف القديم **للبون (بلاد البونت** بإلحاق التاء الأخيرة اللاصقة، وهذا تقليد يمني قديم). **فمَنْ الذي حوّل هذا المكان المعلوم إلى مكان مجهول أو وهمي؟ ولماذا لم يعثر أحد على** هذا المكان في **الصومال أو موريتانيا أو الحبشة** على ما زعم الاستشراقيون والتوراتيون، بينما لا يزال الخلاف بشأنه غير قابل للحل؟

لقد أدّت قراءة علماء الآثار من التيار التوراتي التقليدي، للنقوش المصرية

والآشورية والمساند الحميرية، ومطابقتها مع نصوص التوراة، إلى رسوخ أفكار زائفة عن التاريخ الإنساني، ومنها الفكرة الشائعة اليوم، والقائلة إنّ قدش التوراتية هي القدس العربية الإسلامية، وإنها قادش التي هاجمها رمسيس الثاني، وإنّ بلاد بونت هي الصومال، فقط لأجل دعم هذه القراءة وتأكيدها للتاريخ.

في سياق هذا التلاعب، باتت هذه البلاد (المسماة بونت) لغزاً محيِّراً، مثلها مثل قادش وكركميش وقراقر وسواها كثير. إنَّ التأويل الاستشراقي السائد لما يعرف بمعركة قادش ـ قدش التي فشل فيها رمسيس الثاني، هو الذي سبّب ظهور رواية غير صحيحة عن التاريخ، مفادها أن المصريين هاجموا القدس، وهو ذاته الذي أدّى من بين ما أدّى، إلى اختلاق مكان يدعى كركميش. وفي الواقع، ليس هناك مكان اسمه (قادش)، ولا وجود لمكان يدعى كركميس ـ كرجميش ـ *Carchemish*، وقعت فيهما معارك كبرى خاضها المصريون، وليس هناك مكان يدعى قراقر جرت فيه معركة تعرف بهذا الاسم، وأرض فلسطين لا تعرف بأيّ صورةٍ من الصور مثل هذه الأماكن. كل هذا كان نوعاً من تلفيق لا أساس له. ونحن نعلم أن علماء الآثار نقّبوا طولاً وعرضاً في أرض فلسطين، فلم يعثروا على أماكن أو بقايا أسماء مواضع أو آثار مادية من لَقَي ونقوش تدعم وجودها هناك. لذا، جرى الافتراض طبقاً لمزاعم توراتية، أنّ هذه الأسماء موجودة في التوراة، وأن قادش هي (القدس) الحالية، وهذا غير مقبول لا علمياً ولا تاريخياً، لأن اسم (القدس) لم يظهر إلا بعد الفتح الإسلامي (أي بعد عام ١٥ هجرية نحو ٦٣٧م). والصومال لم يكن له وجود في التاريخ كله باسم بونت. بيد أن هذا كله ليس إلا الوجه المكشوف من المشكلة المسكوت عنها، ويتعلق

بالطريقة التي قرأ فيها علماء الآثار والمؤرخون والدارسون، اسم مصر في التوراة وفي النقوش **الآشورية واليمنية** - نقوش المسند-. وإذا كان لابد من إعادة تقويم لكل الاستنتاجات المتعلقة **باسم مصر** في هذه النقوش، فلا بدّ من الاعتراف بوجود مشكلة في **التاريخ الوطني لمصر وفلسطين واليمن**، اسمها **مشكلة اسم مصر**. وهذا سيقودنا بنحو لا مفرّ منه إلى إثارة الأسئلة المحرجة عن الحملات والمعارك العظيمة التي خاضها المصريون: إلى أين توجهت؟ إلى **فلسطين** أم إلى مكان آخر؟ وأين وقعت **معركة قرقر**- وليس قراقر وأين حدثت **معركة كركامس وليس كركميش**؟ وأين يمكننا أن نجد **بلاد البون بونت**؟ وكيف نجدها في **الصومال**، بينما يقال لنا إنَّ المعارك والحروب دارت في **فلسطين**؟

ثمة خطأ فظيع في رواية التاريخ. وهذا ما يقوله الكتاب ويجادل فيه بقوة.

لكن هل ذكرت التوراة **اسم مصر**؟ وبأيّ صورة بالضبط؟ وهل ثمة صيغة واحدة أم هناك **أربع أو خمس** صيغ على الأقل، لا تدلّ أيّ واحدة منها على **مصر الإقليم والبلد العربي**، فيما تدلّ إحدى أكثر الصيغ غموضاً على قبيلة ومكان وجماعة بشرية ـ تحالف عشائري ـ لأنها تقول حرفياً **(عشائر المصريين)**؟ فهل حقاً خاض **المصريون القدماء معارك ضد الآشوريين في فلسطين**، ومتى كان ذلك؟

وإذا كانوا قد خاضوا هذه المعارك، فلماذا لم يعثر علماء الآثار على أيّ دلائل أثرية تؤكدها؟ ولماذا فشلوا في التعرّف إلى الأماكن والمواضع التي وصل إليها المصريون وسيطروا عليها، وسجلوا أسماءها بدقة مذهلة وفي سجلات موثقة، منها **قائمة الكرنك**، وما يعرف بقائمة **مجدو- نهاريا**، أم أنها دارت في

مكان آخر لم يتمكّن العلماء بعد من تحديده؟ وهل في هذه الحالة تكون المعارك بين **الآشوريين والمصريين** قد وقعت فوق أرض لا علاقة لها **بفلسطين**، وأن هذا الاسم (أي فلسطين) لم يعرفه المصريون قطّ، وهو ظهر في وقت متأخر، وذلك مع التقسيم الإداري الروماني البيزنطي لسورية عام ٣٣٠ ميلادي؟ فكيف عرفت التوراة، والمصريون، اسم فلسطين، وهذا الاسم لم يظهر إلا بعد ٨٠٠ عام على الأقل من كتابة التوراة؟ وهذا الاسم، أي **الفراعنة**، اسم لا وجود له في السجلات المصرية القديمة؟ بكلام آخر: إنَّ السجلات المصرية تتحدث عن أُسَر حاكمة متعاقبة ولا تسميها **فراعنة**؟ إنَّ هذا الاسم هو تعبير شعبي شاع في وقت ما من تاريخ مصر، بل إنَّ اسم مصر لم يظهر في هذه السجلات إلا في عام ٧٥٠-٧٠٠ ق.م فقط. وظلت مصر تعرف باسم إيجبت[1]. وكان اليونانيون يشيروا إلى النيل وأرض إيجبت بكلمة **ايجبتوس** *Aigyptus*. أما قبل ذلك، فقد كان اسمها **إيجبت ـ القبط** (بلاد القبط). ومع ذلك، فإن **مصر وآشور** انخرطتا في قتال بطوليّ من أجل السيطرة ـ من بين أهداف كثيرة أخرى ـ على مكان قد يكون أكثر أهمية من فلسطين، لأنه يختزن ثروات العالم القديم من البخور (وهي ثروة تماثل قيمتها النفط في عصرنا) لتأمين حاجة المعابد الدينية. ثم ماذا سيجد المصريون والآشوريون في فلسطين، التي لم يكن لها وجود آنذاك كاسم لبلد؟ ولماذا يقدمون الدماء في سبيل السيطرة على مكان ليست له أيّ أهمية؟ وكيف يمكن تخيّل أن الآشوريين يخوضون حروباً دامية في قطاع تابع إدارياً لهم، هو جزء من بلاد الشام، أي من الإمبراطورية **الآشورية – السورية**؟

ولكل ذلك، فما يجادل فيه هذا الكتاب هو الآتي:

١ : إنَّ الحروب بين الآشوريين والمصريين لم تقع في فلسطين، وليس هناك مكان حقيقي اسمه (قادش) زُعم أنّ رمسيس الثاني فشل في الاستيلاء عليه. والأصحّ أن اسم المكان والمعركة هو جبل(قدس) في تعز (اليمن). لقد حدث هذا الالتباس بسبب قراءة خاطئة للاسم. والفارق بين الصيغتين، أنّ الأولى تجعل منه مكاناً مجهولاً يستحيل العثور عليه، فيما الصيغة الأخرى تكرّسه مكاناً حقيقياً يمكن الوصول إليه والتعرّف إلى آثار المعركة فيه.

٢: ويجب التأكيد في هذا السياق، أن (قدس) لا تعني (القدس) العربية الإسلامية، وكل وأيّ مماثلة بينهما هي تكريس ونتاج لقراءة مخيالية للتوراة. وهذا ما برهنا عليه من قبل في مؤلفات كثيرة، وسنبرهن عليه من جديد. لقد وقعت هذه الحروب وتواصلت، ولم يكن هناك في الأصل مكان اسمه فلسطين، ولم تكن هناك مدينة باسم (القدس) قطّ.

لقد ظهرت هذه الأسماء في عصور تالية، والمسألة برمّتها تتعلق بفهم خاطئ للاسم (قادش) لأسباب ودواعٍ غير نزيهة، لأنّ هذا الاسم يظهر في نصوص التوراة كاسم لجبل، وليس اسماً لمدينة، وفي صورة قدش وليس قادش (بالمدّ)، والقدس التاريخية ليست جبلاً ولا فوق جبل. وكيف للمرء أن يتقبّل النظرية السائدة التي تقول إنَّ المصريين والآشوريين تقاتلوا فوق رقعة جغرافية صغيرة جنوبي الشام، حشدوا لها ما يزيد على نصف مليون جندي؟ وما أهميتها؟ وكيف أصبحت آشور إمبراطورية، إنْ لم يكن جنوب الشام جزءاً منها؟ ولكم أن تتخيلوا حجم هذه الإمبراطورية من دون بلاد الشام! إنَّ جغرافية العراق القديمةْ ـ من دون بلاد الشام ـ لا يمكن أن تكون جغرافية دولة إمبراطورية، إلا في حالة واحدة: أن تبلغ البحر

الأبيض المتوسط، ويندمج العراق مع الشام. لذا، إنَّ الاسم الصحيح هو: الإمبراطورية السورية، وليس الآشورية. ثم إنَّ التوراة تصف قدس كجبل، ولا تقول إنها مدينة؟ لذلك، ظهرت جماعة يهودية متطرفة تؤمن بحرفيّة ما ورد في التوراة، تسمّي نفسها (**أمناء جبل الهيكل**)، لأنها تؤمن بأنَّ بيت الرب بناه **سليمان في جبل قدس** كما تقول التوراة. فكيف نصدق أنَّ **الهيكل تحت قبة الصخرة**، بينما القدس العربية مدينة فوق هضبتين صغيرتين، وليست جبلاً ولا فوق جبل؟

٣: إنَّ القراءة الاستشراقية للتاريخ ونصوص التوراة والنقوش في المنطقة، لفّقت تاريخاً يتّسم بالفوضى، فلم يحدث- مثلاً- أن هُزم **ملك مصري** يدعى(سوء) على أيدي **الآشوريين**، ولم يكن لهذا الملك في الأساس أي وجود، كذلك لم تقع حروب **مصرية مع ميديا الفارسية في أرض فلسطين، والتاريخ المكتوب لا يعرف مثل هذه المعارك**. ولم يحدث أن عيّن **الآشوريون حاكماً عربياً على مصر** بعد هزيمة الجيوش المصرية، كما يزعم علماء الآثار من التيار التوراتي. مثل هذه المزاعم هي تلفيق مبنيّ على قراءة خاطئة لنصوص التوراة. ومثلما قرئ اسم **قدس قدش** في النقوش والسجلات المصرية بطريقة خاطئة، فقد حدث خطأ مماثل حين قرئ الاسم **(ميدي)** على أنه يعني **(ميديا الفارسية)**، فالاسم في النقوش والتوراة هو **(مدي وليس ميديا)**، وهذا مكان معلوم ومعروف في اليمن، لكنه لم يشهد معارك **بين المصريين والفرس**.

ثمة إذاً، خطأ فظيع حدث في قراءة نصوص التوراة والنقوش.

لكن، ماذا لو قلنا إنَّ المعارك بين **الآشوريين والمصريين** لم تقع في فلسطين

قَطّ، بل دارت في **اليمن القديم، للسيطرة على الساحل الطويل لطرق التجارة الخارجية** (الدولية) في البحر الأحمر، ولتأمين **البخور للمعابد المصرية والآشورية**، وإنَّ هذا الصراع كان جوهرياً، ومصيرياً بالنسبة إلى المصريين والآشوريين، بأكثر مما كان يعنيه قطاع صغير في جنوب الشام، لم يكن يعرف آنذاك باسم فلسطين، ولا أهمية استراتيجية له على وجه الإطلاق؟ هذا يعني أننا يجب أن نعيد بناء كامل الرواية التاريخية السائدة بوصفها رواية قابلة للنقد. ولعل بعثة **حتشبسوت** لتأمين البخور من بلاد **البون بونت**، تفسّر وتلخّص بعض أهمّ أهداف هذه الحروب، فلماذا ترسل الملكة المصرية بعثة دبلوماسية رفيعة لهذا الغرض، بينما تبدو الحروب في فلسطين دون أي هدف حقيقي؟ وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل أن (ملكة إيجبت) كانت تبحث ـ دبلوماسياً ـ عن البخور في فلسطين!

لكن لماذا اليمن؟

ما يقدّمه هذا الكتاب يندرج في إطار نظرية، سبق للمؤلف أن طرحها في عدد كبير من الكتب والمؤلفات، واعتمد فيها على النصّ العبري من التوراة ـ وليس النص العربي ـ والنقوش اليمنية كذلك (مثلاً: فلسطين المتخيلة، مجلدان، حقيقة السبي البابلي، القدس ليست أورشليم... إلخ). ولأجل أن يعرف القرّاء ـ العرب والأجانب ـ ممن لم يطّلعوا على مؤلفاتي، فسوف ألخّص أهمّ الأفكار التي وردت في بعضها:

– إنَّ التوراة كتاب ديني من كتب **يهود اليمن**، كُتب **بلهجة يمنية سُمِّيت (العبرية)**. وإنَّ **اليهودية دين عربي قديم** لم يفد إلى المنطقة من خارجها، وهي لم تولد في المكسيك، والملك سليمان ليس ملكاً من ملوك هولندا، وداود

ليس نبيلاً من نبلاء اسكتلندا. **لقد ولدت اليهودية في اليمن، والقبائل اليهودية العربية هي التي هاجرت من اليمن إلى جنوب الشام واستوطنت هناك**. ومما يمكن ملاحظته لتأكيد **علاقة العبرية بلهجات اليمن**، أن هذه اللهجات تعرف البناء العبري للأسماء، فنحن نجد اليوم في محافظة المهرة مثلاً كما في أماكن أخرى مجموعة كبيرة من المعالم الأثرية والتاريخية التي تحمل الصيغ العبرية مثل: **قرية ضبوت، حيروت، ميناء خلفوت، ميناء نشطون، مستوطنة دمقوت**. وأكثر من ذلك، أن نجد حتى اليوم، مدينة من مدن **حضرموت** تحمل اسم (**روضة بني إسرائيل**)!

- والمثير للاهتمام إنَّ ما تُعرَف بالسبئية (**الصنعانية**) **هي العبرية الأصلية القديمة**. وليس دون معنى **أن العبرية الرسمية في إسرائيل** تسمّى اليوم رسميّاً، **العبرية الصنعانية** *Sananite Hebrew* وهذا تأكيدٌ قاطعٌ أنّها **لهجة يمنية**. ولو لم تكن هناك صلة بين **العبرية واليمن**، فلماذا أطلق علماء التوراة **على العبرية الرسمية في إسرائيل تعبير: عبريّة صنعاء**؟

- ولدعم هذا التصور، أسوق هنا بعض المعطيات التي يجري تجاهلها من جانب بعض الباحثين والمختصّين في التاريخ القديم، من بينها أن هناك سفراً كاملاً في التوراة يسمى **سفر حجّة** (يُزعم أنه من الأنبياء الثانويين أو الصغار في اليهودية القديمة). وليس ثمة مكان أو اسم علم في المنطقة العربية كلها يدعى **حجّة**، سوى **حجّة في اليمن** (محافظة حجّة اليوم). وتضمّ التوراة أيضاً سفراً آخر باسم سفر (**مخا - ميخا**). وبالطبع، ليس ثمة مكان أو اسم علم في سائر أرجاء المنطقة العربية، سوى اسم **المخا**، وهو (**ساحل المخا**) اليمني، وكان ميناؤه مزدهراً على مرّ التاريخ، ولا يزال اسمه

هناك شاهداً حيّاً. ومن هذا الاسم جاء اسم **الإله اليمني المقه**. ومن اسم **الإله المقه** ـ إله العقل جاء اسم مكة (ملك ـ ءيل ـ مخ ـ ءيل والقاف والكاف حرف واحد: ميخائيل وميكائيل). والمدهش، أنَّ المصريين في حملاتهم على اليمن وصلوا إلى هذا المكان، وسجلوا اسمه في قائمة الغنائم (**مخت ـ مخا**) **تماماً كما يكتبه اليمنيون: مخت**. وهذا النوع من التدوين المحترف، يلتزم قواعد النطق القديمة عند القبائل التي يجري إخضاعها، فالقبائل اليمنية هي الوحيدة التي تستخدم (التاء) كلاصقة في آخر الاسم (**بون ـ بونت**، قرش، قرشت، **مخا ـ مخت**)! وهذا هو أساس التقليد الكتابي في التوراة، فهي النص الديني الفريد من نوعه الذي يستخدم هذا الحرف اللاصق في تدوين الأسماء؟ وبصدد هذه الملاحظة، يجب أن أعيد تأكيد أن **قائمة الكرنك المصرية**، تمتاز من وجهة نظري بدقة مذهلة في تسجيل الأسماء طبقاً لأشكال نطقها القديمة، وهذا ما سنبرهن عليه.

برأينا، حدث لُبس أو خطأ مقصود في قراءة نصوص **تل العمارنة وقائمة الكرنك**. وبسبب المخياليّة الاستشراقية التي سعت بكل الوسائل غير العلمية إلى البرهنة على أن هذه القوائم هي مدن في **فلسطين**، فقد نشأ التباس فظيع يبدو غير قابل للحل، بشأن **اسم مصر**، مماثل للُّبس في اسمي (**قدس**) و(**يروشلم**) في هذه السجلات؟

وبالنسبة إليّ، يمكن أن أجيب بنعم عن السؤال الافتراضي الآتي:

هل حدث لُبس أو خطأ ما؟ لسوف أؤكد وجود قراءة مخياليّة روّج لها علماء آثار من التيار التوراتي، وتلقفها بخفة علماء ومؤرخون عرب وأجانب، وهي أنتجت فهماً مغلوطاً للتوراة **ولتاريخ مصر** في آن واحد، سرعان ما

ولّد فهماً خاطئاً للسجلات التاريخية المصرية والآشورية، وللتاريخ الوطني بكل تأكيد. مثل هذه الأسئلة، وسواها كثير، يجب أن تُطرح اليوم في سياق إعادة بناء الرواية التاريخية عن فلسطين ومصر **وعن وجود مملكة قديمة تدعى مملكة إسرائيل!**

إن عملاً نقديّاً من هذا النوع، بالاستناد إلى **النصوص العبرية** والمسندية (اليمنية) يمكن أن يُسهم في تصحيح تاريخ المنطقة برمتها. لقد تلاعب مؤرخون وعلماء آثار بتاريخ المنطقة بأسرها، **فسرقوا نقوش اليمن التي ترد فيها أسماء توراتية، وأعادوا دفنها في شرق الأردن وفي لبنان**، للبرهنة على أنَّ ما ورد في نصوصها يطابق ما ورد في **التوراة، ثم أعادوا (اكتشافها) والترويج لها في العالم**، بوصفها أدلّة علمية موثَّقة على أن التوراة ذكرت اسم **الأردن وفلسطين ومصر ولبنان**، وأنَّها سجلت أسماء مدن فلسطينية كبرى مثل **القدس**. وأخيراً، تلاعبوا في قراءة النقوش، وكتبوا تاريخاً مزيفاً هو اليوم في صلب مناهج تعليم التاريخ في جامعات العالم، فما من دارسٍ للتاريخ إلا وردّد الترهات القائلة إنَّ **(التوراة ذكرت اسم فلسطين)**، وإنَّها سجلت **(اسم القدس)** وإنَّ **(القدس هي أورشليم)** و**(إنَّها كانت تدعى يبوس)** وإنَّ **المصريين تقاتلوا مع الآشوريين فوق أرض فلسطين!** وهذه ترهات لا صلة لها بالعلم، فلا التوراة ذكرت اسم فلسطين، ولا هي سجلت اسم (القدس). وبعض هذه الترهات التي تُدَرَّس اليوم، وهي يا للأسف باتت من البديهيات غير القابلة للنقاش، تزعم أن **الآشوريين أسروا ملكاً مصرياً**، وأنَّ العاهل الآشوري **تجلات بلاسر الثالث**، عيّن **حاكماً عربياً على مصر!**

لقد آن أوان التخلص من كل هذه النفايات الاستشراقية في التاريخ.

إن **نظرية هذا الكتاب** تستحق برأي المؤلف، نقاشاً علمياً هادئاً ونزيهاً باستخدام حجج وبراهين علمية، لا خطباً حماسية رنّانة مدبَّجة بآيات وأحاديث دينية. والنقاش العلمي بين أهل الاختصاص هو العمل المجدي الوحيد في مسألة خطيرة من هذا النوع. وليس من العدل، بطبيعة الحال، أن ينخرط العامّة من القرّاء في نقاش من هذا النوع، لأنه يتطلب معارف واسعة. وقد لا تُفهم أفكار هذا الكتاب، بعمق وبصورة صحيحة ودقيقة من دون العودة إلى مؤلفات الكاتب السابقة، وهي متوافرة بين أيدي القرّاء، وشرح فيها بإسهاب الفكرة الآتية:

إن أهمية **تصحيح التاريخ** بالنسبة لنا، أهمية استثنائية تفوق التصور، فالأمم التي تتمكن من البقاء في مسرح التاريخ المستمر، وتصمد وتظل حيّة ونشيطة، هي الأمم التي تستطيع كتابة سردية تاريخية متماسكة وخالية من التناقضات، يتوحّد فيها وجدان مواطنيها. وعلى العكس من ذلك، تتفرق الأمم وتتمزق حين تتفرق طرق قراءة هذه السردية. ولنتذكر أنَّ سرّ صمود الأمة الأميركية مثلاً وهي خليط غير متجانس من أمم شتى يكمن في أمرين مركزيين:

الأول: السردية التاريخية التي وحّدت وجدان جماعات لا يجمعها تاريخ مشترك، وهي ساعدت على بقائهم موحَّدين بفضل توافقهم على رواية تاريخ واحد لا تواريخ متناقضة ومتصادمة.

الثاني: انتصار اللغة الواحدة (الإنكليزية) على سائر الأُسَر اللغوية القادمة من أوروبا وأفريقيا وآسيا.

وهذا هو الغرض العلمي المؤكد من نظرية الكتاب، وليس أي غرض آخر.

لذلك، سأوضح بعض النقاط الجوهرية لفهم مضمون الكتاب بنحو صحيح:

أولاً: ورد اسم مصر والمصريين في التوراة في أربع صيغ رئيسية، وأخرى ثانوية، على الأقل. وهنا الصيغ التي ظهر فيها الاسم:

مصري מצרי ومصريم מצרים ومشفحت ها ـ مصريم משפחת-המצ-רים (أي عشائر المصريين). ومصريم في أرض جازن[٢] מצרים בארצ גזן

وهذه صيغ مختلفة، كل منها تدلّ على مدلول محدَّد، فاسم (مصري) لا يمكنه أن يكون هو ذاته (مصريم). كذلك فإن تعبير (**مشفحت ها مصريم**، أي عشائر المصريين) لا يطابق وصف مصر **الإقليم**. وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل أنَّ مصر البلد العظيم هو (**عشائر المصريين**)! كما أنَّ مصر **ليست في أرض جازن ـ جازان!** يعني هذا أنَّ هناك قراءة خاطئة للنص التوراتي (العبري) لم تميّز بين الصيغ المختلفة.

ثانياً: تزعم القراءة الاستشراقية للنقوش والسجلات المصرية والآشورية واليمنية ونصوص التوراة كذلك، أن **المصريين اصطدموا بالآشوريين فوق أرض فلسطين، وهي رواية رائجة في كتب التاريخ، وشائعة حتى بين أنصاف المتعلمين**، وهذا ما لا دليل يؤيده.

لقد كان **جنوب الشام جزءاً من أملاك الإمبراطورية الآشورية** (وبضمنه ما يعرف بفلسطين اليوم). أي جزءاً عضوياً من حدودها التاريخية

على المتوسط، ومهاجمته من جانب أيِّ قوة دولية، تعني مهاجمة قلب الإمبراطورية. وهذا ما لم يحدث. كذلك، لم يكن جنوب الشام يُعرَف باسم فلسطين قَطّ، إلا في العصر الروماني البيزنطي المتأخر (مع قسطنطين العظيم والتقسيم الإداري الجديد نحو ٣٣٠ ميلادي). ويبدو أنَّ اللُّبس الذي نجم عن القراءة المخياليّة الاستشراقية، كان نتيجة قراءة اسم **ها ـ فلشتيم** **הפלשתים** في صورة (**الفلسطينيين وفلسطين**). وهذه قراءة (تهجئة) خاطئة للاسم جملة وتفصيلاً، لأن الاسم يؤدي إلى (**الفلستيين من المفرد فلس وفي العبرية فلستيم**). وهذه لا تعني (**الفلسطينيين**)ولا تعني (**فلسطين**)، لسبب بسيط ووجيه للغاية، هو أنَّ الاسم يتضمّن حرف (الطاء) الذي تعرفه العبرية. فلماذا استبدل مدوّن النص هذا الحرف بـ(التاء)؟ بينما يستخدم المدّون نفسه هذا الحرف في سائر الكلمات والأسماء التي يرد فيها؟ ألا يعني ذلك أنه يقصد (**الفلستيين ـ الفلسة** أو ما يعرف اليوم باسم الفالاشا ـ الفالاسا)، لا (الفلسطينيين)؟ فمنْ هم هؤلاء؟ سأعرض في سياق هذا الكتاب نقوشاً يمنية قديمة ذكرت اسم (**فلستيم**) لنضع نهاية علمية لهذا الجدل العقيم.

ثالثاً: إنَّ اسم المفرد في العبرية من **ها ـ فلشيم** هو **فلش ـ فلس**، والياء والميم أداة تثنية وجمع في الآن ذاته، مثل شخص ـ شخصيم (شخصان وشخوص). والتوراة تصف في نصوص بعينها (سفر الملوك الأول والثاني) هؤلاء بأنهم (**ها ـ مشحت**)، وهي صفة تحقير ترجمت في التوراة العربية بنحو تعسفي ومخْياليّ إلى (**مخربين، إرهابيين**). وهذا غير مقبول، لأن القاموس العبري لا يعرف مرادفاً للكلمة على الإطلاق! والصحيح والدقيق، أنّ (**ها ـ مشحت**) تعني (**السحت**) بما أنَّ الهاء أداة تعريف في العبرية. وهذا يعني أنَّها صفة تحقير تنصرف إلى اللصوص من **آكلي السحت**

(الحرام). وللتدليل أكثر على وجود ارتجال في الترجمة يرقى إلى مستوى الاستهتار، سأسوق المثال الآتي:

في سفر الملوك ١-٢ يوصف الفلستيم (المزعوم أنهم الفلسطينيون) بأنهم (مشحيت)، والمترجمون يضعون المكافئ التالي للكلمة (مخربون، إرهابيون... إلخ). لكنَّ الكلمة نفسها ترد في موضع آخر: ملوك٢: ٢٣: ١٣ ضمن جملة: אל הר הפלשתים وتُتَرجَم هكذا: **(إلى جبل الهلاك). فهل الكلمة تعني مخرّب، أم هلاك؟ كل ما في الأمر أنَّ الجملة تقول إنَّهم عبروا إلى جبل المشحيت. هذا يعني أن الفلستيين (ها ـ فلستيم: الفلسة) الذين عنتهم نصوص التوراة هنا، ينتسبون إلى موضع بعينه، هو مسخيت السخت في محافظة إب.** وهاكم اسم الموضع: **محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة الوادي، قرية البخاري، محلة ذي السخيت.**

وهذا ما سنراه بالتفصيل. ولنلاحظ هنا، أنَّ حرف الميم في **(مشحت)** هو من بقايا لهجة يمنية ـ حميرية تستخدمه كأداة تعريف منقرضة، مثل **ءم سفر في السفر، وءم رجل في الرجل، وءم بعير في البعير.** وهذا ما يؤيد **نظريتنا القائلة إنَّ العبرية لهجة يمنية وليست لغة.** والعرب القدماء في اليمن، ومنهم قبيلة طيء اليمنية الجذور، عبدوا إلهاً باسم **الإله الفلس** وانتسبوا إليه على جري تقاليد القبائل، فهي تتسمّى بأسماء آبائها وآلهتها، وقد وصف **ابن الكلبي** في (الأصنام)[٣] سدنة معبد **الفلس** وعبّاده بأنهم من **(آكلي السحت)، لأنَّهم** كانوا يسرقون الماشية ويسوقونها للمعبد. ومن المؤكد أنَّ الفلسة (فلستيم) الذين تتحدث عنهم التوراة في هذا النص، ينتسبون إلى موقع بعينه، هو الفلسة الذين يقيمون في مكان يدعى **(السخت).**

رابعاً: إنَّ المعارك التي خاضها المصريون حسب السجلات والمدوَّنات في الكرنك، امتدت حتى (قدس). لكن الشائع في المؤلفات التاريخية أنَّ يرسم الاسم في صورة قادش. وهذا مكان مجهول لا وجود له في أيِّ بقعة من العالم. والمكان نفسه يرد في التوراة في الصورة نفسها قدش قدس קדש وليس قادش! وهذا يعني أن لدينا مشكلة في طريقة نطق الاسم؟ فهل هو قدس أم قدش أم قادش؟ كل هذا وسواه كثير، سنتحدث عنه بما يلزم من تفصيل مدعَّم بالأدلة العلمية.

خامساً: يجب أن نميّز بين مفهومين شائعين، غالباً ما يخلط بينهما العامّة، هما مفهوم(**اليهود**) ومفهوم (**بني إسرائيل**). إنَّ عامّة الناس تخلط بينهما، فيفترضون أنَّ أحدهما يدلّ على الآخر. مثلاً: عندما تقول (**بني إسرائيل**)، قد يفهم منك أنك تعني (**اليهود**) والعكس، وهذا غير صحيح، لأنّ **بني إسرائيل قبيلة، واليهودية دين**. وقد تنبّه الفقهاء المسلمون مبكراً لهذا الخلط[٤]. ولذا، فليس كل يهودي هو بالضرورة من بني إسرائيل، لمجرد أنه يعتنق الديانة اليهودية، وليس كل مَن كان من بني إسرائيل يهودياً. ففي بني إسرائيل، كان هناك وثنيون ومن أتباع عقائد أخرى، منهم الجماعة المسماة (السامريون) الذين لا يعترفون بتوراة اليهود، ويقولون عنها إنها من كتب الكهنة اليهود، وإنَّ لديهم توراة صحيحة هي توراة موسى، وهم إسرائيليون، أي أتباع ديانة إسرائيلية وليسوا يهوداً. إن هذا يشبه الخلط بين **قريش القبيلة والإسلام الدين**، فليس كل **مسلم من قبيلة قريش**، وليس كل قرشي مسلماً بالضرورة. فهناك مسلم صيني، ولكنه ليس من قريش، وهناك من هو قرشي، ولكنه لم يكن مسلماً، وإلا وجَب علينا اعتبار المسلم الفيليبيني عربياً من قريش ومن بني هاشم لمجرد أنه أصبح مسلماً! بهذا

المعنى، يجب أن نرفض رفضاً قاطعاً المزاعم الرائجة والقائلة إنَّ **يهود اليوم هم من بني إسرائيل**، لأنّ هذا الأمر يفرض علينا أن نقبل مزاعم افتراضية مماثلة، بأن **كل المسلمين اليوم هم من قبيلة قريش**؟ ولذلك، سنرفض في سياق هذه الفكرة أيّ **حق ديني لليهودي الأوروبي والمستوطن في فلسطين، قائم على أساس يهوديته**، أي أن نرفض **فكرة انتسابه إلى تراث بني إسرائيل التاريخي لمجرد أنه يهوديّ**، فهذا انتساب تعسفي لا يقوم على أي أسس. إنَّ هذا الأمر شبيه بقبول مزاعم قد تصدر في الغد من جانب مسلم صيني بأن له (حقاً دينياً) وتاريخياً في مكة، ما دام **يدين بدين الإسلام**! إنَّ القرابة بالمفهوم الأنثروبولوجي تقوم فقط على أساس الدم، وليس العقيدة.

سادساً: إنَّ **اليهودية دين عربي قديم ظهر في اليمن**، ولم يأتِ وافداً من أستراليا أو الدانمارك. **وموسى النبيّ ليس نبيلاً من نبلاء اسكوتلندا، وداود ليس أميراً ويلزياً. لقد وُلدت اليهودية في أرض العرب ديناً عربياً قديماً**، وتراث **بني إسرائيل الديني والأسطوري والتاريخي**، هو تراث قبائل عربية بائدة، وليس تراث مستوطنين أوروبيين، وهؤلاء لا يحق لهم بأي صورة من الصور الاستيلاء على هذا التراث لمجرد أنهم يهود.

سابعاً: **إنَّ بني إسرائيل** ليسوا قبيلة وافدة من كوكب آخر، بل **قبيلة عربية يمنية** كفت عن الوجود، مثلها مثل **ثمود وعاد** وسواهما. واليمنيون همْ من كان يفتخر في العصر العباسي وفي خلال المناظرات الشعرية مع العدنانيين، بأنَّ **بني إسرائيل قبيلة يمنية**. ولعل العودة إلى ما يعرف بأدب المفاخرات الشعرية في العصر العباسي المبكر، ستؤكد لنا كيف أن القحطانيين كانوا يفخرون على أبناء عمومتهم العدنانيين، بأنَّ لهم الفضل والامتياز، لأنَّ بني إسرائيل قبيلة

يمنية. هذه البديهيات غائبة اليوم تماماً عن معارفنا ووعينا، ويا للأسف! ولأنَّ اليهودية دين عربي ظهر في اليمن القديم، ولأنَّ بني إسرائيل من قبائل اليمن البائدة، فإنَّ العبرية ليست لغة وافدة، بل هي لهجة من لهجات اليمن التي لا يزال عدد كبير من سكان القرى والمنعزلات الجبلية يتحدثون بها كلهجة دينية، مستمرة حتى مع انتقالهم إلى الإسلام. وقد تسنّى لي في زيارات متكررة لليمن، أن ألتقي مسلمين في قرى يمنية كثيرة، يتحدثون العبرية بنطق عربي جميل. وهذا أمر مؤكد ولا يحتاج للكثير من السجال بالنسبة إلى من يعرف تاريخ اليمن ولهجاته القديمة. لكل ذلك، فالأحداث والوقائع التي سجّلها النص التوراتي، دارت في **مسرح يمني** وليس في **فلسطين**.

هذا هو المدخل الحقيقي لتصحيح الخطأ في قراءة اسم مصر في **التوراة** وفي النقوش اليمنية والآشورية.

وأسوق المثال الدراسي التالي، لتعميق النقاش في **مسألة مصر**. تُفرد التوراة (تك/ ٢٧:٤٧) مكانة خاصة لاسم مصريم ضمن صيغة (مصريم ـ ب ـ ءرص ـ جزن מצרים בארצ גזן) بربطها الوثيق بين موت **يعقوب** وطلبه من **يوسف** النبيّ أن يدفنه فيها. وحسب السرد التوراتي، فقد نُظِّمَت مراسم دفن ليعقوب بناءً على وصيته. ولمّا كان النص يتحدث عن مصر وصعود **يوسف** إلى مرتبة ملكية عليا، وإشرافه على خزائن الحبوب، فقد بدت الصيغة غرائبية، إذ كيف يطلب منه والده أن ينقل جثمانه إلى **مصر وهو يعيش فيها**؟ لقد فُهمت صيغة (**مصر من أرض جزن**) على أنها إشارة إلى **مكان آخر اسمه مصر** من أرض أخرى اسمها جزن ـ جسن، جاسان ـ جاسان، **وإلا فكيف يكون الإقليم جزءاً**

من أرض أخرى أصغر، ولا أحد يعرفها؟ وكيف نوفّق بين كل هذه الصيغ التي يظهر فيها الاسم، ونعدّها جميعاً دالة على مصر الإقليم؟

وفي موضع آخر من سفر التكوين، وردت صيغة أخرى من اسم مصر بالتلازم مع اسم فرعة على النحو الآتي:
(ويوصف ـ ها ـ ورد ـ ويقنهو –فوطيفار ـ مصريم ـ فرعه ـ سر ـ ها ـ طبحيم: ويوسف وصل إلى مصر فاقتناه فوطيفار كبير حراس[٥] الفرعون ١٣ :٣٩ :٢٤ :٣٨).

فهل مصر هذه التي في أرض جازان، هي مصر أخرى ليست تحت سلطة الفرعون؟ وإذا اقتناه كبير حراس فرعون، فكيف أصبح يوسف في منزلة الملك؟ ألا يعني هذا النص أننا أمام مشكلة اسمها مصر، تظهر فيها صيغ كثيرة للاسم، لا جامع بينهما؟

وفي سفر العدد (١ : ١٣ـ النص العبري) نجد صيغة أخرى من اسم مصر، تبدو أكثر إثارة من سائر الصيغ الأخرى.

(فصعدوا وتجسّسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حمة.
את הארץ ממדבר צן עד רחב לבא חמת

صعدوا من الجنوب وأتوا إلى حبرون. وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي وبني عناق. وأما حبرون، فبُنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين
ויעלו בנגב ויבא עד חברון ושם אחימן ששי ותלמי ילידי הענק וחברון שבע שנים נבנתה לפני צען מצרים

وأتوا إلى وادي أشكول وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب

وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين
ויבאו עד נחל אשכל ויכרתו משם זמורה ואשכול ענבים אחד
וישאהו במוט בשנים ומן הרמנים ומן התאנים

فدُعي ذلك الموضع وادي أشكول بسبب العنقود الذي قطعه بنو إسرائيل من هناك.
למקום ההוא קרא נחל אשכול על אדות האשכול אשר כרתו משם בני ישראל).

هذه الترجمة هي الترجمة العربية السائدة للنص، وهي غير مقبولة نهائياً، لأنها تتلاعب ببعض أسماء المواضع بطريقة غير علمية.

هنا إعادة ترجمة للنص:
(فصعدوا ورأوا الأرض من سهوب ـ جبل ـ صن حتى رحب، فبلغوا حمّة، ثم صعدوا ـ جبل ـ جنب صوب حبرون، وشمّ، فرأوا هناك منازل: أحيمن وششي وتلمي من ولد عناق. وحبرون هذه، بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين).

تحليل النص:
فصعدوا وتجسّسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حمة. صعدوا من الجنوب وأتوا إلى حبرون. وكان هناك اخيمان وشيشاي وتلماي وبني عناق. وأما حبرون فبنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين.
ויעל-ויתרו[٦]-את-הארצ-ממדבר-צן[٧]-עד-חמה[٨]-ויעלו-בגנב[٩]-ויב-עד-חברון-ושם[١٠]-אחימן-ששי-ותלמי-ילידי-הענק-שבע-שנים-נבנתה-לפני-צען-מצרים.

من المؤكد أنَّ هذا الوصف لا ينطبق بأي صورة من الصور على مصر الإقليم، فليس ثمة جبل يدعى صن (الذي يترجم زوراً وبهتاناً إلى سين وصين وسيناء!)، وليس هناك جنب ولا رحب ولا حمة (حماه السورية في الترجمة العربية!). ومع ذلك، علينا أن نتساءل ما المقصود بـ(صوعن مصر)؟ وهل يمكن الافتراض أنَّ المقصود بهذه الصيغة مصر الإقليم؟ لقد بنى علماء آثار ومؤرخون ـ وكثرة منهم من المؤرخين العرب، ويا للأسف! تصوراتهم لقصة الخروج الإسرائيلي من مصر، استناداً إلى هذا النص من سفر العدد، ودون أن يتساءلوا عن معنى (صوعن مصر)! ما يقوله النصّ حرفياً هو الآتي: إنَّ الرجال ذهبوا ليروا الأرض الممتدّة من سهوب جبل صن ـ الصنه ورحب، وحمّة فعبروا وادي أشكول وحبرون، ومرّوا قرب شمّ ومضوا في سراة جنب.

ولنبدأ من المقطع الأول:

فصعدوا وجاسوا الأرض من برية صين إلى رحوب في مدخل حماة.

ויעלו ויתרו את הארץ ממדבר צן עד רחב לבא חמת

في هذه الترجمة يجب تعديل النص على النحو الآتي:

فصعدوا وجاسوا الأرض من برية صينه إلى رحب فبلغوا حمّة.

وهذه المسافة معلومة وصحيحة. وبالطبع يستحيل تخيل أن بني إسرائيل دخلوا سيناء المصرية فوصلوا حماه السورية؟ إنَّ الطريق الجبلي النازل من جبل الصنه في تعز، يتشكّل في صورة سهوب خصبة، تمتد من مديرية المعافر حتى جبل قدس في منطقة سامع. لقد بلغوا حمّة في الشمال الشرقي لتعز باتجاه محافظة إب، وهما حمّتان عليا وسفلى في مديرية المسراخ ضمن عزلة

الأقروض، والمديريتان متجاورتان. **أما صوعن**، فهي ذاتها **ضوعان ضمن مديرية الحَيْمَة** ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الياء وفتح الميم، والمختومة آخرها بتاء التأنيث المربوطة ونحن نعلم أن العبرية لا تعرف الحرف (ض) وتستبدل به (ص). تقع الحَيْمَة في الجهة الغربية من حضور وشرقي حراز، وتشتهر بزراعة البن والقات والعنب وغيرها، وتنقسم إلى **مديريتين** يمكن الوصول إليهما من المفرق الواقع بعد **ضوعان** على الطريق الرئيسي، الممتد بين العاصمة **صنعاء ومدينة الحديدة. هذه هي صوعن ـ ضوعان القديمة** التي كانت تحت سلطة مملكة **معين مصرن** قبل عصر المكربيين. وسيكون واضحاً أن مقاصد النص العبري تنصرف إلى وصف مدينة بعينها من مدن اليمن القديمة، كانت تحت سلطة المعينيين حكام **مصرن لا مصر الإقليم**، وهي من ممتلكاتهم القديمة. والنص يأخذها نموذجاً للمدينة العتيقة.

هذا المثال الدراسي يوضح لنا جوهر المشكلة، **فمصر البلد الإقليم لا تعرف** مدينة أو قرية باسم **حبرون بنيت قبل بناء صوعن مصر צען-מצרים!** وما علاقة **مصر بحبرون**؟ بهذا المعنى، سنثير في هذا الكتاب وهو الثاني من المجلد الأول ـ **مسألة مصر** بوصفها لبّ المعضلة التاريخية، وهي مسألة تتخطى وتتجاوز موضوع التماثل في أسماء الأماكن، لتصبح مسألة تخصّ التاريخ السبئي، لا مجرد علاقة مصر بالتوراة. ولدينا في هذا النص مدن لا وجود لها في جغرافية مصر القديمة، قطّ. إنَّ نقطة انطلاق الرجال كانت سهوب **جبل صن ـ صنه**، وهذه الطريق هي اليوم في مديرية **المعافر في تعز، وتدعى الصنه**. ومن صنه اتجهوا صوب جنب قاصدين **وادي أشكول**. ولأنهم مضوا في طريقهم صوب مدخل حمّة (وليس حماة السورية كما يتوهم البعض)، فهذا يعني أنهم ساروا في المكان نفسه، أي ما يدعى اليوم محافظة

تعز، ليدخلوا في مديرية المسراخ ثم عزلة الأقروض في المحافظة نفسها، ولكن في مديرية أخرى هي مديرية شرعب الرونة، وليستريحوا داخل عزلة جبلية تدعى عزلة بني زياد، وفي قرية تعرف اليوم باسم قرية العزلة، وفيها محلة جبلية شهيرة تعرف باسم محلة شعب الجنب. وهكذا سينعطف بهم الطريق الجبلي نحو مرتفعات جنب. ثم سار الرجال صعوداً نحو إب في الجنوب الغربي، ليدخلوا مديرية حبيش وعزلة بني شبيب ليصلوا قرية حبران (حبرون).

المقطع الثاني:

(وأتوا إلى وادي أشكول وقطعوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين.
ויבאו עד נחל אשכל ויכרתו משם זמורה ואשכול ענבים אחד וישאהו במוט בשנים ומן הרמנים ומן התאנים

فدُعي ذلك الموضع وادي أشكول بسبب العنقود الذي قطعه بنو إسرائيل من هناك.
למקום ההוא קרא נחל אשכול על אדות האשכול אשר כרתו משם בני ישראל).

لا يبدو هذا النّص مفهوماً لأيّ قارئ، فما معنى أنّهم قطفوا عنقوداً واحداً من العنب حمله اثنان في دقرانة مع قليل من الرمان والتين؟ وهل يمكن تخيّل رجلين يحملان عنقوداً واحداً من العنب في دقرانة بين اثنين؟ المثير للدهشة أنَّ الجزء الثاني من هذا النص يخلو من كلمة (عنقود عنب)! والترجمة الصحيحة لهذا الجزء من المقطع يجب أن تكون هكذا:

(ووصلوا عند وادي أشكول وقطعوه من شمّ وزموره. وأشكول وعناب إحداها، ومضوا في موط. وفي سنيم ومن الرمون ومن تأنيم، فسُمِّي المكان أشكول لأنَّ بني إسرائيل قطعوه من شم).

وحسب النص فإن (أشكول وعناب في موط وفي سنيم). وهذا يعني أنَّ مياه وادي أشكول الذي اندثر اسمه اليوم، كان يجري بين مديرية الملاجم (حيث قرية موط) ومديرية يريم حيث (قرية السنان وفي الرسم الحميري للاسم سنيم). وهاتان القريتان هما اليوم من مديريات محافظتي البيضاء وإب. تدعى موط القديمة ـ في النطق اليمني بإضافة النون الكلاعية ـ موطن، وهي تتبع مديرية الملاجم وتقع في عزلة عفار آلمفتاح. هناك يمكننا أن نجدها بالاسم نفسه: الموطن الأعلى والموطن الأسفل. أما أشكول ـ الشكول، فسوف نجدها هناك باسم الشكيلية في محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الأسد، قرية الوعيرة محلة الشكيلية. أما عناب ـ عنب، فليست سوى قرية العنبة في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قصع حليان، قرية رأس قصع، محلة شعب العنبة. وهناك عناب أخرى في مكان أبعد، ضمن محافظة إب وتتبع مديرية القفر، ونجدها في عزلة بني جماعه، ولا يزال اسمها هناك في قرية الغبيب السافل، وتدعى محلة عناب، بينما نجد شم بحسب الوصف التوراتي، وبتتبع الطرق والمسالك في قلب محافظة تعز انظر ـ الخريطة ـ في صورة شمت ـ شمات بإضافة التاء اللاصقة، وهي اليوم تدعى مديرية الشمايتين (مفرد شمت بالرسم اليمني التقليدي: قرش ـ قرشت).

أما زمورة، فهي من قرى محافظة إب وتتبع مديرية ذي السفال، ونجدها هناك في عزلة الدخال وضمن قرية المنبل باسم (محلة) ذي زامر ـ زمر. وهذا

يؤكد لنا أنَّ الرجال ساروا في المرتفعات الجبلية من أطراف تعز، ليدخلوا جزءاً مما يُعرَف اليوم بمحافظة البيضاء، ثم ليجدوا أنفسهم في منطقة القفر التي تتبع محافظة إب. وهناك شاهدوا بني عنق. وهؤلاء هم اليوم سكان قرية عنق في مديرية القفر ضمن عزلة بني سيف العالي حيث قرية عنق. ثم أخذوا طريقهم من مديرية القفر حتى بلغوا مديرية مذيخرة، وهما مديريتان من مديريات إب، فراحوا يفحصون الأرض ويتأكدون من تحصينات السكان، فدخلوا في منطقة تدعى تنئيم. وهي اليوم تعرف باسم ذي تنام في محافظة إب وتتبع مديرية مذيخرة، حيث عزلة الأشعوب. هناك وجدوا أنفسهم داخل قرية الشرقي وبها يعرف اليوم بـ (محلة) ذي تنام. وهكذا، سار الرجال صوب سنيم والرمون، وهما قريتان جبليتان تتبعان مديرية العدين في محافظة إب، وفي عزلة بلاد المليكي حيث توجد قرية حمر وشعب الرمانة ـ الرمون، وإلى جوارها عزلة سنيم التي تنطق اليوم في صورة السنام. وهي تتبع مديرية يريم في عزلة خودان حيث قرية الجبجب ومحلةالسنام ـ سنيم. إن سائر هذه الأماكن التي تفحّصها الرجال، هي (مخاليف صغيرة) تابعة لسلطة المعينيين الذين أطلقوا على مملكتهم العظيمة اسم (مصر ـ مصرن). وهذا هو الاسم المقصود في التوراة: مصريم מצרים (والنون والميم حرفان يتبادلان الوظيفة)، وذلك ما سوف نشرحه بالتفصيل.

هذه خلاصة تمهيدية، قد تساعد القرّاء غير المتخصصين في استيعاب نظرية الكتاب.

الهوامش

(١) عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، القاهرة- منشورات المجلس الأعلى ١٩٩١١.

(٢) النص العبري، تكوين/ برئشيت ٤٧: ٢٧.

(٣) ابن الكلبي توفي عام ٨٦ هجرية (٧٠٨ م).

(٤) أبو الفداء، مختصر تاريخ البشر ١/ -١٩- (وأمة اليهود أعمّ من بني إسرائيل، لأنَّ كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً، ولم يكونوا من بني إسرائيل، وإنما بنو إسرائيل هم الأصل في هذه الملة، وغيرهم دخيل فيها. فلذلك قد يقال لكل يهودي إسرائيلي).

(٥) في الترجمة السائدة تترجم كلمة (سر طبحيم) إلى خصي؟ والصحيح (كبير حراسه، أو حارسه الخاص، أو الحاجب)، وسنرى في صفحات تالية أن هناك معنىً آخر للجملة.

(٦) ויתרו: جاسوا الأرض، أي مشوا في الأرض، تراءى لهم، شاهدوا، رأوا وليس (تجسّسوا).

(٧) ממדבר-צן: سهول صن وليس صين. والتهجئة الصحيحة صن. أما صين هذه، فقد تلاعب بها المترجمون، فصارت تارة سيناء وتارة سين!

(٨) חמה: حمّه وليس حماه. ورسم الاسم بهذه الطريقة يوحي باسم حماه السورية! وهذا غير منطقي. فأين مصر من حماه السورية؟

(٩) בנגב: جنب، وقد ترجمت إلى جنوب، وهذا غير صحيح. والكلمة هنا اسم جبل يدعى جنب، بدلالة أنَّ النص يستخدم كلمة (صعدوا) وكلمة جنوب في العبرية (يمن - يمين، وشمال - شمأل).

(١٠) ושם: شمّ. في العادة تترجم شم إلى (ثم)، وهذا غير صحيح، لأنَّ الكلمة تنصرف هنا بحسب الوصف إلى موضع يدعى (شم).



الفصل الأول

كيف قُرئ اسم مصر في التوراة؟

تسببت القراءة الاستشراقية لاسم مصريم מצרים في التوراة، ولاسم مصر (مصرن) كذلك في النقوش الآشورية واليمنية (نقوش خط المسند) في حدوثَ فوضى واضطراب لا سبيل للتخلص منهما بسهولة. وهذا شبيه بما جرى مع كثرة من أسماء البلدان و(الجماعات) الأخرى. بهذا المعنى، أصبح اسم مصر مشكلة حقيقية لا يمكن التغاضي عنها. لكن هذه المشكلة بدت جزءاً من مشكلة أكبر وأكثر تعقيداً ممّا يُعتقَد، فقد حوّلت القراءة التوراتية التقليدية أسماء الجبال والوديان والقبائل الواردة في التوراة إلى أسماء خيالية لا وجود لها، وفقط من أجل مطابقتها مع جغرافية فلسطين بهدف خلق غطاء ديني تاريخي، برغم أنَّ علم الآثار لم يؤيد وجودها هناك. إنَّ المسألة المطروحة والأكثر إلحاحاً اليوم، هي إعادة النظر في القراءة الشائعة عند علماء الآثار وكتب التاريخ القديم لاسم مصر، بوصفها حجر الزاوية في هذا التلاعب الذي شوّه التاريخ.

وهاكم نموذجاً من هذه القراءة يوضّح حجم اللبس والخطأ ومقدارهما:

الخبر التاريخي الشائع في مؤلفات علماء الآثار والمؤرخين، بمن فيهم بعض تلامذتهم العرب ممن ساروا على خطاهم(١)، يقول إنَّ الآشوريين عيّنوا حاكماً عربياً على مصر. لقد استُخلِص هذا الخبر الخاطئ من قراءة خاطئة للتوراة وللنقوش الآشورية ونقوش المسند اليمنية على حدّ سواء. ومعلوم أنَّ كثرة من هؤلاء غالباً ما كانوا يلجؤون إلى النص التوراتي، لمطابقة ما يحصلون عليه من الحفريات، مع ما ورد في هذه النصوص. هنا نص الخبر:

في سنة ٧٣٤ ق.م عيَّن الإمبراطور الآشوري تجلات بلاسر الثالث (عربياً) اسمه أدبئيل *Idiba'il* والياً على (مصري) ـ أي مصر ـ ليدير شؤونها بالنيابة عنه.

فقد زعم موسل(٢)، مثلاً وهو يقرأ بعض الأسماء في النقوش، أن تجلات بلاسر الثالث وسّع صلاحيات هذا العربي، بحيث صار يحكم خمسة وعشرين موضعاً من عسقلان *Ashkelon* **الفلسطينية حتى مصر**(٣)!

وبرأي موسل أيضاً، فقد كان سلطان هذا الشيخ القبلي يبلغ حدود مدينة غزة، وأن جيوش تجلات بلاسر الثالث سيطرت على هذا الميناء المهم الذي كان نهاية طرق القوافل التجارية الآتية بصورة خاصة من الحجاز، وهو ميناء كان مقصد تجار يثرب ومكة حتى ظهور الإسلام.

المثير للحيرة في هذا الاستنتاج التعسفيّ، أنَّ تحليل نقوش حملة تجلات بلاسر الثالث يوضّح مساراً مختلفاً، فهي اتجهت صوب اليمن! فكيف انتقلت الحرب فجأة من هناك، لتصبح داخل مصر؟ هذا يعني أنَّ مسرح الحرب أصبح واسعاً بصورة يستحيل تقبّلها، وكيف تكون حملة العاهل

الآشوري في اليمن ثم فلسطين، وأخيراً في قلب مصر، ثم تنتهي بتعيين زعيم قبلي ليقود هذا البلد الشاسع الأرجاء؟ هذا هو جوهر التناقض في الرواية التوراتية. إنَّ إعادة بناء الرواية التاريخية هو العمل الوحيد الذي سيمكّننا من الحصول على رواية متماسكة وصحيحة عن مغزى ورود اسم مصر بهذه الصورة، وما المقصود منه، وذلك ما سيمهد الطريق أمامنا لتطهير التاريخ من الخداع. لقد أدت هذه القراءة الخاطئة والمِخْيالية إلى فوضى في ترتيب العصور والجغرافيات القديمة، إذ بموجبها سيكون علينا قبول فكرة أنَّ الآشوريين زحفوا على الجزيرة العربية، وبدلاً من الهيمنة عليها فرضوا سلطانهم على فلسطين، واستولوا على ميناء غزة، ثم فرضوا سلطانهم على مصر. وهذا ما لا أساس له في التاريخ.

ولأنَّ اسمَي عسقلان وغزة وردا بالتلازم مع اسم مصر في نقوش حملة تجلات بلاسر الثالث، فقد افترض علماء الآثار أنَّ أحداث التاريخ القديم سارت في هذا المنعطف الغريب. لكن (مصري) هذه ليست مصر بكل تأكيد، وعسقلان هنا لا تعني عسقلان فلسطين التي ظهرت بعد قرون طويلة من الحملة الآشورية، وغزة في هذا النقش لم يكن لها وجود بشهادة الجغرافيين القدماء. والمثير للحيرة، أنَّ عالم الآثار الشهير جام[٤] عثر على نقش بخط المسند، يسجل الاسم نفسه الوارد في النقش الآشوري، ولكن كاسم لقبيلة عربية يمنية في صورة (عثكلان ـ عسقلان) والسين والثاء حتى اليوم تتبادلان الوظيفة في اللهجات العربية، ومنها المصرية والشامية (أثاث=أساس). وكذلك القاف والكاف (أقول/ أكول). ومع ذلك، لم يؤدِّ اكتشاف النقش لأيِّ تعديل في نظرة جام للأحداث التي (اختلقتها) قراءته حتى مع تفجّر سجال علمي حول مسألة مصر.

يقول نصّ النقش[٥]:

بني/ عثكلن/ هقني/ المقه/ ثهون/ بعل/ أوم/ صلمن/ حجن (**بنوعثكلان** تقربوا للإله المقه ثهوان بعل أوام بصنم خلال الحجّ).

ولنلاحظ هنا دخول النون الكلاعية على الأسماء والكلمات مثل صلم ـ صلمن، حج ـ حجن. كذلك يجب علينا ملاحظة أن بني عثكلان هؤلاء، هم من القبائل المعروفة التي ورد ذكرها كثيراً في النقوش الحميرية ـ من بطون بكيل وحاشد اليمنية التي كانت تعيش في مأرب[٦]ـ. ولنلاحظ كذلك التطابق بين الكلمة السبئية (هقنيو) والعبرية (يقنو) بمعنى اقتنوا، قدموا. لقد فجّر هذا الخلاف، حول صحّة قراءة بعض النقوش اليمنية والآشورية، جدلاً صاخباً بين علماء الآثار والتاريخ. فقد لاحظ هؤلاء أنَّ النقوش الحميرية (اليمنية) تورد الأسماء نفسها الواردة في النقوش المصرية والآشورية ونصوص التوراة. وبالطبع، فمن المستحيل تخيّل أنَّ القبائل اليمنية سجلت هذه الأسماء بوصفها أسماء مدن وقبائل في فلسطين! والأصحّ أنهم دوّنوا أخبار معاركهم في أماكن ومواضع تخصّهم، وسجلوا بدقة أسماء ملوكهم وألقابهم وأسماء آلهتهم. وبلغ هذا التطابق حدّاً مدهشاً، فأسماء ملوك القبائل وألقابهم كانت تتطابق مع ما يماثلها في نقوش المسند، وبالصيغ ذاتها، مثل: يثع/ أمر. ومثل: أمر/ بين/ مكرب/ سبأ[٧] أو مثل: يثع/ أمر/ بين/ سمه/ علي[٨].

وهذا تطابق مذهل، يؤكد أنَّ ما ورد في النقوش اليمنية، ورد بالصيغ نفسها في سجلات الآشوريين والمصريين، بما لا يسمح بأيِّ تلاعب. ومع هذا، أثار وجود اسم مصر بالتلازم مع أسماء أخرى مثل اسم قبائل (مدي) نقاشاً لم

يهدأ حول حرب مزعومة ولا أساس لها في التاريخ المكتوب، نشبت بين مصر ومدي الفارسية! وبعض هذه النقوش تتحدث بالفعل عن حرب بين مصر ومدي، وتتطابق مع أخبار مماثلة وردت في التوراة!وقد أَلَّف ونكلر[٩] رسالة سمّاها (مصري وملوخا ومعين) بَيَّنَ فيها رأيه القائل إنَّ (مصري) هي أرض عربية شمالية، وإنَّ مصر المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب، لا في إفريقية. وقد أثارت نظرية ونكلر هذه جدلاً بين العلماء، وقوبلت بنقد شديد، لأنها تعارض نصوص التوراة كما جرت قراءتها بالمخيال الاستشراقي. فهل من المقبول علمياً الافتراض أنَّ قبائل العرب في اليمن سجلت وقائع مثل هذا الصراع بين مصر البلد العربي مع ميديا الفارسية؟ وما علاقة النصوص اليمنية بمثل هذه الأخبار إذا كانت قد وقعت في فلسطين أو مصر؟

لدينا في نقوش اليمن أخبار عن حروب قبائل جرت بين مصر ومدي، وفي التوراة لدينا نصوص عن حروب بين مصر ومدي! فماذا يعني ذلك؟ وفي النقوش الآشورية مثل هذا، فهل يجب الافتراض أنَّ هذه الأخبار تعني أن حروباً وقعت بين مصر البلد العربي ومدي ـ مديا العيلامية ـ الفارسية، كما افترض علماء الآثار من التيار التوراتي؟ وما علاقة الآشوريين بمعارك مصر مع فارس ليسجلوها في حولياتهم؟ هل ثمة خطأ في القراءة؟ إذا ما قمنا بتحليل نقوش حملة سرجون الثاني ٧٢٤ -٧٠٥ ق.م، فسوف نتمكن من تفكيك لغز مصر. ففي السنة السابعة من حكمه، أي عام ٧١٥ ق.م شنَّ حملة حربية من أجل تأديب قبيلة يسميها تمودي ـ ثمود *Tamudi* وأخرى تدعى أباديدي ـ عباديدي، كذلك ضرب قبيلة تدعى مرسماني *Marsimani* وأخرى تدعى خيابة ـ حجابة *Hajapa*، وهزم هذه القبائل وأسر شيوخها، ونقل من وقع في يديه منهم إلى منطقة تدعى السمرة. وهذه فُهمت بطريقة

اعتباطية على أنها السامرة في فلسطين *Samaria*، كذلك تلقى الجزية من ملك يدعى برعو *Pir'u*، ومن ملك مصري *Musuri* ومن يتع أمر السبئي، وكانت من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وأنواع البذور والنبات والخيل والإبل[١٠]. فما علاقة الملك السبئي بفلسطين؟ ولماذا تسجل حملة سرجون الثاني خبر قتاله ضد ملك سبئي مع اسم مصر وثمود؟

وهنا جزء من نص[١١] النقش الذي تركه سرجون الثاني:

*17, The tribes of **Tamud,** 'Ib&didl, Marsimanu and **Haiap** &, distant Arabs, who inhabit the desert, who know neither high nor low official (governors nor superintendents), and who had not brought their tribute to any king, —with the weapon of Assur, my lord, I struck them down, the remnant of them I deported and settled them in Samaria.*

*18. **From Pir'u,1king of Egypt, Samsi, queen of Arabia, It'amra, the Sabean,** the kings of the seacoast and the desert, I received gold, products of the mountain, precious stones, ivory, seed of the maple (?), all kinds of herbs, horses, and camels, as their tribute. I defeated **Mita, king of Muski,** in his province. The cities of **Harrua** and **Ushnanis,** fortresses of the land of **Kue,** which he had held by force since distant.*

الترجمة العربية:

١٧. وقبائل (ثمودي، وعبيدي ومرسماني، وخيابة ـ خياب (حجابه) *(Haiapâ و Ibâdid, Marsimanu-Ib & Tamud)* وقبائل عربية بعيدة من ساكني الصحراء، والذين ما كانوا ليعرفوا صاحب أمرٍ كبير ولا صغير (من حكام أو قادة) ولا يدفعون جزية لأي ملك. بسلاح آشور يا سيدي ضربتهم وأبعدت من تبقى منهم لأوطنهم في السامرة *Sumaria*.

١٨. ومن برعو ***Pir'u*** **أحد ملوك مصر** وشمسي *(Samsi)* ملكة جزيرة العرب و**ءمرالسبئي** *(It'amra the Sabean)* وملوك الساحل والصحراء تلقيت الذهب، وخراج الجبال والأحجار الكريمة والعاج وبذور الكتان (؟) وكل أنواع الأعشاب والخيول والجمال، كجزية منهم. وهزمت متع *(mita)* ملك موسكي *(Muski)* على أرضه في مدن حوره *(Hurra..)* وفي حصون أرض قو *(KUE)* التي كان يحكمها بالقوة منذ أمد.

ما يثير الانتباه في هذا النقش، أنه يشير في آنٍ واحد إلى سبأ القبيلة، ثم المملكة اليمنية، وإلى مصري، ويشير أيضاً إلى ملك يمني يدعى يتع أمر! فضلاً عن ذلك، يشير النقش إلى (السامرة ـ شمير *Samaria*). وبالطبع، يصعب تخيّل أنَّ الآشوريين فرضوا في آن واحد، وخلال حملة واحدة، سلطانهم في مكانين متباعدين لا تجمعهما جغرافيا واحدة؟ كذلك فإنَّ التاريخ المكتوب لا يعرف واقعة من هذا النوع، إذ لم يحدث في أي وقت من التاريخ أن تمكن الآشوريون من حكم سبأ ومصر في وقت واحد! الخطأ الجوهري في قراءة النص، أنَّ علماء الآثار لم يميِّزوا بين مصري الموضع القبلي، ومصر الإقليم، وما المقصود منهما. والغريب أنَّ مؤرخاً عربياً قديماً هو الطبري، كان أكثر فطنة من علماء الآثار، حين ارتأى خلال سرده لقصة اجتياح نبوخذنصر للجزيرة العربية، أنَّ الآشوريين اصطدموا بقبائل عدنانية (مُضَرية) بقيادة معد بن عدنان[١٢]، وأنهما عقدا صلحاً وافقت عليه قبائل العرب ونبوخذنصر[١٣]. فلماذا لم يكتب الطبري اسم فلسطين في هذا النصّ، وبدلاً منه وضع اسم نجران والجزيرة العربية (الشمالية)؟ وما معنى إشارته إلى أنَّ الحرب وقعت بين الآشوريين وقبائل معد بن عدنان، أي المُضريين ـ من مُضر؟

فهل قصد سرجون الثاني، وهو يسجل نقشه أنّه فرض الجزية على مصر أم على قبائل مصر في معين الجوف التي كانت تسيطر على طرق التجارة الدولية، وتحتكر تجارة البخور، وهي ما يضاهي النفط اليوم؟ ومتى كان ذلك وكيف؟ من المؤكد أنَّ هناك قراءة خاطئة سبّبت هذا اللبس. وهاكم بعض الملاحظات الأولية لتفكيك لغز مصري هذا.

إن نقوش المسند اليمنية تورد اسم مصريم מצרים التوراتي في صورة (مصرن)، وهي صيغة تتطابق مع الصيغة التوراتية (لأن مصريم هو اسم النسبة من مصر). وكنا قد أشرنا إلى اسم معين مصرن ـ في الكتاب الأول ـ كاسم دالّ على مملكة ـ مجتمع ينتمي إلى مكان يدعى مصر، وحتى اليوم هناك قرية تدعى قرية المصري في محافظة إب، وتدعى رخمة المصري في مديرية يريم ضمن عزلة بني مسلم.

هذا النموذج الدراسي التمهيدي الذي أسوقه هنا، هدفه تبسيط نظرية الكتاب للقرّاء غير المتخصصين، ولفتح النقاش العلمي مع أهل الاختصاص حول أهمية إعادة بناء الرواية التاريخية. وفي هذا الإطار، سأشير إلى أنَّ الأوساط الأكاديمية عاشت أخيراً حدثاً تاريخياً استثنائياً، من شأن دراسته علمياً أن تغيِّر نظرتنا كلياً للحملات المصرية الحربية وأين اتجهت. ففي الآونة الأخيرة أُعلِن رسمياً اكتشاف أول نقش هيروغليفي في الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) على صخرة ثابتة بالقرب من واحة تيماء، ويحمل توقيعاً ملكياً ـ خرطوشاً مزدوجاً ـ للملك رمسيس الثالث١١٩٢ - ١١٦٠ق.م. لقد أعاد اكتشاف النقش الجدل القديم إلى النقطة الصفر، ومن جديد حول مسألة مصر في التوراة والنقوش الآشورية

وفي المساند الحميرية، ذلك أنَّ الحملة كانت تشقّ طريقها في عمق الجزيرة العربية لا جنوب الشام!

ويبدو أن العثور على نقش رمسيس الثالث بالقرب من تيماء في منطقة تبوك الحالية، فجّر تساؤلاً كبيراً عن أسباب وجوده في عمق الشمال الغربي للجزيرة العربية، بينما كنا نعلم أنه اتجه نحو جنوب بلاد الشام! فأين هي الحقيقة؟ صحيح أنَّ العلماء حصلوا في السابق على عدد من اللقي الأثرية الصغيرة المصنوعة في مصر، وذلك خلال الحفريات في عدد من المواقع الأثرية، مثل مدافن جنوب الظهران في المنطقة الشرقية وفي الفاو عاصمة مملكة كندة، الواقعة في الجنوب الغربي لهضبة نجد، وفي تيماء نفسها، بيد أنَّ الصحيح كذلك، أنَّ معظم هذه القطع كانت عبارة عن (جعلان) من الخزف، لا تكاد تنطق بأيّ حقيقة تاريخية عن الحملات العسكرية المصرية. ومن غير شك، سيغيّر اكتشاف هذا النقش نظرتنا إلى التاريخ القديم وأحداثه كليّاً، وسيقدم تفسيراً حاسماً لمعارك كبرى مثل معركة قدش وكركامش وقرقر.



ميديا ومصر

والآن، لما كانت التوراة والنقوش اليمنية كذلك تسجِّل في بعض نصوصها اسم مصر بالتلازم مع اسم (مدي)، فقد اختلف الباحثون وعلماء الآثار في تعريف معنى الاسمين وتحديده، كما اختلفوا في تعيين زمن الحرب التي تقول التوراة إنها نشبت (وسط أرض مصر) بين الطرفين. وسبق للدكتور جواد علي، أن قدّم عرضاً مسهباً لآراء علماء الآثار في هذه النقطة، ولاحظ أن هومل[١٤] ارتأى في خلال نقاشاته أنَّ (مدي) قبائل من بدو سيناء! بينما ارتأى فلبي[١٥] أننا يجب أن نقرأ الاسم بالذال المعجَمة بنقطة من فوق (مذي). وهؤلاء برأيه هم (المذيانيون) الذين ورد اسمهم في التوراة. وذهب بعض آخر من علماء الآثار إلى أنهم (المديون من ميديا) في فارس القديمة! وارتأى آخرون أنَّ المعينيين كانوا قد أطلقوا تعبير (مذى) كلقب احتقاري على هؤلاء، بسبب تحالفهم مع بني إرم! وذهب فلبي أبعد من ذلك، حين افترض أنَّ هؤلاء هم أهل مدين (المديانيين) الذين كانوا يتحرّشون بالعبرانيين، وهم سكان أرض واسعة تمتد من خليج العقبة إلى

موآب وسيناء. لكن فلبي عالم الآثار الذكي، تنبّه إلى حقيقة مهمة، هي أنَّ المعينيين سكان الجوف اليمني، عُرفوا باسم مملكتهم القديمة (معين مصرن) نحو ٨٠٠ ق. م، أي معين المصرية، وأنَّ الحرب وقعت بينهم وبين قبائل (مدي). وهذا من وجهة نظري هو أجرأ وأفضل رأي من بين كل الآراء التي طُرحت للنقاش. أمّا ونت، فارتأى أن حرب (مذي) و(مصر) هي الحرب التي وقعت بين (الميديين) والمصريين في سنة ٣٤٣ ق. م بعد أن استولى أرتحشتا أوخوس *Artaxerxes Ochus* على مصر. وإلى هذا الرأي ذهب أيضاً البرايت[١٦] *Albright*، بينما ارتأى ملاكر *K. Mlaker* (أنَّ هذه الحرب هي الحرب التي وقعت في نحو سنة ٥٢٥ ق. م وقادت إلى فتح قمبيز *Cambyses* لمصر)[١٧]. وفي هذا السياق لابد من التنويه أن المؤرخ العراقي جواد علي، لخّص لنا آراء علماء الآثار في مسألة مدي، تلخيصاً ممتازاً عرض فيه مختلف الآراء. فقد ذهبت بيرين *J. Pirenne* إلى أنَّ الحرب المذكورة وقعت في الفترة ما بين ٢١٠ إلى ٢٠٥ ق. م، وأنَّ المراد من مذي «السلوقيون» ومن مصر «البطالمة»، وأنها قد تشير إلى الاستيلاء على غزة في سنة ٢١٧ ق.م تقريباً. وسأقدّم في الصفحات التالية صورة (ونصّ) هذا النقش المثير للجدل، وأعرض لأهم الوقائع التي سجلها.

في هذا الإطار زعم بيرين *J. Pirenne* ، استناداً إلى قصص التوراة، أنَّ اكبر المعارك وقعت عند موضع *Rapheia* (رفح). ثم تفنّن بعض علماء الآثار في تأويل الاسم، فزعم بعضهم أنَّ لفظة مذي، إنما كانت تعني الحكومة التي تحكم العراق، وأنَّ هؤلاء هم من (الماذويين)، وأنَّ مصر تعني الحكومة التي تحكم مصر! وارتأى بعض آخر أنَّ مذي في التوراة ونقوش المسند، هي ذاتها (ها ـ مذي) التي وردت في نصّ صفوي من سنة ٦١٤ للميلاد، وقد

قصد بهم الفرس. والمثير للدهشة أنَّ إطلاق لفظة ها ـ مذي، أي (الميذيين) على الفرس، لم يثر في أوساط علماء الآثار اعتراضاً كبيراً مثل الاعتراض على تفسير مذي بـ(سلوقيين)، رغم أنَّ هذا التفسير، كما لاحظ جواد علي، يتضمن خطأً تاريخياً فادحاً، إذ إنَّ الساسانيين هم من الفرس، والماذيين هم من الفرس كذلك! أما (السلوقيون)، فمعلوم أنهم من أصول يونانية، فكيف تكون مذي فارسية ويونانية في آن واحد؟

يُلاحَظ في هذا العرض السريع لآراء علماء الآثار(١٨) كيف أنَّ سائر القراءات لاسم مصر ومدي، تلاعبت بتاريخ مصر بصورة مهينة وغير مسبوقة، وأنها كانت نوعاً من تخبّط دراسي أدّى فعلياً إلى تشويه التاريخ وتزييف وقائعه. لقد ورد اسم مدي في نقوش مسندية كثيرة، وهي تُعَدّ من المناطق التهامية التي تقع على ساحل البحر الأحمر، ضمن مديريات محافظة حجّة اليمنية، وعرفت كميناء شهير، حيث يوجد وادي حبل ـ حبل في التوراة. وميدي (المدينة) نفسها تشتهر بكونها ذات طابع أثري تاريخي، وسكانها من القبائل المعروفة في التاريخ. ولعل الجدل الذي لم يهدأ بعد حتى الآن، رغم مرور وقت طويل على تفجّره في أوائل القرن الماضي، حول ما زُعم أنها حروب ومعارك دارت بين مصر وميديا الفارسية، سببه المباشر أنَّ هؤلاء استندوا في فهمهم لبعض النقوش إلى ما ورد في التوراة بهذا الصدد. وممّا ضاعف من شدّة الالتباس، أنَّ النصوص التوراتية التي تناولت السبي البابلي، ذكرت اسم (مدي) أيضاً، وفُهم منها أنَّ الآشوريين نقلوا الأسرى اليهود إلى بلاد فارس! ثم سرعان ما تفاقم اللبس مع نشر دراسات للنقوش الآشورية، ومنها نقش لسرجون الثاني سجَّل فيه صراعه ضد (مدي) و(مصر). بيد أنَّ أكثر ما أثار اللغط في هذه المسألة، الدراسات التي قرأت نقش

تجلات بلاسر الثالث، واستنتجت منه أنه عيّن عربياً موالياً للآشوريين حاكماً على (مصر). لذا، شاع في المؤلفات التاريخية الزعم القائل إنَّ الآشوريين، بعد انتصارهم على مصر، عيّنوا شيخاً قبلياً والياً عليها. لكن التاريخ المكتوب لا يعرف هذه الوقائع، فلا الآشوريون عيّنوا حاكماً عربياً على (مصر) البلد العربي، ولا المعارك دارت بين (مصر) العربية و(ميديا) الفارسية. كل هذا وسواه، هو الذي يفرض علينا إعادة طرح (**مسألة مصر**) للنقاش العلمي. ومن المؤكد أنَّ الأخطاء التي ارتكبها بعض علماء الآثار في أوروبا والعالم العربي، وتسرّعهم في إطلاق استنتاجات غير موضوعية، هي التي أدّت إلى حجب الحقيقة التاريخية، وإحلال سلسلة من الحقائق الزائفة محلها، سرعان ما لاقت رواجاً حتى في الأوساط الأكاديمية.

وسوف أقدم ـ بعد صفحات ـ نص النقش الذي ورد فيه اسم مصرن (مصريم)، بالتلازم مع اسم مدي. إنَّ النقاش الصاخب بين علماء الآثار دار حول هذا النقش طوال قرن. وبالطبع، فهذه النقاشات لم تهدأ حتى اليوم. ومع كل هذا، ظل السؤال المحيّر بصدد علاقة مصر مع مدي (في النقوش اليمنية) يواجه الجميع: إذا كانت مصر تعني مصر الإقليم، ومدي تعني فارس القديمة، فلماذا اهتمّت نقوش المسند اليمنية بتسجيل أخبار معارك لا تعنيها؟ ولماذا سجلتها النصوص التوراتية؟ ليس ثمة أي مبرر مقنع، إلا إذا تقبلنا حقيقة أن مصر لا يقصد بها مصر، ومدي لا يقصد بها فارس؟ ومن المؤكد، أن نقوش المسند دوّنت أخبار صراعات قبلية بين مملكة مصرن وقبائل مدي على الساحل، وذلك في حقبة توسع مملكة مصرن باتجاه الساحل لتأمين نقل البخور بواسطة السفن، بعد أن أصبحت الطرق البرية محفوفة بالمخاطر. إنَّ تسجيل أخبار المعارك القبلية يندرج في صلب تقاليد

سردية عربية قديمة، يعرفها كتاب التاريخ بما يسمّى (أيام العرب)، وهي سجلات كانت تُعنى بتدوين كل شاردة وواردة عن المعارك القبلية. وهذا يعني أننا يجب أن نضع مثل هذه الأخبار، ضمن النسق الثقافي التاريخي لهذه التقاليد، فالصراع كان في الأصل صراع سكان سواحل على مناطق النفوذ والتجارة، ولم يكن صراعاً بين مصر الإقليم وبلاد ميديا الفارسية، وأن هذه القبائل قبائل يمنية. وهذا ما يفسّر سبب ورودها في نقوش المسند، أي أنَّ ملوك اليمن سجلوا ودوّنوا أخبار حروبهم في مناطقهم، ومن بين هذه المدوّنات الكثيرة، نقوش عن معارك دارت بين قبائل من (معين مصرن) في الجوف اليمني مع قبائل ميدي في حجّة. لذا، لا صلة لمصر بهذه الحرب.

لقد كان هذا الصراع مصيرياً بالنسبة إلى مملكة معين مصرن التي سعت، بكل الوسائل العسكرية والسياسية إلى الاستيلاء على سواحل حجة (وميناء ميدي بنحو أخص)، وذلك وحده ما كان يسمح لها بنقل تجارتها من البر إلى الساحل. والأمر المثير في الاستخلاص التعسفيّ والمتعجّل الذي خرج به علماء الآثار من التيار التوراتي، أنه كان يتجاهل عن قصد الوقائع التي تشير إلى صراع حقيقي حدث بين قبائل، وليس بين دول، وأنَّ التاريخ المكتوب لا يعرف في أيّ وقت، قتالاً بين المصريين والفرس في فلسطين، ولا بين الآشوريين والمصريين، وأدّى إلى انتصار مذهل مكّن الأشوريين من فرض سلطانهم على مصر، بل وتعيين حاكم عربي يدعى أدبئيل! ولأنَّ الاسم ورد في صورة (مصري)، فقد فهمت هذه على أنها تعني مصر الإقليم في كل الحالات. لذا، سادت في أوساط علماء الآثار نظريات زائفة سرعان ما أشاعت فوضى جغرافية عارمة، ذلك أنَّ الزعم بفرض حاكم عربي على مصر في خلال حملة استهدفت فلسطين، إنما يعني

امتداد جغرافيا المعارك من آشور فجنوب الشام، فالبحر الأبيض المتوسط، فشواطئ البحر الأحمر. وهذا مسرح جغرافي هائل يصعب تصوّر تحوّله إلى مسرح قتالي، ينتهي بتعيين زعيم قبلي على مصر!

وهكذا، فالفوضى التاريخية تصبح فوضى جغرافية.

إنَّ المشهد التالي من حملة تجلات بلاسر كما سجلته التوراة، يوضّح لنا على أكمل وجه جانباً حيوياً من النقاش الذي نثيره هنا حول مسألة مدي ومصر.

يقول النص العبري (سفر الملوك الثاني: ١٦: ٢٠: ١٧: ١٥):

ויעלה-מלך-אשור-ב-כל-ה-ארצ-בני-ישראיל-ויעלה-שמרון-ויצר-עליה-שלש-שנים-בשנת-ה-תשעית-ל-הושע-לכד-מלך-אשור-את-שמרון-ויגלו-את-ישראיל-אשורא-וישב-אותם-ב-חלח-וב-חבור-נהר-גוון-וערי-מדי

ويعله ـ ملك ـ ءشور ـ ب ـ كل ـ ها ـ ءرص ـ بني ـ يسرئيل ـ ويعله ـ سمرون ـ ويصر ـ عليه ـ شلش ـ شنيم ـ بشنت ـ ها ـ تشيعيت ـ ل ـ هوشع ـ لكد ـ ملك ـ ءشور ـ ءت ـ سمرون ـ ويجلو ـ ءت ـ يسرئيل ـ ءشوره ـ ويشب ـ ءوتم ـ ب ـ حلح ـ وب ـ حبور ـ نهر ـ جوزان ـ وعري ـ مدي.

ما يقوله هذا النص الذي حرّفته وشوهته الترجمة السائدة بنحو فظيع، هو الآتي:

(وصعد ملك أشور في كل أرض بني إسرائيل، صعد إلى السمرا ضارباً عليها الحصار لثلاث سنوات. وفي السنة التاسعة لهوشع، استولى ملك

أشور على سمرون ونفى إسرائيل إلى الشورة. ولذلك فقد أقاموا فيها وفي حلح، وفي حبور وفي وادي جوزن ـ ومرتفعات ـ مدي).

في هذا النص التوراتي الواضح، لدينا قبائل تدعى بالعبرية مدي (عري ـ مدي)[١٩]، وهذا التعبير يعني في لغة أهل اليمن مرتفعات. والمكان في هذه الحالة يعني صراحة قبيلة بعينها هي مدي، لا صلة لها بأي صورة من الصور، باسم ميديا الفارسية (العيلامية). لقد جرى تلفيق حادث تاريخي لم يحدث قطّ، حين افترض بعض علماء الآثار من التيار التوراتي أنَّ الآشوريين أسروا اليهود ونقلوهم إلى فارس! ومترجمو التوراة يرسمونها بطريقة زائفة في صورة ميديا، للإيحاء بأنَّ المكان المقصود هو ميديا الفارسية. وهذا غير منطقي ومخالف للتاريخ وحقائقه، لأنها لم تكن تحت سلطة الآشوريين، بحيث إنهم يرحلون إليها أسرى الغزو. وبلغ التلاعب في هذا النصّ ذروته عندما كافأ المترجمون كلمة (ها ـ نحل) العبرية، وتعني (وادي) بكلمة (نهر) لتعريف موضع يدعى جوزان، وفقط من أجل الإيحاء أنَّ مدي هنا قرب نهر، وهذا قد يكون كافياً للظن أنَّ المقصود نهر دجلة العراقي، ما دامت جوزن ترد بعد اسم حبور.

لذا، ترجموا اسم حبور في صورة (الخابور)، وهو نهر عراقي معروف! وهكذا، فقد شاعت في مؤلفات التاريخ والدراسات الأكاديمية أكذوبة نقل الأسرى اليهود إلى ميديا الفارسية قرب الخابور العراقي! علماً بأنَّ ميديا الفارسية تقع في الجهة المعاكسة للخابور! وهكذا، فقد سار التلاعب بالتاريخ حتى نهايته، وبات تلاعباً بالجغرافيا، فإذا ما وضعوا (خابور) بدلاً من حبور، وميديا محل مدي، فسيكون آنئذٍ مقبولاً الزعم أنَّ عمليات نقل

الأسرى جرت هناك، بما أنَّ المكانين على مقربة من حدود بابل مع فارس! وفي نصوص تالية، نرى كيف أن ساردي النصوص كانوا حائرين في رسم الاسم حلح (חלח). فهم يرسمونه تارة في صورة صلح بالصاد المهملة وتارة في صورة حلح بالحاء المهملة. وأكثر من ذلك، أنهم تلاعبوا في رسم الاسم آشور في هذا النص، لتمرير واقعة زائفة أخرى لا تزال شائعة في كتب التاريخ، ومفادها أنَّ الآشوريين قاموا بنفي بني إسرائيل إلى آشور! فلماذا رسم سارد النص اسم آشور في صورة شوره، إذا ما كان يقصد آشور الإمبراطورية؟ علما أنَّ الاسم يُرسَم تقليدياً في صورة آشور وليس شوره! فهل تقصَّد سارد النص رسم الاسم على هذا النحو، أم أنَّ المترجمين كانوا ضحية الوهم والخلط؟ سنعيد الأمور إلى نصابها من أجل تقديم رواية تاريخية حقيقية عن السبي البابلي الذي قام به تجلات بلاسر الثالث، حيث نفى القبائل عن أرضها وأسكنها في أماكن جديدة ذات طابع وثني داخل السراة اليمنية حصراً، وبالطبع من أجل إضعاف النفوذ الديني التوحيدي للقبائل وعزل الجماعات الأكثر تأثيراً في أوساطها. وهذا ما سوف يُسهم بنحو حاسم في فضح التلاعب باسم مصر. ففي بعض نقوش المسند والنقوش الآشورية ورد اسم أرض دُعيت (أشور) بالتلازم مع اسم مصر، تماماً كما في نص التوراة[٢٠] أعلاه، وذهب بعض الباحثين، وهم يقرأون نقشاً بخط المسند كتبه شيوخ قبائل يمنية وورد فيه لفظ (كبيران) أي (زعيمان قبليان) إلى أنهما كانا يمثلان ملكي مملكتين، إحداهما تدعى (معين مصرن)، والأخرى مملكة (صور)! وهكذا، تحول اسم مصر في بعض القراءات إلى صور (اللبنانية)، بينما افترض آخرون مثل هومل وكلاسر، استناداً إلى نصوص التوراة، لا إلى الحفريات الأثرية أو المصوّرات الجغرافية

القديمة، أنَّ (أشور) هي بادية تقع على حدود مصر، سكنها شعب دُعي في التوراة (أشوريم *Asshurim*)، وهم من نسل ددان *Dedan* من إبراهيم، من زوجته قطورة.

وهكذا، فقد أصبحت الفوضى هي سيّدة التحليل، بحيث بات يتعيّن علينا أن نقبل أنَّ آشور هي أرض على حدود مصر. لكن اسم (ءشور ـ وهذا هو الرسم الصحيح للاسم *Ashur*) ورد في نقشين من منطقة الجوف اليمني، ويعودان إلى مملكة معين مصرن!

سأتوقف هنا قليلاً لتوضيح ملابسات هذه القراءة الفوضوية للتاريخ.

لقد قرأ علماء الآثار من التيار التوراتي نصّ النقش بصورة خاطئة، فهو يتحدث عن معارك وقعت بالفعل بين المعينين سكان الجوف اليمني، وهم يعرفون في النقوش باسم (معن مصرن) مع قبائل صور اليمن، وهذه معارك تقليدية تجري في كل وقت بين القبائل. أما أشور، فهي الشوار! يُعَدّ جبل الشوار من أعظم جبال محافظة تعز، والطريق الحديث الذي بدأ العمل فيه أخيراً، يؤدي إلى جبل قدس عبر وادي بلابل، مروراً بوديان الذيبة والدائبة وبني حسن، ثم يصعد الطريق باتجاه الشرق مروراً بقرية الأشراف، وصاعداً نحو قرية النجادة في تخوم عزلة قدس. وهذا الطريق يربط عدن بتعز. وكما لاحظنا من نصوص سابقة، فإن جبل الصنه يؤدي إلى قدس. ها هنا وادي شوره[٢١] ـ الشور الذي دُفعَت القبائل المتمردة نحوه، بعدما كانت تقيم في السواحل التي هاجمها الآشوريون لإضعاف نفوذ مملكة معين الجوف ـ معين مصرن ـ السياسي والتجاري المتصاعد. كانت مملكة مصرن تفرض سيطرة شبه مطلقة على طرق التجارة الدولية، وكانت

تخوض المعارك الدامية ضد قبائل الساحل اليمني ربما منذ ١٣٠٠ق. م، كما تدلّ على ذلك سلسلة من المخربشات والنقوش والوقائع التاريخية، حتى أنها أقامت تحالفات متينة مع قبائل الساحل الكبرى في ما يعرف اليوم بـ(تعز والحديدة). وإذا ما علمنا أن قبيلة أمير ـ أمير في التوراة، ويافع ـ يافع في التوراة والنقوش، كانتا من بين أهم قبائل مملكة مصرن (الأميريون هم قادة النشاط التجاري العالمي)، فإن صورة الصراعات القبلية ستتضح أمامنا. إنَّ إبعاد القبائل عن الساحل كان باستمرار هدفاً استراتيجياً من أهداف الآشوريين وسائر الإمبراطوريات. وهذا ما يجب أن يعيدنا إلى إثارة مسألة الظروف التي أدت ببعض قبائل العرب ـ منذ نشأتهم البعيدة ـ إلى التحول المفاجئ نحو البداوة، أي أن تنتقل قسراً من طور القبائل البحرية التي تعيش عند أطول سواحل العالم، إلى طور القبائل المتبديّة، وأن تتقبل العيش في الصحراء! على الأرجح، إنَّ عامل الغزو الخارجي هو الذي كان يقصيها عن السواحل، ويدفع بها نحو الصحراء باستمرار. وهذا ما يؤكد برأينا أنَّ العرب كانوا في **الأصل أمة بحرية**، قبل أن يصبحوا **أمة بدوية**، بفعل جملة عوامل وظروف، قد يكون من بينها موجات الغزو المتتابعة التي أبعدتهم عن البحر.

ومع ذلك، لا بد من ملاحظة أنَّ كثرة من القبائل المتمردة، ظلت في مواضعها، أو انتقلت إلى مواضع مماثلة، أو أنَّ الآشوريين نقلوها إلى مناطق داخل اليمن بعيداً عن الساحل وعن خطوط التجارة العالمية. وسأتوقف مرة أخرى قليلاً هنا لإثارة مسألة في غاية الأهمية، تتعلق بالتلاعب في ترجمة التوراة. لقد ورد في كتاب (صفة جزيرة العرب)[٢٢] للهمداني وصف منطقة الجوف (مركز مملكة معين مصرن) يتحدث فيه عن جماعة قبلية

اسمها طفحان (طفحيم اسم الجمع العبري). وهذا الاسم يتردّد في قصة يوسف (سفر التكوين)، ويظهر كاسم لخصي فرعون. هاكم النص بالحرف العربي من النص العبري:

(ويوصف ـ ها ـ ورد ـ ويقنهو ـ فوط ـ يفار ـ مصريم ـ فرعه ـ سر ـ ها ـ **طبحيم**: ويوسف وصل إلى مصر فاقتناه فوطيفار كبير حراس[٢٣] الفرعون: تكوين ١٣ :٣٩: ٢٤ :٣٨).

وأما يوسف فأنزل إلى مصريم واشتراه فوطيفار خصي فرعون، رجل مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك.

ויוסף הורד מצרימה ויקנהו פוטיפר סריס פרעה שר הטב־
חים איש מצרי מיד הישמעאלים אשר הורדהו שמה

وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً. وكان في بيت سيده المصري
יוסף ויהי איש מצליח ויהי בבית אדניו המצרי:

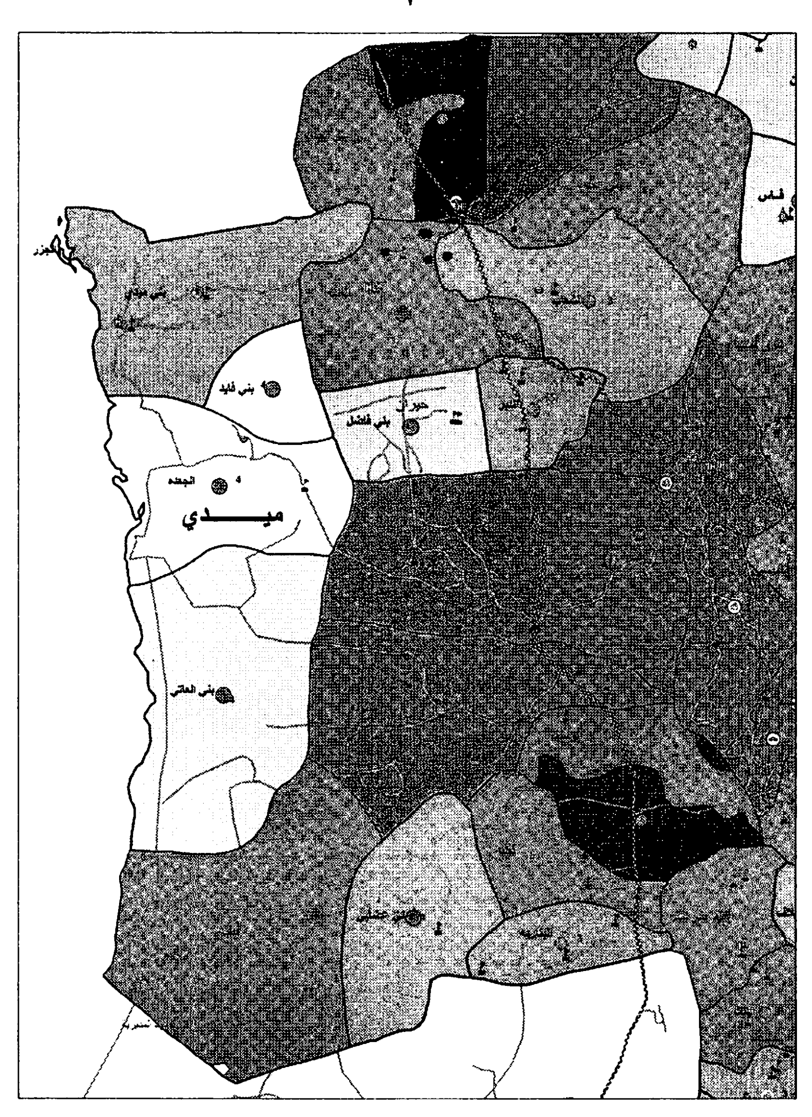
لقد ترجمت كلمة (הטבחים) في الجملة العبرية שרהטבחים (سر ـ ها ـ طبحيم) إلى (خصي)، والأدق قاموسياً أنها تنصرف إلى (كبير الطهاة ـ الطباخين). لكن الأكثر دقةً في السياق الثقافي الاجتماعي للحدث، أن لها صلة باسم الطبحيين ـ الطفحيين، وهم جماعة قبلية عاشت في الجوف اليمني مركز الدولة المعينية. ولذلك يجوز القول إنَّ الآية التوراتية تتحدث عن (سر ـ أي كبير) قبيلة طفحان ـ طفحيم الذي اشترى يوسف وليس (خصيّاً من خصيان الفرعون)! وإنَّ هذا الشيخ القبلي كان أحد وجهاء (مصرن)، لأنَّ الجملة تؤكد أنه (رجل مصري אישמצרי)! وإنَّ القصة برمّتها دارت في الجوف اليمني وداخل مسرح جغرافي يخصّ هذه المملكة

العظيمة! مثل هذا التعديل المقترح في فهم القصة التوراتية، سيكون من شأنه تعديل نظرتنا إلى اسم مصر في التوراة وفي النقوش المسندية، وهو أمر سيمهّد الطريق أمامنا لفهم أعمق لتاريخ مملكة إسرائيل القديمة. بكلام آخر، سنكتشف أنَّ الآشوريين، كما ذكرتهم النقوش بصدق، أبعدوا بعض القبائل عن أوطانها الأصلية في السمرا - وهي مخلاف شمير في تعز - بعد محاصرتها لثلاث سنوات، إلى مناطق جديدة في الجوف اليمني، بينما أُبعدَت قبائل أخرى إلى مناطق في عمق اليمن بعيداً عن السواحل. وهذا يعني أنَّ كلمة (رجل مصري) كانت مألوفة كتعبير عن حاشية (الفرعون). ولو افترضنا أنَّ القصة تدور في مصر البلد العربي المعروف، فلماذا يصفه النصّ بأنه (رجل مصري) ما دامت القصة تدور في مصر حسب القراءة السائدة؟ ألا يعني ذلك أن الكلمة تدلّ على أحد رعايا مملكة مصرن؟ وفي هذا السياق، سيبدو لنا بجلاء أن مدي التي تصوّرها المترجمون مدينة ميديا الفارسية، ليست سوى أحد هذه المواضع الساحلية. ومعلوم أنَّ مدي أصبحت ميناءً مزدهراً بالاسم نفسه (ميناء مدي)، وهو من موانئ حجّة المعروفة قديماً[٢٤]. واليوم تُعَدّ من أهم مديريات محافظة حجّة، وتُعرَف باسم مديرية ميدي، تقع محافظة حجّة إلى الشمال الغربي للعاصمة صنعاء، وتبعد عنها بحدود (١٢٣) كلم، وعدد مديرياتها (٣١) مديرية. وهي تتصل بمحافظة صعدة والمملكة العربية السعودية من الشمال، ومحافظة عمران من الشرق، وبمحافظتي المحويت والحديدة من الجنوب، والبحر الأحمر وجزء من محافظة الحديدة من الغرب. لقد كانت مملكة معين التي عُرف شعبها باسم (مصرن) لشدّة ازدهارها وقوتها في عالم التجارة العالمية انطلاقاً من اليمن، تفرض سيطرة شبه مطلقة على تجارة البخور مع العالم

القديم. واليوم يمكننا أن نعثر على بقايا عاصمتها العظيمة قرنو ـ القرن (شرق صنعاء). وهي ذاتها (قرنو) التي سقطت في قبضة القوات المصرية، وسجلتها قائمة الكرنك (انظر القائمة تالياً). وبفضل سيطرتها على عالم التجارة القديم، تسمّت هذه المملكة باسم (معين مصرن)، أي معين المتمصّرة، المتمدّنة (من كلمة مصر بمعنى المدينة). ولا تزال أطلال معبد الإلهة عثتر (عشتار) تقف شاخصة على عظمة هذه المملكة[٢٥] التي ارتكز اقتصادها على الزراعةِ وقيادة تجارة العالم القديم وتصديرِ اللبانِ والتوابل والأسلحة. ثم اتسع نطاق سيطرتها على المنطقة كلها، حتى شملت الحجاز كله ويثرب والعلا وفدك وتيماء والحجر، كما تذكر ذلك كثرة من النقوش المعينية. وسيطرت أيضاً على معظم طرق التجارة في جنوب الجزيرة العربية. وفي عام ٢٠٠٧م اكتشفت كتابات وآثار معينية في منطقة الجوف، يعود تاريخها إلى ٣٧٠٠ ق. م، وورد فيها اسم قبيلة ثمد/ ثمود/ ثمادي سوية مع اسم معين، ما يدفعنا إلى إعادة قراءة نقوش الحملات الآشورية التي سجلت اسم ثمود[٢٦] كطرف قبلي اصطدم به الآشوريون في منطقة الجوف، وليس في أي مكان آخر.

ها هنا ميناء مدي القديمة في حجّة (وليس ميديا الفارسية) تماماً وبالرسم العبري ذاته مدي، وفي الفضاء الجغرافي ذاته.

- ١ -



خريطة مدي

ويمكن للمرءَ أن يتخيّل طبيعة هذه الحرب، فهي تعبّر عن تنافس تقليدي بين سكان الساحل (قبائل ميدي) الذين يفرضون سيطرتهم على البحر، وسكان الجوف الذين يعيشون في بيئة سهلية ـ جبلية ويقودون تجارة العالم القديم البرية عبر الصحراء. إنَّ الصراع الدولي[٢٧] على طرق التجارة، سيكون مفهوماً بطريقة صحيحة حين نعلم أن القبائل في الجوف وتحت ضغط القوتين العظميين مصر وبابل، ثم آشور، أعادت تكييف نفسها، وحوَّلت طرق التجارة. وقد لعبت قبيلة أمير التي ذكرتها التوراة بالاسم نفسه (أمير)، وهي من أهم القبائل اليمنية القديمة، دوراً مميزاً، حين قادت التجارة براً مع المدن اليمنية وبلدان الجوار (منذ ٨٥٠ ق. م). وما يدلّ على ذلك، أنها ذكرت في النقوش منذ القرن الخامس قبل الميلاد، كواحدة من القبائل التي تسكن وادي الجوف. كان الأميريون الأثرياء من العرب الجمّالة الذين احتكروا تجارة قوافل الجمال، وهم الذين تولوا قيادة هذه القوافل من مدينة قنا[٢٨]، مروراً بتمنع عاصمة المملكة القتبانية آنذاك، وصولاً إلى مأرب ثم إلى الشمال، فالحجاز وعمق الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر. وعندما بدأت تجارة اللبان والبخور تضعف، ويتقلص حجم صادراتها بفعل الحملات الحربية الآشورية التي بلغت نحو تسع حملات متعاقبة، سجلت التوراة ستاً منها فقط، ثم مع تحوّل الطريق التجاريـة إلى البحر الأحمر، قامت هذه القبيلة بتأمين التعاملات التجارية للقوافل انطلاقاً من ميناء موزع (على البحر الأحمر)، مروراً بمدينة «السواء» بتعز، والمدن الداخلية، وتمكنت من تكييف نشاطاتها مع المتغيرات الجديدة، فحولت تعاملاتها التجارية إلى موانئ البحر الأحمر. كان ثراء قبائل الجوف بفضل تجارة الإيلاف القديمة، والسابقة على عصر إيلاف قريش في الشمال، ثم

بفضل ازدهار ممالكهم، حافزاً قوياً عند سائر اليمنيين القدماء، لتقبُّل مختلف التوصيفات والألقاب التي أضفتها هذه القبائل على نفسها. ومن ذلك اللقب أو التوصيف الذي أطلقه المعينيون على مملكتهم (معن ـ مصرن)[٢٩]. ويتأكد هذا الأمر حين نعلم أن المعينيين تركوا لنا الكثير من نقوشهم في الحجاز وفي الصحراء الشرقية في مصر وإنطاكية. فهناك مثلاً، تابوت خشبي يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وُجد في مصر ويحمل نقشاً مكتوباً باللهجة المعينية[٣٠]، لرجل معيني كان مستقراً فيها خلال العصر البطلمي، وكان يقود تجارة استيراد اللبان والطيوب (البخور) للمعابد المصرية من منطقة الجوف.

ويقول النقش إنه عند وفاته في عام (٢٢) من سني حكم ملك مصر بطليموس بن بطليموس (أُعدَّت له جنازة وفقاً للطقوس الأوزيريسية). كذلك ترك لنا تاجر آخر نَصْباً عُثر عليه في معبد في (جزيرة ديلوس)[٣١] يتبيّن من نص الكتابة المنقوشة فيه، أنّ وظيفته كانت الإشراف على إمداد المعابد الفرعونية بالبخور والمُر والقرفة والقسط. وهو ما يتطابق مع نقش آخر عُثر عليه في الجزيرة ويعود إلى النصف الأخير من القرن الثاني ق. م، يذكر صاحبه أنه نَصبَ مذبحاً للإله (ود) ولإلهة معين. ويبدو أن صعود دور مملكة معين ـ مصرن في الجوف، ارتبط بنهاية الحروب المدمرة التي شنّها كرب إل وتر بن ذمر ـ ذمار على، مكرب سبأ في القرن السابع قبل الميلاد. كان السبب الجوهري لهذه الحروب، كما يتضح من نقوشه، طموح تحالف قبائل الشمال والجنوب إلى انتزاع أراضيهم من هذه المملكة، واستغلال التحول المفاجئ في الطرق التجارية البرية إلى الطرق البحرية، وهي مسالك برهن المعينيون أنهم كانوا قادرين على قيادتها ببراعة. وقد شهد

القرنان الثاني والثالث ق.م. صعوداً غير مسبوق في أدوار هذه المملكة، إذ اشتهر تجارها بأنهم (ملوك اللبان والبخور) في شمال الجزيرة. ويتبين من سلسلة حروب سبأ على ممالك الجوف، أنَّ بعض الممالك الصغيرة انحازت إلى سبأ الصاعدة في عالم القوة، كما هو الحال مع مملكة هرم. تقع مدينة هرم ـ هرم في التوراة وفي نقوش الآشوريين ومنها نقوش سرجون التي تعرف باسم نقوش هرم حسب تسمية المتحف البريطاني ـ إلى الجنوب الغربي من مدينة الحزم على بعد نحو (٥,١كم)، وهي التي تعرف اليوم باسم خربة آل علي (خربة همدان، أو خربة آل علي)، وذُكرت في بعض النقوش بصيغة (هـ ج ر ن/ هـ ر م م) بمعنى مدينة هرم، وبدأ أول ظهور لاسمها في نقش النصر الموسوم بـ (*RES. 3945*) من القرن السابع قبل الميلاد. والمثير أنَّ هرم هذه تظهر في نصوص التوراة بالصيغة نفسها هرم! في هذا الإطار التاريخي وقعت الحروب الآشورية للسيطرة على طرق التجارة البحرية، وقطع الطريق على ممالك الجوف اليمنية الصاعدة، ومنعها من فرض سيطرتها على السواحل.

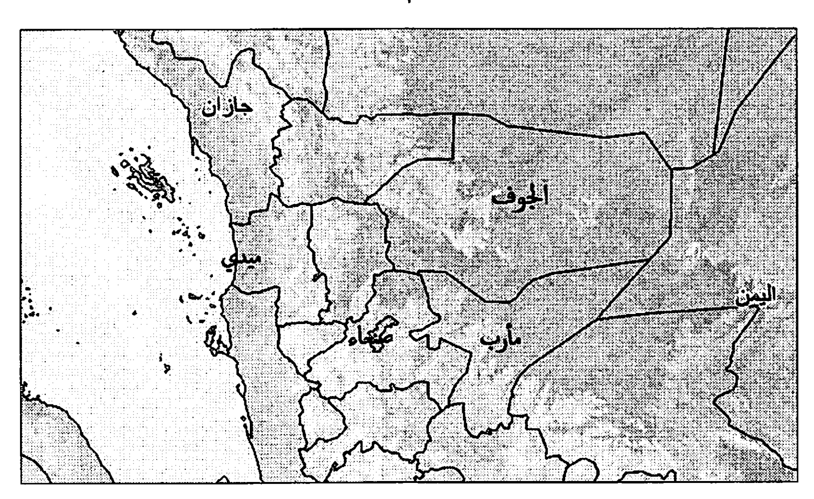
-٢-



خريطة الجوف: مملكة مصرن

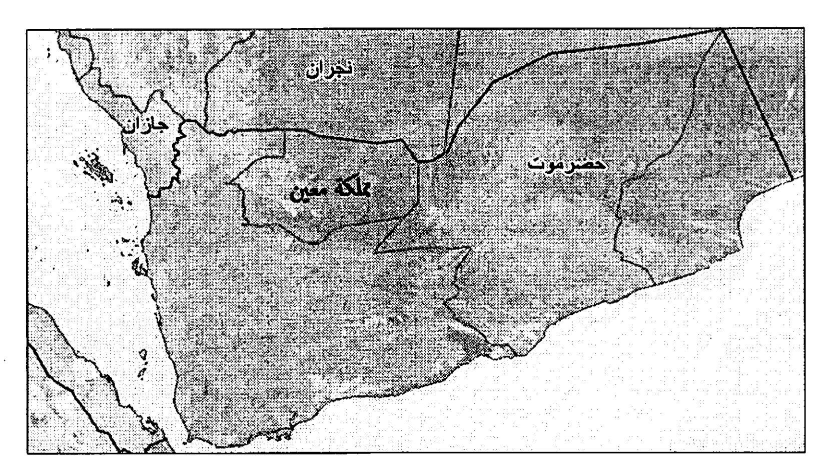
(المملكة المعينية في عصر التجارة البرية نحو ١٣٠٠ ق.م)

-٣-



مملكة مصريم - مصرن في عصر التجارة البحرية
١٢٠٠-٨٥٠ق. م.

-٤-

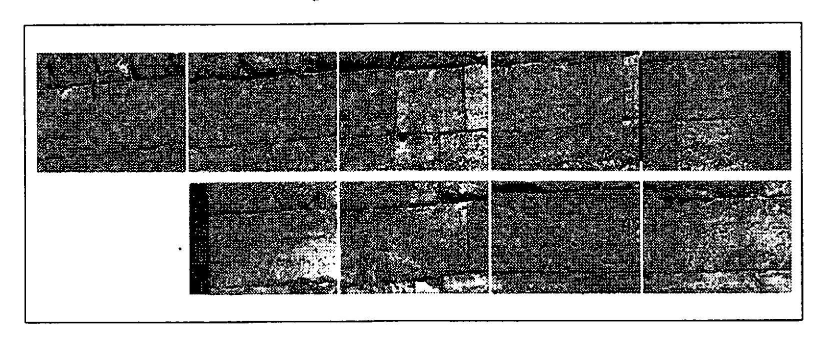


مصرن وجيرانها

ولذلك، يتعيّن علينا رؤية ما يعرف بـ(السبي البابلي) من منظور جديد، يأخذ في الحسبان أنها توّجت سلسلة من عمليات الإجلاء والنفي (الداخلي)، أي داخل السراة اليمنية، وفي مواضع بعينها لا تزال السراة تدلّ على صيغها القديمة. إنَّ الترجمة العربية السائدة للتوراة، تؤكد ـ من جديد ـ حقيقة أنَّ القراءة المِخياليّة هي التي (لفقت) اسم مصر، وهي التي (اخترعت) أحداثاً لا وجود لها في التاريخ. يبقى أن نذكر هنا أمراً مهماً للغاية، قد يكون من شأنه أن يكشف بجلاء طبيعة هذه المعارك، ومغزى الاسم مصر الذي يظهر ـ مرة أخرى ـ بالتلازم مع اسم مدي. فقد عثر في عام ١٩٥٦م بمنطقة حرّان اليمن على نقش دوّنه الملك البابلي نبونئيد، مدفوناً في خرائب جامع حرّان، يتحدث فيه عن منجزاته وحروبه، ومما جاء فيه: إنه لما ترك بابل وجاء إلى تيماء وأخضع أهلها، اتجه بجيوشه إلى ددانو ـ ديدان، وبداكو ـ فدك، وخبرا ـ خيبرو، حتى بلغ اتريبو ـ يثرب. ثم تحدث بعد ذلك عن عقده صلحاً مع مصر وميدي ما – دا *Ma–da–a* وقد ختم العمود الذي جاء فيه هذا الخبر، بجملة يُفهم منها أنَّ قبائل العرب أرسلت إليه رسلاً، وعرضوا عليه عقد صلح معه واستسلامهم له، فوافق على ذلك. كان استيلاء نبونئيد[٣٢] على تيماء ـ تيماء اليمن وليس الجزيرة العربية ـ كما فهم خطأً، لأنَّ الجزيرة لا تعرف قبائل مدي ـ في حدود سنة ٥٥١ –٥٥٢ ق. م، وكان السبب الحقيقي للحملة هو ذاته: السيطرة على جنوب غرب الجزيرة العربية، كمدخل للسيطرة على أخطر طريق برية للتجارة العالمية التي تربط بلاد الشام بالجزيرة العربية الجنوبية، وهي طريق قديمة تسلكها القوافل التجارية، تمهيداً للسيطرة على البحر الأحمر، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن، وربما على الجزيرة العربية الجنوبية

كلها[٣٣]. ويرى بعض الباحثين الذين درسوا كتابة حرّان هذه، أنَّ الصلح الذي أشار إليه الملك، يجب أن يكون قد عُقد في نحو سنة ٥٤٨ ق. م. إنَّ ظهور اسم مصر في نقش بابلي بالتلازم مع اسم مدي، يدحض كلياً خرافة الحرب بين مصر ومديا الفارسية التي أشاعها علماء الآثار من التيار التوراتي في تاريخ مصر.

وهاكم صورة (ونصّ) النقش الذي فجّر النقاش الصاخب بين علماء الآثار حول اسم مصر ومدي منذ مطالع القرن الماضي.



M 247 RES 3022; B-M 257

الفترة الزمنية: ب

مكانه: الجوف (قرنو- عاصمة معين مصر: وجد النص على أسوار المدينة)

النص[٣٤]:

1 ‘mṣdq bn Ḥm‘ṯt ḏ-Yf‘n w-S^1‘d bn ‘l(g) ḏ-Ḍfgn kbry

Mṣrn w-M‘n Mṣrn *(’s^{1}d)* ***Mṣr w-rtkl*** *b-(‘)****mh-s^{1}mnMṣr*** *w-’****’s^{2}r w-‘br***

Nhrn b-kbr *[... ...]m ḏ-Rd‘ qdmn* ***kbr-s^1 s^{3}l’*** *w-****bny w-s^{1}qny*** *k-‘ṯtr*

ḏ-Qbḍmṣḥftn *Tn‘m ’nf mws^{1}m ‘ḍm w-tqrm bn ’s^{2}rs^1 ‘d s^2****qrn*** *w-m‘ḏr-s^1*

’bnm kl ṣḥft byn mḥfdnyhn Ẓrbn w-Lb’n b-k(b)wdt w-’krb ktrb ‘ṯ—

*2 tr **ḏ-Qbḍm** ʾhl s^{1}brr w-yʾtmr w-s^{1}trḍw ʿṯtr ḏ-Qbḍ **b-kbwdtn w-ʾkrbn mbny ṣḥftn ywm** mtʿ-s^{1}m w-ʾqny-s^{1}m ʿṯtr ḏ-Qbḍm w-Wdm **w-Nkrḥm** w-**ʾmr-s^{1}m bn ʾḍbʾ ḍbʾ-s^{1}m w-ʾqny-s^{1}m w-bʿr-s^{1}m S^{1}bʾ w-Ḫwln** b-ms^{1}bʾ **byn Mʿn w-Rgmtm** w-bn ḍr kwn byn **ḏ-ymnt** w-ḏ-s^{2}ʾmt w-ywm mtʿ-s^{1}m w-ʾqny-s^{1}m ʿṯtr ḏ-Qbḍm w-Wdm w-Nkrḥm bn ws^{1}ṭ **Mṣr** b-*

*3 mrd kwn byn **Mḏy w-Mṣr w-ymtʿ-s^{1}m** w-ʾqny-s^{1}m ʿṯtr ḏ-Qbḍm s^{1}lmhm w-wfyh ʿd ʿrb hgr-s^{1}m **Qrnw** b-ʿṯtr S^{2}r[qn] w-b ʿṯtr ḏ-Qbḍm w-b Wdm w-b Nkrḥm w-b ʿṯtr ḏ-Yhrq w-b ḏt Ns^{2}qm w-b-kl ʾlʾlt Mʿn w-Yṯl w-b **ʾbydʿ Yṯʿ mlk Mʿn** w-b **bhny Mʿdkrb bn ʾlyfʿ** w-b s^{2}ʿbh-s^{1}m **Mʿn** w-ḏ-Yṯl w-b kbry **Mṣrn** ʿmṣdq w-S^{1}ʿdm w-rṯd ʿmṣdq | 4 w-S^{1}ʿd w-**Mʿn Mṣrn** hqnyt-s^{1}m w-ʾs^{1}ṭr-s^{1}m ʾlʾlt **Mʿn** w-Yṯl w-**mlk Mʿn** w-**Mʿn** bn ḏ-yms^{3}r w-s^{1}fʾy w-s^1[nkr ʾ]s^{1}ṭr-s^{1}m bn mqmh-s^{1}m w-b ʿms^{1}mʿ ḏ-Blḥ kbr Yṯl |*

ترجمة النص من السبئية:

١: مصدق بن حمتت، وذا يفن ـ كبيرا مصرن ومعين مصرن ـ من مصر اللذان تاجرا في مصر وسارا عبر نهر كبار [......] من ذا ـ ردأ (ن ـ ها ـ يردن ـ اليردن) أول مرة من بين الكبار، هما من وضع وأسّس واجهة بيت العبادة هذا في قرنو[٣٥] (شرقن[٣٦] *ʿd s^{2}qrn w*) من خشب وحجر مقطوع من الأساس إلى الأعلى، وجداره الخلفي من حجر، وكل البرادة من الجص واللبن، وقدما النذور والقرابين المطلوبة.

٢: وطهّرا ونظّفا البيت ونالا الرضا بالقرابين التي قدماها لبناء البيت وبناء السور، لأن الإله أنقذهم وحفظ دمهم وسلطانهم وبضاعتهم من العداوات التي جلبتها سبأ وخولان عليهم وعلى بضائعهم وجمالهم في الطريق ما بين معين ورغتم (رغمة). ومن الحرب التي وقعت بين الجنوب والشمال، وحين أنقذهم وحفظ دمهم وبضائعهم في وسط مصر، خلال

٣: النزاع الذي حدث بين (قبائل) **مدي ومصر**. ثم أنقذهم وحفظ دمهم وبضائعهم بسلام وأمان وعادوا نحو بلدتهم **قرنو**، من دون أن يتعرضوا للسرقة أو القتل.

٤: بفضل لطف جميع آلهة معين وملوك معين، أولاد م ـ جد ـ كرب وابن ـ ليب ـ وقبيلتهم معين ود ـ يتل (ذا يثل) ومن قبل كبرائهم من مصرن ـ مصدق وسدم، و ـ مصدق، وسيد معين مصرن الذين قدموا قرابينهم ونقوشهم لآلهة معين، وليكن الموت مصير كل من يزيل ويدمر أو يتلف نقوشهم من مكانها. كتبه مسم (الاسم): ذا بهل كبير يث(ل) ـ (كبير يثل[٣٧]).

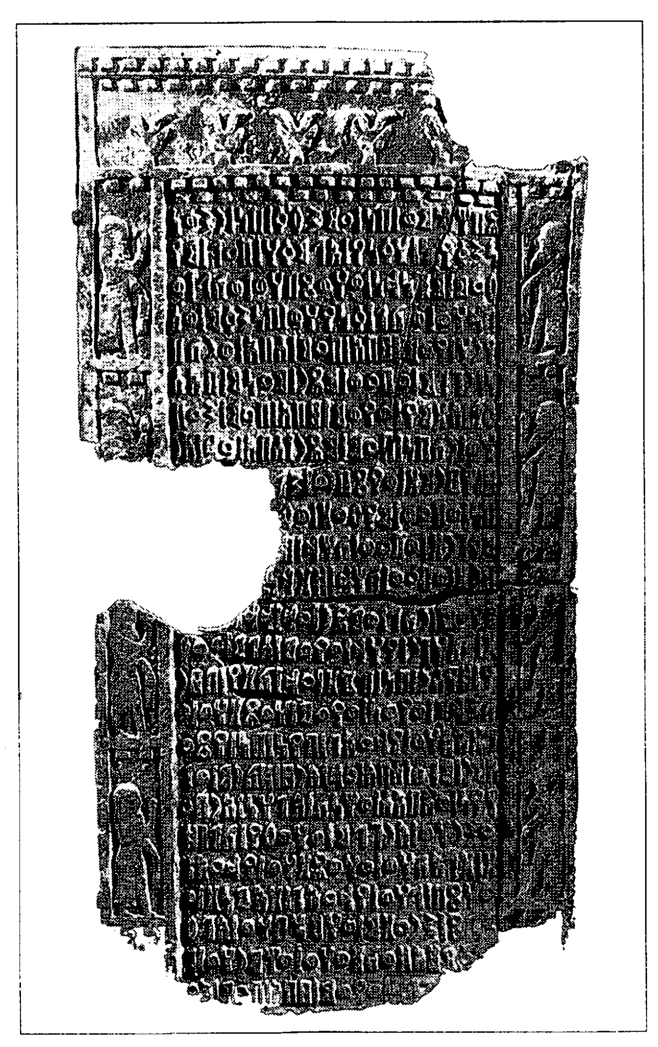
أثار هذا النقش الذي اكتشف عند (أسوار) مدينة قرنو عاصمة مملكة معين مصرن (مصريم. يعود النقش إلى نحو ٨٥٠ ق. م) جدلاً صاخباً بين علماء الآثار، وذلك في أعقاب تقديم قراءة متفرّدة للنص، رأت إلى اسم مصرن من منظور جديد. يتحدث النص عن معارك قبلية دارت بين **قبائل معين مصر وقبائل مدي**، كذلك يشير إلى تعرّض قوافل التجارة التي كانوا يسيرونها برّاً، لحملات وغارات من قبل قبائل سبأ وخولان، وهما قبيلتان شماليتان. ومن غير المنطقي تخيّل أنَّ قبائل مصر خاضت معارك ضد الفرس (الميديين) في الوقت ذاته، حين كان هؤلاء المصريون يشتبكون مع قبائل خولان وسبأ ! إنَّ أيّ تصوّر من هذا النوع، لا يعني سوى الرغبة غير العقلانية في التلاعب بالتاريخ المكتوب. لقد تمكنت قبائل مملكة معين مصرن (مصريم) من تحويل تجارتها عبر البرّ بواسطة قوافل الجمال، إلى البحر باستخدام السواحل والموانئ، نظراً إلى المخاطر المتزايدة من غارات القبائل السبئية وحلفائها من خولان، وقد أدّى ذلك إلى الصدام بينها وبين قبائل (مدي) التي تسيطر على الساحل في حجة والحديدة!

هذه هي معارك مصر مع مدي التي تخيّلها التوراتيون في صورة معارك بين مصر وفارس! والمثير للسخرية أنَّ مترجمي النص إلى الإنكليزية يترجمون كلمة (مدي إلى *Persian* الفرس). وهذا غير مقبول بأيّ معيار لغوي. وفضلاً عن هذا النقش القديم، لدينا سلسلة نقوش أخرى ورد فيها اسم مصر في صيغتين (مصرن ـ ومصر)، وهو ما يؤكد أنَّ الاسم نفسه يكتب بحسب طرائق النطق القبلية (بإضافة النون). إنَّ خرافة معارك مصر مع ميديا الفارسية، تنسفها أي قراءة نزيهة لهذا النقش، فها هنا نص قديم يتحدث عن المصاعب التي واجهتها تجارة البخور واللّبان في مملكة مصريم، مع تزايد غارات القبائل السبئية. في هذا العصر كانت القبائل السبئية تستعد لتوسيع تحالفاتها وتصعيد معاركها ضد مصرن (مصريم).

وفي النقش المعروف باسم *B-L Nashq Demirjian 1* سرد لأخبار معارك ضارية خاضتها (نشق) ضد قبائل سبئية متحالفة مع قبائل جبال الركب، وهذه المعارك انتهت بهزيمة قبائل مصرن في منطقة تيمن. وسنرى في النقوش التي سننشرها تباعاً، أنَّ تيمن (تيمن في التوراة) كانت تحتل أهمية إستراتيجية بالنسبة إلى التجارة بين القبائل والممالك القديمة في اليمن. وبكل تأكيد، لا يمكن تخيّل أنَّ مصر البلد ـ الإقليم خاض معارك ضد قبائل سبئية في تيمن، لأنّ هذه كانت مركزاً تجارياً حيوياً!

في هذا النقش سيتكرر ظهور اسم مصر بالتلازم مع اسم (مدينة نشق)[٣٨] في منطقة الجوف.

هاكم صورة عن النقش:



الفترة الزمنية: أ

مكانه: خربة البيضاء (نشق)

النص(٣٩):

1 ***Ṣbḥϟhmw bn ʿms²fq bn Rs²wn***

2 *Ns²qyϟn* ***hqnyʾlmqhbʿl My***—

3 *fʿm ms³ϟndn w-hwṯb-hw w-kl w*—

4 *ld-hw w-ϟkl-qny-hw b-****Ns²qm*** *w-s¹*—

5 ***yr-h ywmϟ*** *ḍbʾ b-ʿm* ***S¹bʾ w-Rkb***—

6 *n rglm w-ϟbʿ****w mṣr Mʿnm*** *b-ʾs¹*—

7 ***fl*** *ʾtmy ϟw-ywm ḍbʾ b-ʿm s²ʿb-*

8 *hw Rkbn b-ϟʿm mṣr S¹bʾ ʿd ʾr*—

9 *ḍ* ***Ḥḍrmt w-*** *yṯbrw s²lϟ[ṯ … …]*—

10 ***bn w-bʿw Myfʿt*** *w-fϟ[… …]*

11 *mfgrt ((Mfgrt)) w-bʿw Kḥd ḏ-ϟ[… … ʿ]*—

12 *brt w-bʿw* ***Kḥd*** *ḏ-Tdnϟ[… …]*

13 *(w)-yw(m) rkl w-****mṣr*** *ʿd* ***Dd(n)****ϟ[w-Ġz]*—

14 *t w-ʾ****hgr Yhd*** *w-ywm s¹lm w-wf*—

15 *y ḏ-ys¹****r bn Ġzt ʿd Kty b-ḍr***

16 ***Ks²dm*** *w-****Ywn*** *w-****ywm hwṣt****-hw w-*

17 *ltʾk-hw Ydʿʾl* ***Byn bn Yṯ****ʿ*—

18 ***ʾmr mlk S¹bʾ*** *ʿd ʾrḍ Ḏkrm((Ḏkrm)) (w)-L*—

19 ***ḥyn((Lḥyn)) w-ʾbʾs¹((ʾbʾs¹))*** *w-Ḥnk((Ḥnk)) ʾlhn ʾrbʿ*

20 *ʿs²r-hw ʾrglm w-hwfy kl ḏ*—

21 *t tlʾk-hw w-hwṣt-hw Ydʿʾl|*

22 *w-hṯb l-hw Ydʿʾl tʾmnt w-*

23 *s²lṯ s²rʿtm w-hmḫḍ-hw ʾlf*

24 *[w]ϟ(r)qm /1000/ w-ks³w-hw w-*ḫ*mr-hw (l)-*

25 *[… r]ϟ(g)ln w-ywm ḍbʾ b-ʿm s²ʿϟ*—

26 *[bn … …]*

النص من السبئية إلى العربية[٤٠]:

١: صبحم - بن - ءمصفق، من رشأن[٤١] نشق

٢: قام بتقديم هديته للمقه بعل

٣: وميفعة[٤٢]، ونقش عليه دعاء بأن يحمي جميع

٤: أولاده وممتلكاته في نشق في

٥: منطقته، بعد أن حارب مع سبأ وفرسانها

٦: وانتصروا على معين مصر في

٧: السفل[٤٣] وفي أتمة[٤٤] وحين وثبوا على مصر

٨: مع سبأ داخل أرض

٩: حضرموت ودمروا ثلاثة [......]

١٠: واستولوا على ميفعت و[قاموا]

١١: بهجوم وتغلبوا على كحذ[٤٥]-[......]

١٢: برت[٤٦] وتغلبوا على كحذ دثن[٤٧] [......]

١٣: وحين تاجر وقاد قافلة إلى ددن وغزت

١٤: ومدن (فيد) وحين عاد آمناً

١٥: وسالماً أُرسل من غزت إلى ذي الكثيب، في أثناء الحرب

١٦: بين (يوان) و(أم هوست) اختاره

١٧: بين بن يث ءمر ملك سبأ عوناً له

١٨: فأرسله رسولاً إلى أرض ذا - كرم

١٩: ولحيان وشيوخها في كل هذه

٢٠: الحملات الأربع عشرة فأنجز ما كلفه به

٢١: كعون له وكرسول

٢٢: فمنحه الثناء ثلاثاً
٢٣: وأعطاه ألف
٢٤: قطعة من ذهب وكسوة ومنحة
٢٥: [......] لأجل أنه حارب مع القبيلة
٢٦: [......]

حسب الوقائع التي يسردها هذا النص من النقش تكون معين **مصر** (مصريم التوراة) قد اشتبكت مع مملكة صغيرة تدعى **نشأن** (مدينة نشن أو خربة السوداء كما تعرف اليوم في منطقة الجوف) كانت متحالفة مع السبئيين (الشماليين). وهذا يعني أنَّ الحروب المبكرة التي خاضتها، كانت ضد ممالك مجاورة أو داخل منطقة الجوف. وبكل تأكيد، فقد كانت هناك مستوطنات سبئية في الجوف، يدين أبناؤها بالولاء لقبائل الشمال، وكان من المرجح دائماً أن يؤدي التنافس في منطقة الجوف بين القبائل إلى حدوث مثل هذه الصدامات. ومملكة نشأن الصغيرة هذه، كانت موالية للسبئيين. في هذا السياق خاضت القبائل السبئية سلسلة حروب (نحو ١٤ معركة) ضد **مصرن** (مصريم) بلغت حدود حضرموت، حيث تمكن **ملك سبأ يبين بن يث أمر**، من الاستيلاء على ميفعة في حضرموت. لقد دخلت هذه الواقعة (التي تعود حسب رأي بعض علماء الآثار إلى ٨٥٠ ق. م) ضمن النسيج السردي لقصص التوراة، لأنَّ بني إسرائيل في هذا العصر كانوا جزءاً من تحالف عريض بقيادة السبئيين المكاربة (وهم الكروبيم في التوراة) فكان أمراً منطقياً أن يحتفظوا بذكرى هذه المعارك، ولتدخل ضمن تاريخهم. وهذا ما يفسر لنا سرّ وجود اسم (**ميفعة**)[٤٨] في كثير من أسفار التوراة!

لقد دارت فيها معارك ضارية ضد مصريم التي أنشأ فيها السبئيون

المستوطنون بيت عبادة خاصاً بهم. ولأنَّ تاريخ سبأ يعرف خمسة من الملوك يحملون الاسم نفسه تقريباً، فمن المحتمل، بمقارنة بعض الوقائع الواردة في النص مع التاريخ الرسمي لسبأ، أنَّ هذا الملك هو يثع أمر وتر الرابع ابن سماح علي ينوف الذي عاش نحو ٧٠٠ ق. م وفي هذه الحالة يجب أن نعتبر أنَّ التاريخ الحقيقي للنقش هو ٧٠٠ ق. م وليس ٨٥٠ ق. م كما افترض علماء الآثار. في هذا العصر بدأت بعض المدن المصرية في الجوف اليمني تسقط بالفعل في قبضة السبئيين، وهذا ما يفسر لنا سرّ وجود ما يسميه علماء الآثار (المستوطنات السبئية في منطقة الجوف). لكن نقشاً آخر كتبه كاهن يدعى وشيع دث أب يشيع (من معين مصرن) يروي رواية أخرى مثيرة عن هجوم شنّه المصريون على السبئيين بعد نحو قرن من الهجوم السبئي، والنقش يسجل اسم مصر بالتلازم مع اسم ارم (١١- انظر إرم) وهو من النقوش المتأخرة التي تعود إلى فترة حكم ياسر يهنعم (المعروف عند الإخباريين العرب باسم ناشر النعم) وابنه شمر يهرعش (ياسريهنعم الأول وشمر يهرعش الأول، وهما من ملوك سبأ الذين لا يعرف علماء الآثار بدقة عصر حكمهما). يتحدث النقش عن معارك قُتل فيها نحو ٣٢٠ من القبائل الحميرية المتحالفة مع السبئيين.

وأريد هنا توضيح الأمر الآتي: إنَّ معظم النقوش المسندية تتضمن ثلاثة أنماط (أساليب كتابية):
١: نقوش نذرية، وهذه غالباً ما تكون مصحوبة بتقديم تماثيل من البرونز (الذهب أو الفضة) للإله، ٢: نقوش قبورية خاصة بشواهد قبور الموتى الذين يتركون أسماءهم وأسماء قبائلهم والعصر الذي عاشوا فيه، ٣: نقوش أخبار المعارك و(التجارة). وبعض هذه النقوش تجمع بين الأخبار وتقديم النذور.

هاكم النقش:

الفترة الزمنية: د

مكانه: ناعط[٤٩]

النص[٥٠]:

*1 [… …] (w)-**S^{1}ʻdtʼlb Yhs^{2}ʻ w-bny-hmw Mḥm{|}dm***

*2 [… **… b]nw Ms^{2}ʻrnhqnyw** s^{2}ym-hmw **Tʼlb Rymm***

3 [bʻl Ḥdṯnn … …]-(ʼ)ly-hw ṣlmm ḏ-ḏhbm ḥmdm b-ḏt ḫmr w—

*4 [… … S^{1}ʻdtʼ](l)b **Yhs^{2}ʻ bn Ms^{2}ʻrn b-kl s^{1}bʼt w-ḍbyʼ w-m—***

*5 [hrgt … … M]**rb** w-nẓr-hw b-kn hrgw qrn ʼḥmrn b-h—*

*6 [grn … …]-hw f-tṣnʻw b-hgrn **Ḍhr** w-mwr-hmw b-hw mlk—*

7 [nhn Ys^{1}rm Yhnʻm w-S^{2}m]r Yhrʻs^{2} mlky S^{1}bʼ w-ḏ-Rydn w-kl mṣr Ḥ[my]—

*8 [rm … …] (h)grn **Ḍhr** w-ẓwr-hmw b-hw ʻdy s^{1}tmtw bn[.]*

*9 [… …] ḥblw mrʼy-hmw Yrm w-Brg bny Btʻ **w-Hmd(n)** |*

*10 [… …] ʼrydn w-ʼs^{2}r **S^{1}fln w-ʼʻrb Mrb w-Ḏʼbn** ʼr— 11 [s^{2}m … …h]ʻnw bʻd-hmw mrʼy-hmw S^{2}fʻṯt ʼs^{2}wʻ **w-Yrm** ʼy—*

12 [mn … …]m w-hdrk-hmw b-Kwrnhn w-hqḏ-hmw s^{1}by-hmw

13 [… …]w ʼs^{2}ry w-ṯlṯ mʼnm (ʼ)s^{1}dm bḍʻm w-ʼrydn f-ẓwrw

14 [… …] s^{1}bʻw kl mḥfdt Rydt w-kl mṣnʻ ʼrydn w-

15 [… …]nhn Ḍbʻm w-Bḍʻtm w-ʼtww bn kl ʼlt s^{1}bʼtn

16 [… …] w-ġnmm ḏ-hrḍw-hmw w-ḥmdm b-ḏt hwrʻw w-s^{1}—

*17 [… … m]ḥfdn ḏ-S^{1}bʼyn mnhmtm w-l s^{1}ʻd-hmw **Tʼlb R—***

*18 **[ymm** … …] ʼṯmr w-ʼfql ṣdqm ʻdy ʼrḍ-hmw w-ms^{2}y—*

19 [mt-hmw … …](b)-Tʼlb-Rymm bʻl Ḥdṯnn

الترجمة من السبئية:

١ : (...) وشيع دث أب يشيع *(w-S¹ʿdtʾlb Yhs²ʿ)* وأبناؤه.

٢ : وهم من مصرن *(b]nw Ms²ʿrn)*

٣ : قدّموا (أهدوا) لإلهم تمثالاً من البرونز

٤ : شيع دث أب يشيع لعودتهم سالمين

٥ : امتناناً لأنه حماهم من الموت في هجرة (هكرة) مأرب، وصانهم وحماهم من الحميريين

٦ : أما الذين لجأوا إلى جبل ظهر (ضهر)[٥١] فقد حاصرهم الملكان.

٧ : ياسر يهنعم وشمر يهرعش ملكا سبأ وذي ريدان والبدو وسكان تهامة

٨ : وطوقوهم حتى ماتوا

٩ : (....) أما سيداهم يرم وبارع[٥٢] ابنا يث، فعقدا اتفاقاً مع همدان

١٠ : والريدانيين والسفل والبدو من مأرب وذا برس(م)

١١ : فساعدوا أسياد سيف والسوء[٥٣] وإرم (ن)

١٢ : فأدركوهم في كورهم وقبضوا عليهم وأسروهم

١٣ : فُقتل ٣٢٠ رجلاً

١٤ : وحاصر الريدانيون كل حصون ريدة وبدث.

١٥ :وعادوا من معاركهم بغنائم وافرة فشكروا لأنهم اقتحموا

١٦ : قلعة السببن ذات الحجر المصقول

١٧ : عسى أن يمنح الإله تالب

١٨ : حصاداً جيداً وغلالاً في جميع أراضيهم وحقولهم

١٩ : تقبّل منّا تألب ريام بعل (حدثن).

الفترة الزمنية: أ
مكانه: في متحف اللوفر
النص:

1 [......] mns²ʿm w-yw[m......]
2 [...... K]r(b)ʾl bn mṣr-h[w......]

ترجمته: منشأ (سمو) ويو– م

ك (ر) (ب) كرب من مصر: هـ (و)



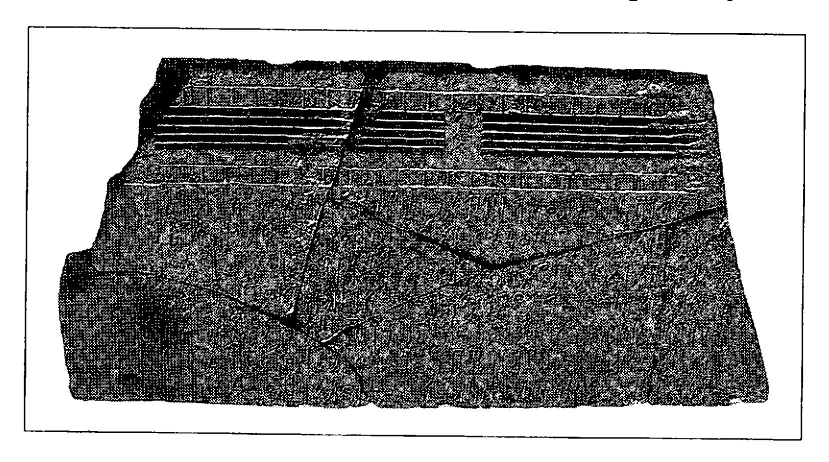
حول نقش يوأش- يواش في مصر؟

سأكشف هنا عن نقش نادر ومثير لم يلفت عناية علماء الآثار أو انتباههم، ورد فيه اسم (يواش) بوصفه كاهناً من كهنة ملوك مصر، بينما نعلم من التوراة أن يوآش كان ملكاً إسرائيلياً!

عُثر على النقش في مدينة براقش التاريخية، إحدى أهم مدن معين مصرن (مصريم)، وهو يسرد بلغة مقتضبة كيفية بناء معبد ديني وتوسيعه.

يعود النقش إلى حقبة الملك (وقه يريم) ملك مصر! ويعرف علماء الآثار بإجماعهم هذا الملك جيداً، فهو (وقه ايل ريام ـ ريم ـ ابن الملك أب يدع يثع ابن الملك هوفعث، حسب ما افترض فلبي. لكن البرايت جعله في موضع ابن هوفعث المباشر، غير أنه عاد فجعله ابناً من أبناء أب يدع يثع[٥٤] نحو ٨٧٠-٨٥٠ ق. م).

هنا صورة النقش:



الفترة الزمنية: ب (٨٧٠ ق.م- المؤلف)

مكانه: براقش الجوف اليمني

النص[٥٥]:

1 ***[Y'w]ʿ(s^1)'l bn Ys^1m*** *'‘l ḏ-Ġzr S^1ḥ(fn)(')ʿbd* ***Wqh'l Rym*** |

2 *[ml]k* ***M‘ʿn kbr ʿgrbnw-nqln s^3lʿ*** *' w-s^1qnʿy ‘ṯtr* ***ḏ-Qbḍm***

3 ***kl mṣrʿbt qrqrbytnQʿbḍm*** *w-mqldn ywʿm qtdm* ***Y'ws^1—***

4 ***'l k-mrʿ'h-s^1 Wqh'l*** *Rym mlk M‘nʿm kl mnqʿl w-mbnyʿ bytn*

5 *Qbḍm bʿn 's^2rs^1m ‘d s^2qrn w-ywm bny b-ʿgn'ʿ (h)grn Yṯl mḥ—*

6 ***fdn Ṣʿdqn*** *ḏ-s^3n S^2bm b-ṭbnh 'ẖ-s^1 ʿRṯd'l ḏ-Ġzr S^1—*

7 *ḥfn yʿwm s^1ṯb k-s^1 mr'-s^1* ***mlk M‘nʿw-ms^3dM‘n*** *t'mnm*

الترجمة من السبئية إلى العربية:

١. يوآش بن يشأمع (سامع) ذا ـ غزر سهفن، خادم وقه ـ يريم

٢. ملك معين وكبير المكربيين (الكهنة) قدم وأعوانه للإله هذا البناء بالحجارة

٣. وكبراء مصر وساداتهم وسعّوا قاعة المعبد والحوض، حين وجّه يوأش
٤. أن يعرض على سيده وقه ـ ءل ـ ملك معين، جميع حفريات المعبد وأبنيته
٥. ومرافقه من الأساسات إلى القمة، وحين بنى على جدران بلدة يثل
٦. قلعة سبقن، في أملاك أخيه رتد ـ ل د ـ غزر
٧. سهفن، فعبّر سيده ملك معين وأعوان معين عن امتنانهم له.

نفهم من هذا النقش أنَّ كبراء (نبلاء مصر) حضروا مراسم افتتاح معبد أقامه كاهن يدعى يوآش ـ يواش في مدينة يثل، وهي من مستوطنات السبئيين في الجوف. تقع مدينة يثل (يتل ـ نهاية السطر ٥) في الجوف، وهي تعدّ تاريخياً بين أهم خمسة مواقع دينية في معين. وتكمن أهمية هذا النقش في جوانب كثيرة، منها أنه يقدّم لنا لأول مرة صيغة من صيغ اسم (**يوآش**) التوراتي، باعتبارها اسماً مألوفاً في عصر **مملكة مصرن** (مصريم ـ عهد الملك وقه **ريام**)[٥٦]. وما يثير دهشتنا، أنَّ التوراة تذكر اسم **يواش هذا مع اسم الملك ريام**! هاكم هذا النص من سفر الملوك الثاني الإصحَاحُ الْحَادِي عَشَرَ: ١، ٣:

فَلَمَّا رَأَتْ عَثَلْيَا أُمُّ أَخَزْيَا، أَنَّ ابْنَهَا قَد مَاتَ، قَامَتْ فَأَبَادَت جَمِيعَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ. فَأَخَذَتْ يهُوشَبَعُ بِنْتُ **الْمَلِكِ يُورَامَ**، أُخْتُ أَخَزْيَا، **يُوآشَ بْنَ أَخَزْيَا** وَسَرقَتْهُ مِنْ وَسَطِ بَنِي الْمَلِكِ الَّذِين قُتِلُوا، هُوَ وَمُرْضِعَتَهُ مِنْ مُخْدَعِ السَّرِيرِ، وَخَبَّأُوهُ مِنْ وَجْهِ عَثَلْيَا فَلَم يُقْتَلْ. وَكَانَ مَعَهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ مُخْتَبِئاً ست سِنِينَ.

וַעֲתַלְיָה אֵם אֲחַזְיָהוּ, וראתה (רָאֲתָה) כִּי מֵת בְּנָהּ; וַתָּקָם, וַתְּאַבֵּד, אֵת, כָּל-זֶרַע הַמַּמְלָכָה. וַתִּקַּח יְהוֹשֶׁבַע בַּת-**הַמֶּלֶךְ-יוֹרָם** אֲחוֹת אֲחַזְיָהוּ אֶת-**יוֹאָשׁ בֶּן-אֲחַזְיָה**, וַתִּגְנֹב אֹתוֹ מִתּוֹךְ

בְּנֵי-הַמֶּלֶךְ הממותתים (הַמּוּמָתִים)--אתו וְאֶת-מֵינִקְתּוֹ, בַּחֲדַר הַמִּטּוֹת; וַיַּסְתִּרוּ אתו מִפְּנֵי עֲתַלְיָהוּ, וְלֹא הוּמָת. וַיְהִי אִתָּהּ בֵּית יְהוָה, מִתְחַבֵּא שֵׁשׁ שָׁנִים

على الأرجح، وطبقاً لهذه الوقائع، إنَّ قصة حياة الملك الإسرائيلي يوآش (٨٣٥-٧٩٦ ق. م يهوآش بن يهوحاز حسب التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل) هي في الأصل قصة كاهن يهودي يمني، عاش ضمن مستوطنات السبئيين في معين مصرن، وقد استُردّت لكتابة سيرة بطولية وخلاصية، فقد جرى تهريبه من بيت الملك بعد مصرع الأسرة المالكة. وكنا قد رأينا أن علماء الآثار يضعون الملك المعيني (المصري) وقه يريم (يورم) في هذا العصر! لنلاحظ أننا نقرأ في هذا النص التوراتي اسم **يورام - يرم** مع اسم **يواش!** فهل هذه محض مصادفة أنَّ النقوش المسندية تتطابق مع النص التوراتي؟ لنلاحظ هنا، كيف أنَّ التوراة تسير على خطى التقاليد التاريخية لطرق الكتابة اليمنية وأساليبها، فهي ترسم اسم (يواش) في صورة (يهواش) واسم (يوحاز) في صورة (يهوحاز). وهذا الرسم يتطابق مع رسم الاسم في النقوش اليمنية: يرعش في صورة يهرعش.

وهاكم نقشاً آخر: *CIH 363* من الفترة الزمنية: أ (العصر نفسه) وهو من متحف اللوفر، وقد ورد فيه اسم مصر. ومحتواه يشير إلى تقديم نذور للإله ود والإله المقه في مصرن، وهو ما يؤكد أن السبئيين في هذا العصر كانوا يعبدون (ود) كما يعبدون (المقه).

وهنا صورة النقش:



1 *[… …]t w-kl ʾhgϟr Ngrn w-w[… …]*
2 *[… …] kl ʾhgr ϟNgrn w-gb(ḏ)[… …]*
3 *[… …w]ld ʾlmqhϟbn Ngrn ḏ[… …]*
4 *[… …w]ḍʿ Mhʾmrϟm b-ḍrn ḫm[… …]*
5 *[… …]ϟmṣr qdm ʿ[… …]*

مسألة برعو فرعون «الملك المصري»

سنقوم هنا بتحليل مفهوم كلمة (مصري) الوارد في نقوش المسند الحميرية والآشورية وفي التوراة، بهدف (فضّ الاشتباك) الدلالي بينها وبين اسم مصر، تمهيداً لإعادة بناء الرواية التاريخية عن الحملات المصرية، والكشف عن المسار الحقيقي لتحرك القوات والأهداف العسكرية التي كانت تنشدها.

أولاً: تُرسم كلمة مصري في العبرية في الصورة الآتية: מצרי (مصري)، وقد وردت في سفر صموئيل الأول (النص العبري: ١١-٣٠-٢٩) ضمن جملة طويلة تقول:

ي ـ م ـ صئو ـ ء ـ يش ـ مصري ـ ب ـ شدة
ימצאו איש מצרי בשדה.

وقد فهمت الجملة على النحو الآتي: (وشاهدوا رجلاً مصرياً في الحقل).

يُفهم من هذه الترجمة في التوراة، وجود رجل مصري عُثر عليه يمشي

داخل حقل (والصحيح أنهم شاهدوا رجلاً مصرياً في المرتفعات، لأن النص العبري يستخدم تعبير شدة: أي نجد، مرتفع). إنَّ سياق النص والمروية لا يشيران إلى أيّ أمر يتعلق بمصر البلد ـ الإقليم. ولذلك، تبدو الجملة غير مفهومة وعديمة المعنى. في الواقع، لا يقول النصّ العبري مثل هذه الجملة، والترجمة تبدو اعتباطية وغير دقيقة. كذلك إنَّ سياق الرواية التوراتية، ووصف المواضع والأماكن فيها، يضعاننا أمام حقيقة أخرى، هي أنَّ الرجل المصري هذا من (معن ـ معين مصرن)، أي من مملكة معين الجوف، وهم كانوا يُعرَّفون نسبة لاسم مملكتهم المصرية[٥٧].

إنَّ وجود رجل مصري، ينتسب لقبائل معين الجوف، وهم أهل تجارة ومال ورخاء، أمر يبدو مفهوماً، ذلك أنَّ القبيلة تسيطر على طرق التجارة في البر والساحل، وهذا مغزى قول النقش الآشوري إنَّ الإمبراطور تجلات بلاسر الثالث عيّن رجلاً من قبيلة أد ـ بئيل زعيماً على مُصر (مصرن بالنون الكلاعية)، وليس على مصر الإقليم العربي. أي إنه فرض على معين الجوف ملكاً من قبيلة موالية له. والنصوص الآشورية تستخدم تعبير (شراني مت مصري) *Sharrani Mat Musri*، أي «ملوك أرض مصر»[٥٨].

ثانياً: إنَّ اسم المفرد (مصري) هذا، يُرسم في العبرية في صيغة اسم الجمع مصريم מצרים، أي المصريين. وهذه الصيغة من الاسم تنصرف برأينا إلى المعنى نفسه، أي رجل من مملكة (معين مصرن) اليمنية، وهي كما سنلاحظ تالياً، نشأت وازدهرت قبل كتابة التوراة بقرنين على الأقل. وهذا الوصف (مصرن) قصد به مملكة معين الجوف، واسم النسبة مصريين بمعنى (المتمدنين)، لأنهم أهل تجارة، وليس بمعنى المصريين نسبة إلى الإقليم. وما

يؤكد هذا الاستنتاج، أنَّ بعض أسفار التوراة تستخدم تعبير (مشفحت هاـ مصريم משפחת-המצרים)، وهي تقصد عشائر المصريين، وهم بالفعل عشائر، لأن المعينيين كانوا تحالفاً قبلياً أسس مملكة عظيمة، ولا تقصد به مصر الإقليم، إذ من غير المقبول أن نتصور التوراة وهي تطلق تعبير (عشائر المصريين) على مصر البلد! والصحيح أنها عنت عشائر المعينيين المصريين، نسبة إلى المملكة التي اصطدمت بالآشوريين، وهزمت ثم عقدت معهم صلحاً كما رأينا من بعض النقوش الآشورية والبابلية.

وهاكم هذا النقش الذي يذكر اسم مصر بالتلازم مع اسم إسرائيل:

CIH 543

1 [b]rk w-tbrk s^{1}m Rḥmnn ḏ-b-s^{1}myn w-**Ys^{3}r'l** w-

2 'lh-hmw rb-**Yhd** ḏ-hrd(') ʿbd-hmw S^{2}hrm w-

3 'm-hw Bdm w-ḥs^{2}kt-hw S^{2}ms^{1}m w-'l—

4 wd-hmy Ḍmm w-'bs^{2}ʿr (w)-Mṣr—

5 m w-kl bhṯ-h [... ...]

6 [.]w[... ...]

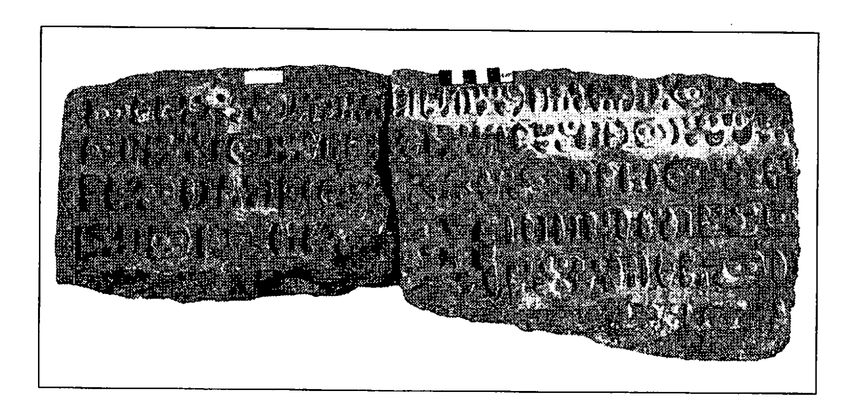
١ : تبارك اسم الرحمن وذي شمين **وإسرائيل**،

٢ : وإلههم رب **اليهود**، ذو حرض عبده شهرم

٣ : وأمه بدم وزوجته شمس

٤ : وأولاده بعودتهم من **مصر**

٥ : وكل آل بيته



إنَّ النقوش النذرية الكثيرة التي أمكن الحصول عليها في اليمن، تسجل ـ في معظمها ـ اسم **إسرائيل**، أو (**رب اليهود**) بالتلازم مع اسم **مصر** بوصفه دالاً على عشائر (قبائل) في منطقة الجوف. وهذا يعني أنَّ اسم مصر ظل حاضراً في النقوش المسندية حتى مع زوال مملكة (مصرن). وسنرى ذلك بدقة مع ظهور صيغة (**كل مصر**) في النقوش بوصفها صيغة دالة على (قبائل مصر ـ عشائر الجوف).

ثالثاً: وما يؤيد ذلك، أنَّ النقوش المسندية تتحدث عن معارك بين مصر ومدي. أي بين(معين مصرن) التي تسيطر على الجوف وطرق التجارة البريّة، ومنافسيهم من قبائل (مدي) التي تسيطر على الساحل. ولنلاحظ النون الكلاعية التي تدخل على الاسم مصر (مصرن، مثل صنعا ـ صنعن، عدن ـ عدنن، عرب، عربن). وقبائل مدي ـ كما رأينا ـ تقيم في حجّة، وكانت مدينتهم ميناءً مزدهراً. ولذا، شعرت القبائل الساحلية بالضيق من تمدّد المعينيين، وطموحاتهم لوضع الساحل اليمني في قبضتهم، ومحاولتهم تغيير خطوط التجارة أو نقلها من عالم البرّ إلى عالم البحر. كل هذا ينفي

عن مصر الإقليم أيّ تورط في الصراع مع مديا الفارسية. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فهل اخترع الحميريون حرباً لا أصل لها، واهتمّوا بتسجيل وقائعها؟ وما المقصود باسم مصر هنا؟ يتضح من نقش معيني يعرف باسم كلاسر *Glaser 1155* ومن نقش آخر يعرف باسم هاليفي *Halevy 520* أن هذه الحرب نشبت بالفعل بين طرفين قبليين، ذلك أنَّ أصحاب النقش الذين دوّنوا وقائع الحدث، كانوا ثلاثة من الزعماء، هم عم صدق وعم يدع وعم كرب، وهم من قبيلة يافع، وأحدهما كان يدعى كبير ـ أي ملك ـ معين مصران.

ومملكة معين هذه، كما قلنا مراراً في هذه المؤلفات، اشتهرت بتجارة اللبان والبخور، وكانت عاصمتها القديمة قرنو إحدى اكبر العواصم التجارية في المنطقة، بفضل احتكارها وقيادتها للتجارة في العالم القديم. والاستنتاج الذي نخرج به من هذا النقش هو الآتي: إنَّ اسم مصر دُوِّن طبقاً للنطق اليمني(مصرن) وليس مصر. وهذه الصيغة في اللغة المعينية، تقابلها في العبرية صيغة مصريم ـ مصرن، والمقصود به معن مصرن. وما يدعم هذا ويؤكده، أنَّ السجلات المصرية الدقيقة تخلو تماماً من ذكر أي حرب بين مصر ومديا الفارسية. وكنا قد أشرنا إلى حقيقة أنَّ اسم مصر لم يظهر في السجلات المصرية إلا بعد ٧٠٠ ق. م، بينما نراه في النقوش اليمنية في حدود ١٥٠٠-٨٥٠ ق. م.

رابعاً: إنَّ تحليل النقش الآشوري الذي يدور حول المعركة نفسها، سيؤدي إلى استنتاج مفاده أنه يتحدث عن حرب تأديبيّة شنّها الجيش الآشوري على قبائل (مصرن) المتمرّدة ـ في ساحل البحر الأحمر، حيث تفرض هناك

سيطرتها المطلقة. ولا يقصد به بأيّ صورة من الصور الإشارة أو التلميح إلى حرب ضد مصر الإقليم. ولذا يُفهم قرار العاهل الآشوري بتعيين رجل من قبيلة أد ـ بثيل الموالية له، زعيماً على مصري. وبفضل مثل هذا الفهم النقدي للنقوش، سيكون مفهوماً كيف أنَّ الآشوريين أخضعوا السبئيين والمعينيين المتمصرّين (وليس المصريين).

خامساً: لكن ماذا عن **برعو ملك مصري** الذي زعم الاستشراقيون، والتوراتيون كذلك، أنه **فرعون مصر**، حين فرض عليه الآشوريون الجزية؟ إنَّ التاريخ لا يعرف واقعة من هذا النوع، ولم يحدث أن دفع **المصريون** الجزية لأي دولة. في الواقع، ليس **برعو**[٥٩] هذا سوى أحد **ملوك مصرن** الذي قدّم الجزية **للآشوريين**، بالفعل، وتماماً كما جاء في النقش. لقد قرئ اسمه بطريقة جعلت من مبناه أكثر شبهاً **باسم الفرعون**، وذلك بهدف دعم فكرة أنَّ الحملة بلغت فلسطين. وبالطبع لم يحدث قط أن قام **ملك مصري**، سوية مع شيوخ قبائل عربية مثل **العبابيد والسبئيين**، بتقديم فروض الطاعة والولاء **لتجلات بلاسر الثالث** في حملة لم تستهدف مصر أصلاً! وكنا رأينا من **سفر التكوين** ـ قصة يوسف، أنَّ **فرعه** هو (**فرعون**) وليس (**برعو**). فأيّ الصيغتين في التوراة نصدق؟ وكيف يمكننا أن نقبل من منظور علمي نزيه أنَّ (**برعو**) تعني فرعون، وأنَّ (**فرعة**) تعني **فرعون** كذلك؟ وماذا نفعل مع النقش الشهير الذي عُثر عليه في أنقاض صرواح والمعروف بكتابة صرواح، والموسوم عند العلماء بـ*Glaser 1000A, B*. وصاحبه الملك كرب **إيل وتر**، وهو من أهم ما عثر عليه من نصوص هذا العهد، وقد دوّن فيه أخبار فتوحاته وانتصاراته والأملاك التي حصل عليها، فذكر أنه تملك موضع **حضرو ـ حضر وفرعة**[٦٠].

هذا السؤال جوهريّ تماماً، وهو يتعلق بالترجمة التي تلاعبت بالتاريخ. لكل ذلك، بات لزاماً علينا إعادة بناء هذه المروية التاريخية بنحو صحيح. وفي هذا السياق، يجب علينا أن نقوم بتحليل موازٍ لاسم برعو، وذلك بهدف الكشف عن نوع التلاعب وطبيعته.

إنَّ اسم برعو من الأسماء الشائعة عند القبائل العربية، ولهجة الواو لهجة قديمة تميّزت بها قبائل جنوب غرب الجزيرة العربية، فهم يقولون في عبد: عبدو، وفي أحمد: أحمدو. ولنتذكر أنَّ المعينيين اليمنيين سكان الجوف، ينطقون الأسماء بإلحاق حرف الواو في آخر الأسماء على جري العادات الصوتية للقبائل، فهم ينطقون اسم عاصمتهم في صورة (قرنو)، وهي (قرن). وما يؤكد هذا الاستنتاج أنَّ نصوص سرجون الثاني تتحدث بوضوح عن الأعراب، وتصفهم بأنهم سكان بوادٍ نائية، ولم يدفعوا الجزية لأحد من قبل، بينما يشير في النصوص ذاتها بعد جملة ـ ويثع أمر السبئي ـ إلى أنَّ الملوك الأربعة الذين فرض عليهم الجزية هم (ملوك على الساحل، ومنهم ملوك في البادية)[٦١]. والمثير للاهتمام أنَّ برعو هذا هو اسم قرية جبلية ضمن عزلة سامع وجبل قدس! أي إنَّ المقصود به ملك جبل برع! وهذا يعني أن برعو ـ برع ليس اسماً للملك. أما (الملك العربي)، فهو منسوب إلى موضع بعينه، هو موضع (العربة) في المكان نفسه لوادي العرب (عريبي) في تعز. وهاكم اسم الموضع: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة. كذلك توجد محلة في القرية نفسها، محلة العربة العليا.

يعني هذا أنَّ ملك برعو ـ الملك برعو، ليس سوى ملك قبلي من بين أربعة ملوك شاركوا في التصدي للآشوريين، وكان ملكاً على مخلاف ـ

مملكة صغيرة متحالفة مع المعينيين، وقد شاركهم القتال بنفسه، وترك لنا اسمه (ملك برعو)، في إشارة إلى أنَّ اسمه له صلة بالجبل المقدّس جبل قدس (إلى الجنوب من تعز بأكثر من ٧٠-٨٠ كم). وبرع - برعو قرية عامرة تعرف باسم (برع) ظلت متلازمة مع اسم قدس. واليوم يمكننا أن نسمع الرعاة، وهم يغنون في سفح جبل قدس بأصوات جميلة (**يا قدس ذا البرع**). تماماً كما تقول العبارة التوراتية (قدش برنيع)! لقد أصبحا متلازمين إلى النهاية. كل هذا يعني أنَّ المعركة جرت بين الآشوريين وقبائل تعز في منطقة قدس وبرع!

وسنتوقف هنا عند اسم هذا الجبل الذي فُهم خطأً أنَّ المقصود به فرعون مصر. إنَّ أهمية دراسة هذا النقش تكمن في أنها ستفكّك لنا لغز معركة (قادش) التي خاضها رمسيس الثاني. ويتعيّن أن نلاحظ هنا كيف أنَّ هذا التلازم بين الاسمين، المستمر والمتواصل في الذاكرة الجمعية لليمنيين، يتصل بالقداسة الدينية التي أضفيت على الجبل، وهذا تقليد يمني شائع، وحتى اليوم تجد اليمنيين يتحدثون عن جبال مقدسة (مثل جبل كنن). إنَّ هذا التقليد الديني هو الذي يفسّر لنا سرّ وجود مرويات تتكرر في أسفار التوراة عن تقديس الجبال في عصر موسى ويوشع بن نون. وممّا يدفع إلى الاعتقاد أنَّ الملك الذي تسميّ باسم برعو-برع، تسمّى باسم معبوده وإلهه الذي قدّسه، هو هذا التماثل المدهش بين قصص التوراة ومعتقدات اليمنيين بخصوص وجود جبال مقدّسة. ولعل الصيغة المُحيّرة التي تسجلها التوراة للاسمين، هي التي دفعت المؤرخين ومحققي التوراة إلى الاعتراف بعدم قدرتهم على فهم ما المقصود منها، فهي صيغة غريبة ضمن جملة ورد فيها اسم قدس مع اسم برع في الصورة الآتية:

قدس برنيع קדש ברנע.

لقد أخفق مترجمو النص العبري، وحتى الباحثون المعاصرون المهتمّون بالتاريخ القديم، في تقديم أي مقاربة مقبولة لفهم هذه الصيغة المحيّرة: قدش ـ برنيع (برنع). ولذلك، سأقدم قراءة جديدة لتفكيك هذا اللغز.

هنا نصّان من سفر يشوع يوضحان طبيعة التلازم بين برع ـ برعو وجبل قدس:

أولاً: يقول النص العبري ما يأتي: (يشوع ٤١:١٠)

ויבם יהושע מקדש ברנע ועד-עזה ואת כל-ארץ גשן (الترجمة في النسخة العربية: فضربهم يشوع من قادش برنيع[٦٢] إلى غزة مع كل أرض جوشن).

وهذه ترجمة غير مقبولة[٦٣] ونقترح هنا ترجمة بديلة لها على النحو الآتي: (فطاردهم يشوع من قدس وبرع حتى عزه وكل أرض جوسن).

ثانياً: (يشوع: ١٥: ٣)

ועבר צנה ועלה מנגב לקדש ברנע (الترجمة في النسخة العربية: **ويمرّ إلى صين ويصعد إلى جنوب قادش برنيع). وهذه ترجمة غير مقبولة أيضاً ولا تلتزم النص[٦٤]. والصحيح برأينا هو الآتي: (وعُبر، وصنه، ثم تصعد من جنب إلى قدس وبرع).**

في هذين النصّين يتّضح بنحو لا لبس فيه، وجود مكانين مقدّسين، أحدهما

يدعى قدس، والآخر برع، وأن أحد ملوك تعز من حلفاء المعينيين، تسمّى باسمه برعو (بُرع). وكنا قد رأينا من النقوش المسندية اليمنية أنَّ أحد ملوك الجوف يدعى بارع؟

وبمقارنة هذا النص مع النقوش الآشورية والمصرية يتكشّف لنا كذلك أنَّ الحرب وقعت ضد هذين المملكتين (والملكين) في قرية جبلية تدعى برع ـ برعو في تعز، وأنَّ أحدهما كان من ملوك مخاليف مملكة معين ـ مصرن (أي إنه ملك مصري) وقع في الأسر، ثم أُرغم على دفع الجزية للآشوريين. وبطبيعة الحال، فليس هذا الملك هو نفسه فرعون مصر البلد العربي.

وهنا وصف دقيق لجبل قدس (المعافر ـ محافظة تعز اليوم) كما سجله يشوع والهمداني، وبينهما ما يزيد على ألف عام:
نص الهمداني ١٣٣ـ١٣٧

وجبل برع (محافظة الحديدة) فبلد بني حارثة ويرد، فأدرا ـ ن[٦٥] وجنب، ووادي أديم وجبال ذات السريح (ذي السريح ثم قدس ـ المحقق)

نص يشوع (النص العبري بالحرف العربي)
ءدم ـ م ـ دبر (..) م ـ جنب ل ـ قدش ـ برنع ـ وعبر ـ حصرون[٦٦] ـ ويعله ـ ء درا (أديم من البرية (..) من جَنَب إلى قدس، وبرع، عُبر، وحضر، وأدرا)
ها هنا جبل قدس المبارك، وها هنا برع، وسائر المواضع الأخرى التي تجاورهما، تماماً كما وردا في نصوص التوراة والهمداني والنقوش المصرية والآشورية. سأميز هنا بين مكانين يحملان الاسم نفسه (برع) احدهما جبل في الساحل (الحديدة) وآخر قرية ضمن إقليم المعافر في تعز. تقع قرية بُرع

التي لا تزال اليوم هناك في موضعها، ضمن فضاء جغرافي فريد، وداخل محيط إداري يدعى اليوم عزلة سامع ـ قدس. كذلك يوجد جبل آخر يحمل الاسم نفسه، يشكل محميّة طبيعية تعرف باسمه القديم (**محميّة برع**) شرقي **محافظة الحديدة على ساحل البحر الأحمر**، حيث سكنت **قبائل يافع** على بعد نحو ٥٠ كيلو متراًمن مركزها. وثلاثة من شيوخهم وزعمائهم في الجوف كما رأينا، هم من كتب النقش الذي يذكر **معن مصرن**.

يرتفع الجبل الشامخ **قدس** من ٣٠٠-٢٢٠٠ متر عن مستوى سطح البحر. أمّا المحميّة، فإنها تقع على ارتفاع ما بين ٣٠٠-٨٠٠ متر عن مستوى سطح البحر، وتبلغ مساحتها في منطقة وادي رجاف نحو مئتي هكتار، ويبلغ طولها نحو ٥ كيلومترات، ابتداءً من منطقة سوق السبت، نزولاً حتى منطقتي قريتي الكاحل والمرخام. وتضمّ المحميّة سفوح التلال التهامية، ويوجد فيها أحراج أشجار ونباتات مختلفة ونادرة. وإذا ما افترضنا أنَّ المقصود بجبل برع (برع في الساحل)، فهذا يعني أنَّ المعارك التي خاضها الأشوريون كانت هناك. وهذا التوصيف يؤكد حجم المساحة الكبيرة التي دارت فيها المعارك الآشورية، ثم المصرية ضد قبائل الساحل اليمني، ويوضّح كذلك، وبجلاء مضمون الهجوم الذي قام به رمسيس على جبل قدس ـ قدش وقبائله، بينما لا يبدو مقبولاً من المنظور الجغرافي تصوّر، أنه هاجم (مدينة قدس. القدس الفلسطينية) الصغيرة التي لم يكن لها وجود بهذا الاسم في عصره. وبالطبع، فمن يتمكن من إخضاع ملكة وادي العرب، كما ورد في نقوش الحملة الآشورية، فسيكون بوسعه إخضاع جيرانها من الملوك، ومن هؤلاء ملك برع ـ برعو، أي ملك مخلاف برع، وليس فرعون مصر. ومع هذا ثمة مفارقة ساخرة أخرى، فلو كانت برعو

تعني فرعون، فكيف سجلتها القوائم على أنها من الأماكن التي وقعت في قبضة المصريين؟ أي كيف نقبل فكرة أنَّ المصريين أسروا الفرعون؟

أما أبابيد_العبابيد، فهو اسم يُقصد به القبيلة التي يسميها الهمداني العبيديين- العبابيد، وهم من بقايا جرهم اليمنية، وكانوا يقيمون في الساحل (الهمداني: صفة جزيرة العرب ٣٠٤)، فيما أقامت ثمود ـ تمودي *Tamudi* البائدة في مواطن كثيرة، منها ظفار وحضرموت[٦٧]. وفي هذا الإطار، سنشير عرضاً إلى بعض نصوص سنحريب ٧٠٥-٦٨١ ق. م الذي نعلم منه أنه تسلّم هدايا من كرب إيل ـ كربي ـ إيلو *Karibi–ilu* ملك سبأ *Saba'i* إذ بنى بيتاً دينياً في احتفال عظيم لمناسبة عيد أكيتو *Bit–Akitu*، للاحتفال فيه بعيد رأس السنة. وعيد الأكيتو هذا، ليس سوى عيد الأقط عند القبائل القديمة في جنوب الجزيرة العربية، أي عيد الجبن (العربي القديم الذي يرتبط بصناعة الجبن والذي يدعى الأقط). ونحن نعلم أنَّ اليمنيين القدماء والمعاصرين طوّروا صناعة أنواع كثيرة من الأجبان بنحو مذهل، وحتى اليوم لا تزال هذه الصناعة مزدهرة. وبكل تأكيد، لا يوجد ملك يحمل لقب كرب إلا في اليمن. وعلماء الآثار يعرفون جيداً الملك اليمني كرب إيل بين (العصر السبئي الثاني)، ويعرفون اسم ملك آخر باسم كرب ـ إيل ذي وتر يهنعم ملك سبأ وريدان. وهذا الأخير يُعَدّ من أهم ملوك المملكة السبئية الموحدة التي كانت نتاج تحالف قبائل الشمال والجنوب.

وهكذا يتّضح أنَّ المعارك التي خاضها الآشوريون كانت ضد قبائل عربية في الساحل والبادية تماماً، وبالضبط كما في النقوش ولم تكن ضد المصريين. بيد أنَّ هذا لا يعني أن الآشوريين لم يصطدموا مع المصريين، فهذا الأمر قد

يكون حدث على سواحل البحر الأحمر، ولكنها بكل تأكيد لم تشهد أسر ملك مصري أو دفعه الجزية لآشور، كذلك لم يحدث أن فرّ أحد ملوك مصر من المعركة. كل ما في الأمر أنَّ علماء الآثار من التيار التوراتي، خلطوا بين أخبار التوراة والنقوش اليمنية عن معارك القبائل، مع الوقائع التاريخية التي تخصّ الصراع المصري ـ الآشوري.

وبسبب هذا الخلط، أصبح التاريخ القديم مليئاً بالندوب، مشوَّهاً ويتطلب إعادة نظر جذرية. لقد وقع هؤلاء في أخطاء المطابقة التعسفية، وتخيلوا مصري على أنها مصر البلد، وكان هذا الخطأ كافياً ليقلب التاريخ رأساً على عقب، ولتدبّ الفوضى في العصور والجغرافيات. يبقى في هذا الإطار أن نلاحظ طبيعة الأهداف الإستراتيجية للحملات المصرية على اليمن، ومغزى صراع مصر مع آشور على خطوط التجارة الدولية في شواطئ البحر الأحمر، وهذا ما يكشفه لنا اسم (قنا) المدينة في مصر اليوم. لقد نقل يمنيون مهاجرون من حضرموت اسم هذا الميناء، وكانوا يطلقونه على ميناء يمني ترسو فيه السفن المصرية قديماً في طريقها إلى الهند، وذكره الجغرافي اليوناني بلينيوس، فقال عنه إنَّ السفن التي تأتي من مصر في طريقها إلى الهند، أو السفن القادمة من الهند إلى مصر، كانت ترسو في ميناء *Cana=Qana*. كذلك ذكره مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتري[٦٨]، فقال:

Cana=Qana ميناء حضرموت، وله تجارة واسعة مع عُمان *Omana* ومع سواحل إفريقية. وأنَّ السواحل كانت مأهولة بالأعراب من (أكلة السمك).

وفي ميناء قنا *Cana* يُجمع اللّبان والبخور، وهو يقع إلى الشرق من عدن. ويرى فورستر[٦٩] أنه هو ذاته المكان المعروف باسم حصن الغراب اليوم.

وكما لاحظنا من نص يشوع، فإنَّ الآشوريين استولوا على جبل قدس وبرع، ثم اتجهوا صوب جبل ءذرا، وهاكم النص:

النص العبري بالحرف العربي:
ءدم ـ م ـ دبر (...) م ـ جنب ل ـ قدش ـ برنع ـ وعبر ـ حصرون(٧٠)
ويعله ـ ء درا

وترجمته:
(أديم من البرية (...) **من جَنَب إلى** قدس، وبرع، **عُبر، وحضر، وأذرا**).

وجبل ذري هذا كما يُسمى اليوم، لا يزال موجوداً في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة القفاعة، قرية السقادي، محلة الذاري. وهكذا فقد اتجهوا نحو ما يدعى اليوم مديرية شرعب السلام حيث جبل اذرا ـ الذاري، قادمين من مديرية المواسط، حيث جبل قدس، فأخذوا طريقهم نحو شرعب السلام عبر عزلة خدير السلمي في مديرية خدير بتعز. هناك اجتازوا قرية وجبل معبر (العبر) ليستولوا على (عزلة حضر).

وها هنا معبر (العبر ـ الميم هي أداة التعريف القديمة): محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير السلمى، قرية وادي الحسين، محلة العبر. هذا الطريق الذي سلكه يشوع من قبل، وهو ذاته الطريق الذي سلكه الآشوريون في طريقهم لمحاصرة أورشليم.

الهوامش

(١) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج١/ ١٣٠ وما بعدها.

(٢) علي: المفصل، المصدر نفسه.

(٣) علي: المفصل: ج٣/ ١٢٢-١٢٤.

(٤) نقوش جام *Sabaen Inscriptions from Mahram Bilquis(Marib),Jamme,A*

(٥) أرياني:٢٣٢ برأينا أنَّ هذه الصيغة من الاسم هي الأصل في الاسم العربي المركَّب: سمعيل (سمع ءيل) وهي التي أدت إلى الاسم إسماعيل وسموئيل صموئيل.

(٦) أرياني، ٢٣٤.

(٧) أرياني، ٤٤٩.

(٨) أرياني، ٤٥١.

(٩) جواد علي، المفصل، المصدر نفسه.

(١٠) جواد علي، المفصل، كذلك:

(11) :(Ancient Records Of Assyria And Babylonia DANIEL DAVID LUCKENBILL, Volume II).

(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك-١ -٣١٣ نسخة إلكترونية.

(١٣) الطبري، المصدر نفسه (حدثت عن هشام بن محمد، أن الله عزّ وجل أوحى إلى برخيا بن أحنيا بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا، أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم. وأعلِمْه كفرهم بيّ واتخاذهم الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي. قال، فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل وهو نبوخذنصر فعربته العرب. وأخبره بما أوحى الله إليه وقصّ عليه ما أمره به، وذلك في زمان معد بن عدنان. قال، فوثب بختنصر

على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يُقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون أي يشترون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها، فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفْظة ثم نادى في الناس بالغزو).

(١٤) فرتزل هومل: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ضمن كتاب التاريخ القديم ص ٦٤.

(١٥) وُلد هاري سانت جون بريدجر فيلبي عام ١٨٨٥ في سيلان «سيريلانكا»، وانتقل مع والدته إلى لندن عام ١٨٩١م. التحق بكلية ترينتي في جامعة كمبردج. تخرج في الكلية بدرجة امتياز في اللغات الحيّة الحديثة. ويُعَدّ واحداً من أهم مستكشفي الجزيرة العربية. انظر كتابه (خلفية الإسلام) جواد علي، المفصل ص ٢ ص ٣٣١.

(١٦) ألبرايت: *The Archaeology of Palestine: From the Stone Age to Christianity* *.1940*

(١٧) علي، المفصل، الفصل ١٩.

(١٨) علي، المفصل، كذلك، أرياني، ٢٣٤وأرياني، ٤٤٩والهمداني: ص ١٣٧.

(١٩) تفنّن الكتّاب الاستشراقيون في تخيُّل ميديا الفارسية المزعومة هذه، وتبنّى عدد كبير من كتّاب التاريخ العرب، استناداً إلى قصص التوراة وتأويلاتها، مزاعم عن قيام الآشوريين بنفي المسبيّين إلى بابل وميديا في بلاد فارس. وبالطبع، فقد كانت هذه المزاعم مجرد خيالات وتصورات لا أهمية لها من الناحية التاريخية، لأنَّ ميديا (بلاد الميديين) لم تكن في أي وقت تحت سلطة الأشوريين. إنَّ نموذج ميديا التحريفي هذا يبيّن على أكمل وجه نوع التزييف ومقداره في الترجمة السائدة. كل ما في الأمر أنّ اسم (ميدي) اليمني ظهر في نص التوراة ضمن أخبار الحملة الآشورية.

(٢٠) التوراة، النص العبري תורה נביאים כתובים בערכית ו ונגלית تورة-نبئيم-كتوبيم- بعبريت- وءنكليت *THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREWSCRIPTURES* *.1Rectory Lane. Edgwarte Middles H A87LF ENGLAND U*

(٢١) انظر حول الهاء في آخر الكلمة ما كتبناه في الجزء الثاني من مؤلفنا (فلسطين المتخيلة) عن العادات الصوتية عند القبائل العربية البائدة التي تزيد الهاء على آخر الكلمة (مثل: بيشه في بيش، وفي العبرية: בּיצה بيصه - بيض) حسب القاموس العربي - العبري والعبري- الإنجليزي.

(٢٢) الهمداني، صفة جزيرة العربـ مصدر مذكور.

(٢٣) في الترجمة السائدة (سر طبحيم) أصبحت(خصي).

(٢٤) وفي محافظة ذمار ضمن مديرية وصاب العالي وفي عزلة الديادير سنجد هناك قرية المدي.

(٢٥) حكمت معين خمس أسر متعاقبة، وكان هناك مجلس إلى جانب الملك يسمى مسود (م س و د) يضم رؤساء القبائل وأعيان العاصمة، ويُسهم في تصريف أمور المملكة، ويجتمع بدعوة من الملك. أما الأقاليم والمدن الكبرى، فيتولى إدارتها موظفون يشرفون على تسيير جميع شؤونها، وتلقبوا بلقب كبر - كبير - ويبدو أن السياسة التي انتهجتها معين تجاه سبأ من أجل الحفاظ على استقلالها لم تدم طويلاً، فقد سقطت تحت هيمنة السبئيين في نهاية المطاف. انظر: جواد، المفصل، ١٩، وكذلك: منير عربش، منشأ المعينيين وتاريخ ظهور مملكة معين في جنوب جزيرة العرب من خلال نقش جديد من القرن الثامن قبل الميلاد، بحث على شبكة الأنترنت نسخة *PDF*.

(٢٦) هذا ما يدفع الباحث إلى الافتراض أن المعينيين هم من أحفاد قبيلة ثمود اليمنية أو من بقاياها.

(٢٧) المركز الوطني للمعلومات (اليمن) بيانات المديريات وفقاً للتقسيم الإداري لعام ١٩٩٤ م ـمديريات محافظة الجوف:مديرية حزم الجوف، المركز الإداري للمحافظة.

(٢٨) قنا من موانئ حضرموت في اليمن، وانتقل اسمها إلى مصر كما سنرى تالياً.

(٢٩) المركز الوطني للمعلومات - اليمن.

(٣٠) تمتاز بعض لهجات الممالك الصغيرة في الجوف عن اللغة المعينية (التي تعرف بالكنعانية).

مثلاً، مملكة هرم، بكونها لهجة سبئية لها خصوصيتها التي تختلف عن اللهجة المعينية، خاصة في حرف الجر (من)، وهو حرف الجر العربي، إذ يكتب في الصورة نفسها (من)، بينما يكتب في لهجة هرم وبقية اللهجات اليمنية القديمة الأخرى في صورة (بن ب ن).

(٣١) جزيرة دلمون (البحرين) وكتّاب التاريخ العرب يستخدمون الاسم الإغريقي ظناً منهم أنها مدينة إغريقية.

(٣٢) سنفرد كتاباً خاصاً لحملة نبونئيد هذه، لأنَّ سياق الكتاب لا يحتمل سرد التفاصيل الضرورية.

(٣٣) جواد علي: ج/ ٢، ١٢٨.

(٣٤) أريد التنبيه إلى أنَّ الترجمة إلى الإنكليزية مليئة بالأخطاء، ومع ذلك سأقوم بنشرها تعمياً للفائدة، مع توضيح طبيعة هذه الأخطاء:

1 'mṣdq son of Ḥm'ṯt of Yf'n and S¹'d son of 'lg of Ḏfgn - the two kabirs of ***Mṣrn - and Ma'īn Mṣrn - those of Mṣr who traded, together with them,*** (هذه ترجمة مضللة، فلا وجود لاسم سورية ***in Egypt, Assyria, Transeuphratene*** في النص. كذلك إنَّ اسم مصرن ***Mṣrn*** لا يمكن أن يترجم إلى ***Egypt,***).

- during the kabirate of [......] m of Rd', in the first time of his kabirate, consecrated, constructed and dedicated to 'ṯtr ḏ-Qbḍm the curtain Tn'm, the adorned façade, in wood and cut stone, from foundation to top, and its back wall, in stone, all the curtain between the two towers of Ẓrbn and Lb'n, with the taxes and the obligations
they incurred towards 'ṯ-
2 tr ḏ-Qbḍm, from which He released them, and 'ṯtr ḏ-Qbḍ agreed with and obtained satisfaction with the taxes and the obligations (that permitted) the construction of the curtain, when 'ṯtr ḏ-Qbḍm, Wdm and Nkrḥm and their authority saved them and their goods from the hostilities which Sabà and

Ḫwln brought against them and their goods and their camels, on the route between Ma'īn and Rgmtm, and from the war which occurred between the one of the South and the one of the North, and when 'ṯtr ḏ-Qbḍm, Wdm and Nkrḥm saved them and their goods in the middle of Egypt,
during
3 the conflict which occurred between ***Persians and Egypt,*** *and then 'ṯtr ḏ-Qbḍm saved them and their goods in peace and in safety towards their town Qrnw, by 'ṯtr S²rqn, by 'ṯtr ḏ-Qbḍm, by Wdm, by Nkrḥm, by 'ṯtr ḏ-Yhrq, by ḏt Ns²qm, by all the gods of Ma'īn and Yathill and by 'byd' Yṯ' king of Ma'īn and by the sons of M'dkrb son of 'lyf' and by their tribe Ma'īn and ḏ-Yṯl and by the two kabirs of Mṣrn 'mṣdq and S¹'dm; and 'mṣdq.*
(وهنا خطأ أخر، فقد ترجم اسم مدي إلى فارس - الفرس **Persians**).
4 and ***S¹'d and Ma'īn Mṣrn*** *committed their dedication and their inscriptions to the gods of Ma'īn and Yṯl and the king of Ma'īn and Ma'īn against the one who may remove and destroy and damage their inscriptions from their place, by 'ms¹m' ḏ-Blḥ kbr of Yṯl.*

(٣٥) عاصمة معين مصر، حيث عثر علماء الآثار على هذا النقش على أسوارها.

(٣٦) المعبود السبأي : شرقن: الشارق.

(٣٧) يثل: مملكة - مخلاف في الجوف ضمن مملكة معين مصرن.

(٣٨) تعرف (نشق) باسم خربة البيضاء اليوم في منطقة الجوف.

(٣٩) الترجمة: في ترجمة مقطع ٨ للإنكليزية ترجم اسم مصر إلى (جيش)!

1 Ṣbḥhmw son of 'ms²fq, of the family Rs²wn,
2 the one from Ns²q, dedicated to 'lmqh, Lord of
3 Myf'm, the inscription and its support (?), all
4 his sons and all his properties in Ns²qm and in its
5 territory, when he fought with Sabà and Rkbn

6 on an expedition (?) and overcame the army of Ma ʿīn in the lower

7 part of ʾtmy; and when he fought with his tribe

8 Rkbn with the army of Sabȧ into the land of

9 Ḥaḏramawt and they destroyed three [......]

10 and he overcame Myfʿt and [they made]

11 a sally (?) and overcame Kḥd ḏ-[......]

12 ʿbrt and overcame Kḥd ḏ-Tdn[......];

13 and when he traded and led a caravan to Ddn and Ġzt

14 and the towns of Judah; and when he was safe

15 and sound, he who was sent from Ġzt to Kty, during the war

16 between Chaldea and Ionia; and when Ydʿʾl Byn

17 son of Yṯʿʾmr king of Sabȧ appointed him and sent

18 him as a messenger to the land of Ḏkrm and

19 Lḥyn and ʾbʾs¹ and Ḥnk in those fourteen

20 expeditions (?) and he accomplished all that

21 Ydʿʾl had charged him as a messenger and for which he had appointed him.

22 Ydʿʾl bestowed him gratitude and

23 three equipments and granted him a thousand

24 pieces of gold and clothed him and granted him

25 [......] and when he fought with the tribe

26 [......]

(٤٠) انظر المعجم السبأي الإنكليزي:

A.F.L. BEESTON. M.A. GHUL. W.W. MÜLLER· J. RYCKMANS

SABAIC DICTIONARY (English-French-Arabic)

PUBLICATION OF THE UNIVERSITY OF SANAA, YAR

(٤١) رشأن من مدن الجوف اليمني القديمة.

(٤٢) ميفعة من مدن حضرموت. وتوجد عشرات الصيغ المماثلة للاسم في مناطق مختلفة.

(٤٣) السفل: من مدن اليمن.

(٤٤) إتمة: وادي شهير في إب.

(٤٥) كحذ اسم مدينة قديمة في الجوف.

(٤٦) برت- برة وهي من مدن الجوف القديمة.

(٤٧) انظر مادة كحذ أعلاه.

(٤٨) ورد اسم ميفعة في نصوص التوراة بهذه الصيغة. وقد سمّى علماء الآثار من التيار التوراتي منطقة أم الرصاص، وهي قرية تتبع محافظة العاصمة في وسط المملكة الأردنية الهاشمية، كانت قديماً مدينة تاريخية، باسم «كاسرتون ميفعة». ولكن دون أي أساس تاريخي صحيح يبرر هذه التسمية؟

(٤٩) ناعط. وهي اليوم من المدن السياحية في صنعاء.

(٥٠) أود التنبيه مرة أخرى إلى أنَّ الترجمة الإنكليزية مليئة بالأخطاء. ونلاحظ في هذا النص أنَّ المترجمين اضطروا إلى إبقاء اسم مصرن كما هو ولم يترجم إلى (جيش) أو (إيجبت)!

1 [......] and S¹'dt'lb Yhs²' and their sons Mḥmdm

2 [......] descendants of Ms²'rn dedicated to their Patron T'lb Rymm

3 Master of Ḥdṯnn [...... and] upon it a statue in bronze, in praise because [T'lb] granted

4 [......] S¹'dt'lb Yhs²' descendant of Ms²'rn from all the expeditions, battles and

5 fights [......] Mrb, and his protection (or: guard) when they slaughtered the garrison of the Himyarites in the

6 city [......], and fortified themselves in the city of Ḍhr, and there besieged them the kings

7 ***Ys¹rm Yhn'm*** *and* ***S²mr Yhr's²****, kings* ***of Saba'*** *and* ***ḏu-Raydān and all the army of Ḥimyar***

8 [......] the city of Ḍhr, and there they invested them until they died.

9 [......] their two lords ***Yrm and Brg*** *descendants of* ***Bt' and Hamdān*** *concluded*

a pact.

10 [......] the 'rydn, S¹fln, the bedouins of ***Mrb and Ḏ'bn*** *'r-*

11 s²m [......] and after them (or: thereafter) they helped their two lords S²f'ṯt 's²w' ***and Yrm*** *'y-*

12 mn [......] and they overtook them at Kwrnhn, and seized their captives

13 ***[......] three hundred and twenty men were killed,*** *and as for the 'rydn, they besieged.*

تُرجمت كلمة (محفد: *14*، برج:... *all the towers of Rydt* بينما الصحيح أنَّ محفد هي مركزالحكم- دار الملك)

14 [......] all the towers of ***Rydt*** *and the fortresses of the 'rydn surrendered and*

15 [......] the two [hills ?] Ḍb'm and Bḍ'tm, and they came back from all those expeditions

16 [......] and a booty which satisfied them, and in praise because they repulsed and

17 [......] the tower ḏ-S¹b'yn in polished stone; and may T'lb R-

18 ymm grant [......] good harvests and crops in all their lands and fields

19 [......] by T'lb Rymm, Master of Ḥdṯnn.

(٥١) هكذا يرسمه اليمنيون.

(٥٢) قارن مع اسم ملك مصر برعو في النقوش الآشورية.

(٥٣) السوء السواء، وهي من أهم مديريات تعز التجارية التي عرفت في هذا العصر. وسنرى تالياً صلتها بها تسميه التوراة(ملك سوء).

(٥٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٦٨ و٢٦٩.

(٥٥) الترجمة:

1 Y'ws¹'l son of Ys¹m''l ḏ-Ġzr S¹ḥfn*, servant of Wqh'l Rym*

2 king of Ma'īn, kbr of the masonry and of the quarry, dedicated and offered to 'ṯtr ḏ-Qbḍm

3 all the offering tables of the hall of the temple Qbḍm and the basin, when Y'ws^{1}'l directed (**mṣr** أُسقطَت كلمة مصر من هذا المقطع دون مبرر)
4 for his lord Wqh'l Rym king of Ma'īn all the excavation and the construction of the temple
5 Qbḍm from foundations to the top, and when he built on the walls of the town of Yṯl the
6 tower Ṣdqn, that near S^{2}bm, in the property of his brother Rṯd'l ḏ-Ġzr
7 S^{1}ḥfn, when his lord the king of Ma'īn and the assembly of Ma'īn expressed gratitude to him.

(٥٦) «ريم» «ريام» بمعنى «العالي». ويعني اسم«وقه» «المطاع»،«الآمر».

(٥٧) وذلك ما يدفعنا إلى إعادة قراءة الآية القرآنية (ادخلوا مصراً)، أي مصرن.

(٥٨) جواد، الفصل ١٩.

(٥٩) وردت صيغة برعو بمعنى فرعون في أول أسفار التوراة (سفر التكوين ٤١ : ٨: **ויספר- פרעה- להם-לאמר-את-חלמו** وقصّ فرعة عليهم حلمه). وهذا ما يثير مشكلة جدية، فهل فرعه تعني فرعون، أم أن برعو تعني فرعون؟

(٦٠) علي، المفصل: ج١/ ٢١٢.

(٦١) المفصل، ج١/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٦٢) لنلاحظ كيف دخلت النون الكلاعية، وهي أداة تعريف منقرضة (مثل عدن عدنن) على وسط الاسم (برنع) لتؤدي وظيفة (ذو، ذا): ذا برع كما يستخدمها اليمنيون اليوم، وهم يغنون تحت سفوح جبل قدس (قدس يا ذا البرع).

(٦٣) هذه الترجمة تتلاعب باسم (غزة) بطريقة مفضوحة، لأنَّ الاسم بحرف العين لا الغين المعجم بنقطة (عزة)، وهو اسم شهير في ثقافة العرب القدماء (الإلهة عزة العزى). وهذا واضح من وجودها قرب جوسن جوشن. ونحن نعلم أن لا وجود لغزة فلسطينية قرب جوسن، بينما توجد (عزة عزان) قرب جوشن اليمن.

(٦٤) هذه الترجمة تحول اسم (صنه) في العبرية إلى (صين)، وكلمة (جنب) إلى (جنوب)، وهذا غير مقبول، لأنَّ الأولى يجب أن تُقرأ في صورة (صنه) طبقاً للتهجئة العبرية، والثانية يجب أن تُقرأ في صورة (جنب) طبقاً للرسم العبري كذلك، وليس (جنوب).

(٦٥) النون الكلاعية برأينا كانت تطوراً ثورياً في أداة التعريف المنقرضة (ءم) مثل ءمسفر في السفر (أصبحت سفرن)، فقد مهدت الطريق أمام ظهور التنوين في اللغة العربية (إذن إذاً).

(٦٦) هنا دخلت النون الكلاعية على اسم حصر حصرون، وهو وادي حضر بالضاد المعجمة. ووادي حضر وادٍ آخر غير وادي حضور (لأنَّ حضور جبل يعرف باسم حضور النبي شعيب). وكنا قد رأينا في نقش صرواح أنّ حصر سقط في يد الملك كرب ءيل وتر.

(٦٧) في نصوص سنحريب ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م نعلم منه أنه بعد إخضاع مجموعة قبائل واستسلامها له، تسلّم هدايا من عدد من زعماء هذه القبائل، منهم كرب إيل - كريبي - إيلو ملك زعيم مملكة سبأ *Karibi-ilu Saba'i*.

(٦٨) كتاب الطواف حول البحر الأريتيري: ***The Periplus of the Erythraean Sea*** المؤلف مجهول، يعتقد أنه ملّاح يوناني، وقد أثبتت الحفريات التي قامت بها بعثة سوفياتية يمنية مشتركة في المناطق البحرية التي سجلها الملاح اليوناني الدور الذي كان يؤديه ميناء قنا كمرفأ على الطريق البحري الممتد إلى الهند منذ النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد).

(٦٩) جواد علي، المفصل: ١/ ٣٢٠ تقدم لنا النقوش اليمنية أقدم استخدام للفظ شعب في القرن السابع قبل الميلاد (*al-Jawf04.37B*) من مدينة نشان بوادي الجوف، والنقش في المتحف الوطني بصنعاء، حيث ترد «شعبن نشن: الشعب نشان». كذلك النقش المسندي (*YM26106*) من مدينة (قرناو معين) في متحف صنعاء أيضاً ويعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وفي نفس الفترة أو بعدها بقليل يذكر اللفظ في نقش من جبل العود

(*RES3858*). ومن المؤكد أنَّ لفظ شعب الذي يرد في التوراة هو من تراث مملكة معن مصرن، وهو لفظ يمني.

(٧٠) أنظر الهامش رقم٦٦.

الفصل الثاني

مسألة (كل مصر) في نقوش المسند اليمنية

أثارت جملة (كل مصر) في النقوش المسندية اليمنية، لغطاً بين علماء الآثار منذ وقت مبكر من أعمال التنقيب في اليمن. إنَّ هذه الصيغة لا تظهر في الواقع إلا في النقوش المتأخرة، أي بعد زوال مملكة مصرن (مصريم) نحو ٦٥٠ ق. م، وهي تشير بكل تأكيد إلى القبائل المعينية التي انهارت مملكتها وأصبحت فعلياً، إما خاضعة لسلطة السبئيين، وإما في مواجهة مستمرة معهم، وفي حالات نادرة بدت وكأنها تتحالف معهم. ولذلك، إذا ما وضعنا اسم مصر في التوراة والنقوش الآشورية والسبئية في هذا الإطار التاريخي لحروب القبائل اليمنية، في ما بينها أو ضد الآشوريين، فستتمكن من فضّ الاشتباك الدلالي بين الصيغ الكثيرة للاسم، وهي دلالات ماكرة أوقعت علماء الآثار وكتّاب التاريخ في فخّ الأخطاء القاتلة، ويمكّننا ذلك أيضاً من إعادة بناء الرواية التاريخية بنحو أدّق. ورد الاسم (مصر) في نقوش المسند، بالصيغة ذاتها التي ورد فيها في نصوص التوراة

العبرية وفي النقوش الآشورية. وتظهر إحدى صيغ (**كل مصر**) في النقش الحميري الأصلي: *(Ry 510)* بالتلازم مع اسم معد كرب يعفر ملك سبأ على النحو الآتي: معد/ كرب/ يعفر/ ملك سبأ. ثم يرد اسم مصر كاسم لقبائل. وهذا ما يتطابق مع التوراة التي تسميها عشائر المصريين (مشفحت ـ ها ـ مصريم). كذلك ورد الاسم في نقش آخر يعرف باسم (أرياني ٥) في الصورة الآتية (دون تقطيع الحرف لتسهيل الأمر على القراء: **وكل مصر** شوعو مرأيهمُ لسبأة سبأو عدى أرض ردمن، لتقدمن بعم مصر يدعأل ملك حضرموت، ووهبأل بن معهر، وأسد وأشعب كين كونهمُ).

مضمون النقشين

يفهم من مضمون النقش الأول ما يأتي: إنَّ **معد كرب يعفر أحد ملوك سبأ المتأخرين**، هاجم منطقة مأسل الجمح، وقاتل في **جبل أدم** وفي **حضرموت** وواجه قبائل **مذحج وثعلبة** ومصر، أي **قبائل المعينين**، وهؤلاء ظلوا يحتفظون باسمهم (مصري ـ مصريون) حتى مع زوال مملكتهم. أمّا النقش الثاني، فيفهم منه أنَّ **السبئين** خاضوا معركة كبيرة ضد (**كل مصر**)، أي ضد كل القبائل التي كانت تشكل **مملكة مصرن** في الجوف، وليس كل مصر **الإقليم**، وأنصارهم (شوعوا = شايعوا، تابعوا) وأنهم قاموا ـ بقيادة أمرائهم ـ بغزو **أرض ردمان**، وأنَّ قبائل **مصر** ـ مصرن زحفت نحو **يداعئيل ملك حضرموت**: ـ يدع ـ ءيل ـ **ووهبئيل ـ وهب ـ ءيل ـ بن معاهر وآسد وأشعوب**[1] كين (فقاتلوهم)[2]. ومن المؤكد أنَّ **مصر الإقليم**، لم تتعرض لمثل هذا الهجوم ولم تقم به مع حلفائها (مشايعيها). وتاريخها لا يعرف هذه القبائل، كذلك إنَّ مسرح المعركة (**مأسل الجمح**) من الأماكن الشهيرة في

الجزيرة العربية، وهو أمر لا يمكن تجاهله، فضلاً عن أنَّ **مدينة شعوب** تقع شمال **مدينة صنعاء القديمة** ـ ودخلت حالياً ضمن العاصمة صنعاء ـ كحاضرة من حواضرها. هاكم النقش الذي وردت فيها صيغة **(كل مصر** ـ السطر ٧ انظر الهامش لقراءة النص) ويقصد بها القبائل المعينية التي سقطت مملكتها على أيدي السبئيين: النقش *Jamme 578*[٣]:

يُعَدّ هذا النص من النصوص المتأخرة التي ترد فيها عبارة **(كل مصر)** بالتلازم مع ذكر اسم **الملك السبئي رب ـ شمس أزد**، وشقيقه **الملك كرب يث أسعد** (المعروف عند اليمنيين باسم أسعد الكامل). حكم **رب شمس** نحو ٣٠٠ ق.م، وتعرفه النقوش اليمنية باسم **رب شمس نمران**، أما شقيقه الأصغر فيعرف باسم **سعدم نمران**. في هذا العصر انتهت الحرب الأهلية بانتصار حاسم للحميريين في الجنوب بقيادة شمر يهرعش الثالث؛ بينما صعد إلى الحكم في الشمال (سبأ) الملك رب شمس. أما حضرموت التي انفصلت فعلياً عن الشمال والجنوب، فشهدت صعود ملك يدعى «**شرح‌ءيل**»، لكن ملك سبأ شمر يهرعش تمكن في غضون عام واحد من إسقاط حكمه والاستيلاء على حضرموت وضمّها.

يتحدث هذا النص عن معارك خاضها رب شمس ضد ملوك زعموا، أو قدّموا أنفسهم، بوصفهم ملوك (سبأ وريدان ويمنت وحضرموت). وهؤلاء ممّا يصعب عدّهم وحصرهم، ففي أجواء الحرب الأهلية وتقاتل القبائل، أصبح بوسع كل مدّعٍ أن يحمل اللقب نفسه (ملك سبأ وريدان). وفي هذه الأجواء، كانت القبائل المعينية (المصرية) تتوزّع الولاء بين المتصارعين. ويبدو من نص هذا النقش أنَّ **الملك رب شمس** تمكن بفضل تحالفه مع أقيال

(ملوك) قبيلة بكيل الشمالية القوية، ومع (كل مصر) في منطقة الجوف من دحر الحميريين بقيادة ملك يحمل اسم إيلشرح يحضب، كان يدعي أنه ملك الريدانيين (الحميريين). وهنا نص النقش بالحرف اللاتيني:

1 ***Rbs²ms¹m*** *Yzd w-'ḫy[-hw Krb'ṯt 's¹'d bny S¹'rn ... ...]*

2 w-Mḥylm w-S³mkm 'qwl s²'bn B(kl)m rb'n ḏ-Rydt mq—

3 twyy ***'ls²rḥ Yḥḍb*** *w-'ḫy-hw* ***Y'zl*** *Byn mlky S¹b' w-ḏ-Rydn b—*

4 ny Fr'm Ynhb mlk S¹b' hqnyy ***'lmqh-Ṯhwn****-b'l-'wm ḏn ṣl—*

5 mn ḏ-ḏhbn ḥmdm b-ḏt hws²' w-hrd'n mr'-hmw ***'ls²rḥ Yḥḍb***

6 mlk S¹b' w-ḏ-Rydn b-s¹bṭ w-ṯbr w-hṯl'n w-hs¹ḥtn Krb'l ḏ-Rydn

7 ***w-kl mṣr*** *w-'s²'b w-ḫms¹* ***Ḥmyrm*** *wld-'m b-kn tqdmw w-rtḍḥn b-*

8 ḥql Ḥrmtm w-s¹ḥt Krb'l ḏ-Rydn w-'s²'b-hw w-ḫms¹-hw bn 'rn '—

9 s¹'y w-Qrnnhn 'dy 'rws²tn w-Ẓlmn w-Hkrbm w-ḥmdm b-ḏt hws²'

10 w-hwfyn mr'y-hmw bn kl b'wt w-bḥḍt s¹b'y w-b'w w-bḥḍ

11 w-tḥbn w-wḍ' w-hrg w-mtlyn 's¹m s¹b'tm w-b'wtm w-hgm w-

12 mṣn'm w-'bytm w-mhrgtm w-s¹bym w-ġnmm w-mltm ḏ-hrḍw

13 mr'y-hmw bn hnt s¹b'tn ḏ-s¹b'y w-ḍb' mr'y-hmw ***'ls²rḥ Yḥḍb***

14 w-'ḫy-hw ***Y'zl Byn mlky S¹b' w-ḏ-Rydn bnyFr'm*** *Ynhb mlk S¹b'*

15 ‘dy ’rḍ Ḥmyrm w-ḥmdm b-ḏt hws^2‘ w-hrd‘n ’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’—

16 wm mr’y-hmw ’ls^{2}rḥ Yḥḍb w-’ẖy-hw Y’zl Byn mlky S^{1}b’ w-ḏ-Ry—

17 dn bny Fr‘m Ynhb mlk S^{1}b’ b-ṯbr w-wḍ‘ w-hs^{1}ḥtn w-hṯl‘n K—

18 rb’l ḏ-Rydn w-’qwl-hw w-ẖms^1-hw w-’s^2‘b-hw w-’frs^1-hw wld-‘m

19 b-kn t’tmw w-rtḍḥn w-tqdmn b-s^{1}rn ḏ-’ẓwr w-’tw Krb’l ḏ-Ry—

20 dn w-ẖms^1-hw b-s^{1}ḥtm ‘dy hgrnhn Ykl’ w-’bwn w-bn-hw f-t’wlw

21 ḏ-s^1’r bn mṣr-hmw ’ys^{1}m ‘br-hw s^{1}ḥtm ‘dy ’rḍt-hmw w-b‘d-hw f-

22 blt Krb’l ḏ-Rydn t‘rbm w-s^{1}fḥ ‘qbt-hw tḥt mr’y-hmw ’ls^2[r]—

23 ḥ Yḥḍb w-’ẖy-hw Y’zl Byn mlky S^{1}b’ w-ḏ-Rydn bny Fr‘m Ynhb

24 mlk S^{1}b’ w-b‘d-hw f-ḍb’y mr’y-hmw ’ls^{2}rḥ Yḥḍb w-’ẖy-hw Y’—

25 zl Byn mlky S^{1}b’ w-ḏ-Rydn ‘dy ’rḍ Ḥmyrm w-hwṣlw ‘dy ẖlf

26 hgrn Hkrm w-’s^{1}yw b-hw Krb’l ḏ-Rydn w-ẖms^1-hw w-ẓwry-hmw m—

27 r’y-hmw ’ls^{2}rḥ Yḥḍb w-’ẖy-hw Y’zl Byn mlky S^{1}b’ w-ḏ-Ryd—

28 n b-hyt hgrn Hkrm ‘dy s^{1}b‘ w-tḍr‘n Krb’l ḏ-Rydn w-’qwl-hw w-

29 ’s^2‘b-hw tḥt mr’y-hmw ’ls^2rḥ Yḥḍb w-’ḫy-hw Y’zl Byn mlky

30 S^1b’ w-ḏ-Rydn w-ḥmdm b-ḏt ḫmr ’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’wm ‘bdy-h—

31 w Rbs^2ms^1m Yzd w-Krb‘ṯt ’s^1‘d b-t’wln hmy w-s^2‘b-hmy Bklm

32 [r]b‘n ḏ-Rydt b-wfym w-(m)hrgtm w-s^1bym w-’ḫḏtm w-ġnmm w-mltm

33 ḏ-hrḍw ‘bdy-hw w-ḥmdm b-ḏt mt‘ ’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’wm ‘bd-hw

34 Krb‘ṯt ’s^1‘d bn ***S^1’rn*** *bn kl ts^2ynt s^2yn b-ḥql Ḥrmtm w-*

35 [l-w]z’ ’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’wm ḫmr ‘bdy-hw Rbs^2ms^1m w-Krb‘ṯt b—

36 [ny S^1’rn] ḥẓy w-rḍw mr’y-hmw ’ls^2rḥ Yḥḍb w-’ḫy-hw Y’zl Byn

37 mlky S^1b’ w-ḏ-Rydn bny Fr‘m Ynhb mlk S^1b’ b-’hn-mw yqhnn-

38 hmy mr’y-hmw ’ls^2rḥ Yḥḍb w-’ḫy-hw Y’zl Byn mlky S^1b’

39 w-ḏ-Rydn l-bltm w-mqrnm w-qhtm w-b-kl ’brṯ yqhn-hmw mr’y-

40 (h)mw l-s^1b’ w-tnṣfn w-l ḫryn-hmy ’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’wm bn nḍ‘

41 w-s^2ṣy w-‘bṭ w-z’t w-tṯ‘t s^2n’m ḏ-rḥq w-qrb w-ḏ-bn-hw d‘w w-

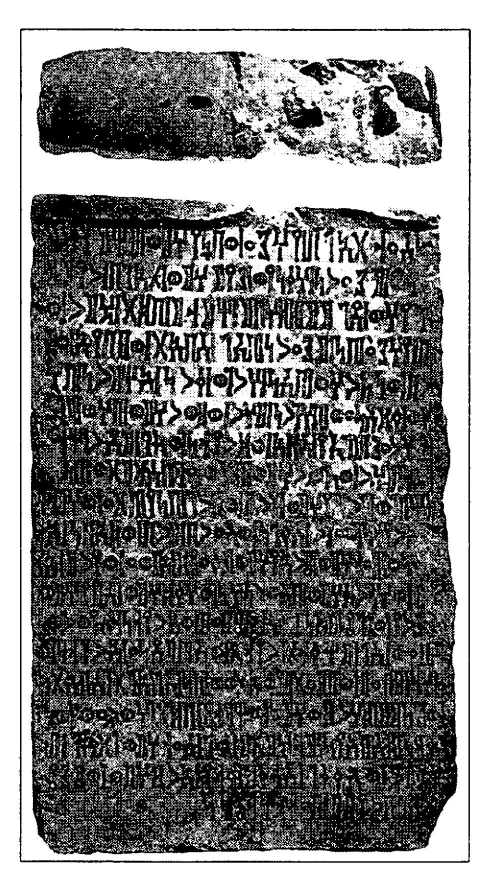
42 (ḏ)-bn-hw ’l d‘w w-bn ’lhtm ḏ-yt’lhn-hmy s^2n’-hmw b-‘ly ḥ—

43 (ṣ)y mr’y-hmw b-‘ṯtr w-’lmqh-Ṯhwn-b‘l-’wm w-b s^2ymy-hmw ‘ṯ—

44 [t]r- w-ʾlw-Zʿln-bʿly-ʿrn-b-Yfʿ w-b mrʾy-hmw ʾls^{2}rḥ
Yḥḍb w-ʾḫy-hw [Y]ʾzl Byn mlky S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn bny Frʿm
Ynhb mlk S^{1}bʾ

لقد سجل لنا نقش الملك السبئي اسم **المملكة مصرن وأسماء حلفائها من القبائل**، سوية مع أسماء أماكن ومواضع وقبائل أخرى، وضمن نص يتحدث عن معركة محلية من معارك القبائل. كذلك يرد تعبير **(كل مصر)** في النقش المعروف باسم *CIH 353*. هاكم نص النقش الذي دوّنه الملك السبئي **ياسر يهنعم** وابنه محمد (يحمد) ويروي جانباً من معاركه ضد قبائل حميرية في مأرب، وجبل ظهر(ضهر) في سياق المعارك لإخضاع القبائل الشمالية والجنوبية (حلم إعادة تأسيس المملكة الموحدة). أطلق **ياسر يهنعم** على نفسه لقب **ملك سبأ وريدان وكل مصر** ***Ys^{1}rm Yhnʿm and S^{2}mr Yhrʿs^{2}, kings of Sabaʾ and ḏu-Raydān and all the mṣr (w-kl mṣr).*** وهو ما يعني أنّ هذا الملك سعى إلى ضمّ كل قبائل الجوف، وإخضاعها لسلطته الجديدة.

صورة النقش



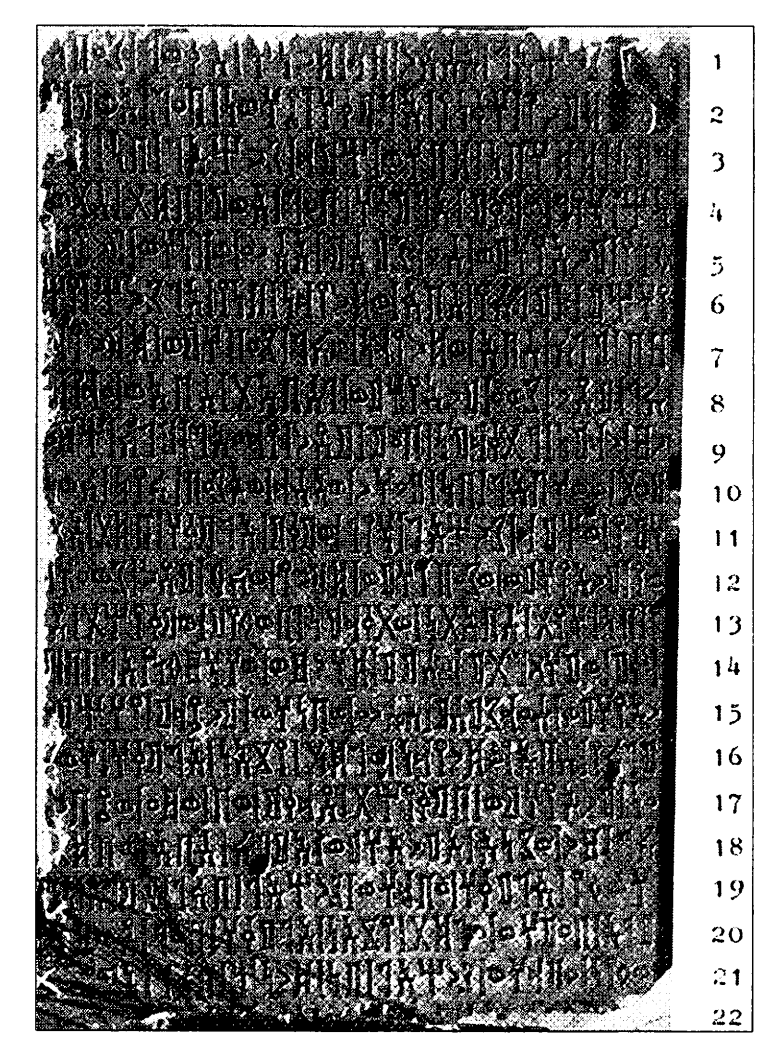
لنلاحظ في هذا النقش تسجيله لاسمَي ملكين، تحولا في القراءة المخيالية التوراتية إلى ملكين مزعومين من ملوك مصر، وهما وردا في التوراة والنقوش الآشورية: **ملك برعو** (بارع) وملك (سو)، وهو ملك منطقة السواء. وسنفرد فصلاً خاصاً لمعالجة هذا التلفيق التاريخي. **وهاكم نقشاً آخر يذكر اسم مصر** *(CIH 912 RES 3163)* **يعود إلى فترة زمنية مجهولة.**

النص[٤]:

1 [... ...] (w)-S¹ʿdtʾlb Yhs²ʿ w-bny-hmw Mḥm{|}dm
2 [... ... b]nw Ms²ʿrn hqnyw s²ym-hmw Tʾlb Rymm
3 [bʿl Ḥdṯnn ... ...]-(ʾ)ly-hw ṣlmm ḏ-ḏhbm ḥmdm b-ḏt ḫmr w—
4 [... ... S¹ʿdtʾ](l)b Yhs²ʿ bn Ms²ʿrn b-kl s¹bʾt w-ḍbyʾ w-m—
5 [hrgt ... ... M]rb w-nẓr-hw b-kn hrgw qrn ʾḥmrn b-h—
6 [grn ... ...]-hw f-tṣnʿw b-hgrn Ḍhr w-mwr-hmw b-hw mlk—
*7 [nhn Ys¹rm Yhnʿm w-S²m]r Yhrʿs² mlky S¹bʾ w-ḏ-Rydn w-**kl mṣr** Ḥ[my]—*
*8 [rm ... ...] (h)grn Ḍhr w-**ẓwr**-hmw b-hw ʿdy s¹tmtw bn[.]*
9 [... ...] ḥblw mrʾy-hmw Yrm w-Brg bny Btʿ w-Hmd(n) |
10 [... ...] ʾrydn w-ʿs²r S¹fln w-ʾʿrb Mrb w-Ḏʾbn ʾr—
11 [s²m ... ...h]ʿnw bʿd-hmw mrʾy-hmw S²fʿṯt ʾs²wʿ w-Yrm ʾy—
12 [mn ... ...]m w-hdrk-hmw b-Kwrnhn w-hqḏ-hmw s¹by-hmw
13 [... ...]w ʿs²ry w-ṯlṯ mʾnm (ʾ)s¹dm bḍʿm w-ʾrydn f-ẓwrw
14 [... ...] s¹bʿw kl mḥfdt Rydt w-kl mṣnʿ ʾrydn w-
15 [... ...]nhn Ḍbʿm w-Bḍʿtm w-ʾtww bn kl ʾlt s¹bʾtn
16 [... ...] w-ġnmm ḏ-hrḍw-hmw w-ḥmdm b-ḏt hwrʿw w-s¹—
17 [... ... m]ḥfdn ḏ-S¹bʾyn mnhmtm w-l s¹ʿd-hmw Tʾlb R—
18 [ymm ... ...] ʾṯmr w-ʾfql ṣdqm ʿdy ʾrḍ-hmw w-ms²y—
19 [mt-hmw ... ...](b)-Tʾlb-Rymm bʿl Ḥdṯnn

وهاكم هذا النقش الذي يعود إلى أحد ملوك سبأ وريدان (الملك إيلشرح ابن ذمار علي بين الأول نحو ٢٠٠-٢٥٠ ق. م وتسلسله الحادي عشر في قائمة ملوك سبأ)، ويذكر فيه أنه هزم (كل مصر).

صورة النقش



الفترة الزمنية: د

مكانه: مأرب – متحف صنعاء

النص[٥]:

1 S^{2}rḥ’l ’s^{1}’r bn Ḏrnḥ ’qwl s^{2}‘b(n)
2 Ḏmry hqny ’lmqh Ṯhwn b‘l ’wm (ṣ)—
3 lmn ḏ-ḏhbn ḏ-b-hw ḥmd S^{2}rḥ’l bn Ḏr—
4 nḥ ḫyl w-mqm ’lmqh b‘l ’wm b-ḏt s^{1}tw—
5 fyy mr’y-hmw S^{1}‘ds^{2}ms^{1}m ’s^{1}r‘ w-bn-hw Mrṯd(m)
6 Yhḥmd mlky S^{1}b’ w-ḏ-Rydn bny ’ls^{2}rḥ Yḥ—
7 ḍb mlk S^{1}b’ w-ḏ-Rydn w-kl s^{2}‘b-hmw Ḏmry [w-]
***8 kl mṣr** s^{2}w‘ mr’y-hmw l-s^{1}b’t s^{1}b’w ‘dy (’)—*
9 rḍ Rdmn l-qtdmn b-‘m mṣr Yd‘’l mlk Ḥḍr—
10 mwt w-Whb’l bn M‘hr w-’s^{1}d w-’s^{2}‘b kyn kwn-
11 hmy w-ḥmd S^{2}rḥ’l ḫyl w-mqm ’lmqh b-ḏt ’t—
12 wy mr’y-hmw w-s^{2}‘b{y}-hmw Ḏmry w-kl mṣr s^{2}w‘-h[m]—
13 y bn hyt s^{1}b’tn w-tqdmn b-wfym w-mqyḥt ṣ—
14 dqm w-mhrgtm ‘s^{1}mm ḏ-hrḍw w-hḥḏfn ’lbb m—
15 r’y-hmw S^{1}‘ds^{2}ms^{1}m ’s^{1}r‘ w-bn-hw Mrṯdm Yhḥm[d]
16 mlky S^{1}b’ w-ḏ-Rydn w-l-ḏt yz’n ’lmqh hw[s^{2}]—
17 ‘n mr’y-hmw b-mqyḥt ṣdqm w-b wḍ‘ w-ṯbr
18 kl ḍr w-s^{2}n’ ’mr’-hmw ’mlk S^{1}b’ w-b-ḏ(t)
19 hwfy ’lmqh ‘bd-hw S^{2}rḥ’l b-kl ’ml’ s^{1}[t]—
20 ml’ b-‘m-hw w-l-ḏt yz’n ’lmqh b‘l ’w[m h]—
21 wfyn ‘bd-hw S^{2}rḥ’l bn Ḏrnḥ b-kl ’ml[’]
22 [yz](’n s^{1}tml’n b)-[‘m-hw ... ...]
23 w-l-s^{1}‘d ’lmqh b‘l-’wm ‘bd-hw S^{2}rḥ’l bn Ḏrnḥ ḥẓy w-rḍw mr’y-hmw S^{1}‘ds^{2}ms^{1}m ’s^{1}r‘ w-bn-hw Mrṯdm Yhḥmd mlky S^{1}b’ w-ḏ-Rydn
24 w-l-s^{1}‘d ’lmqh b‘l ’wm ’dm-hw S^{2}rḥ’l w-bny Ḏrnḥ n‘mtm w-mngt ṣdqm w-bry ’‘ḏnm w-mqymtm w-’ṯmr ṣdqm n’dm bn kl ’rḍ-hmw w-’s^{1}rr-hmw
25 w-l-ḏt mt‘n w-ymt‘n S^{2}rḥ’l w-bny Ḏrnḥ w-s^{2}‘b-hmw Ḏmry bn nḍ‘ w-s^{2}ṣy w-[... ...] ḍrm w-s^{2}n’m ḏ-rḥq w-qrb b-‘ṯtr w-Hwbs^{1} w-’lmqh w-b-ḏt Ḥmym w-b-ḏt B‘dnm w-b-’ly-hmw ‘ṯtr ‘zz w-ḏt Ẓhrn b‘ly ’rn Knn w-‘ṯtr ‘zz ḏ-G’bm ḏ-Ṭrr

الترجمة إلى العربية:

١: شرح إيلشرح من ذراحن قيل (ملك) سبأ
٢: أهدى الإله المقه ثهوان في أوام
٣: تمثالاً من البرونز، نذراً من إيلشرح ذر (حن)
٤: لقوة وسلطة المقه، بعل أوام لأنه
٥: حفظ حياة سيدهم وولده مرثد (م)
٦: يهحمد، ملكي سبأ وذي ريدان، ابني إيلشرح يحضب
٧: ملك سبأ وذي ريدان، وكل قبيلتهم حين
٨: أخضع كل مصر لخدمة سيديهم في الحملات التي قاموا بها في
٩: أرض ردمن، وخاضا المعركة مع مصر ومع يدع إيل ملك حضرموت
١٠: وضد وهب إيل، والمعاهر والجنود والقبائل، التي دعمتهم
١١: وإيلشرح (يحضب) عاد بقوة المقه وسلطته، سالماً
١٢: وقبيلتهم بعد أن أخضع كل مصر
١٣: وعاد من تلك الحملات والمعركة سالماً وبنجاح تام
١٤: ومعه غنائم كثيرة أفرحت قلب
١٥: سيديهم وابنيه مرثد ويهحمد
١٦: ملكي سبأ وذي ريدان. لعل ملقه يستمر في منحه العطف
١٧: لسيديهم بنجاح تامٍّ ويذل ويدمر
١٨: جميع أعداء وكارهي سيديهم، ملكي سبأ. لأن
١٩: مقه منح خادمه إيلشرح كل العطف الذي طلبه
٢٠: منه ولكي يقوي المقه، ويستمر في
٢١: منح خادمه إيلشرح من أسرة ذرانح كل العطف

٢٢: الذي سيستمر في طلبه منه.
٢٣: لعل المقه بعل أوام، يمنح خادمه إيلشرح من أسرة ذرانح، العطف والود له ولابنيه مرثد(م) يهحمد، ملكي سبأ وذي ريدان.
٢٤: لعل مقه بعل أوام، يمنح خدمه إيلشرح وقبيلة ريدان الرخاء، والحظ السعيد، والسلامة والأمان والمال والثمار الطيبة الجيدة في كل أراضيهم ووديانهم.
٢٥: لأنه أنقذ وسوف ينقذ إيلشرح وقبيلته ريدان وذمري من أعداء السوء والحقد [......] البعيدين والقريبين. بفضل عثتر، وهوبس، ومقه، وذات حميم، وذات بدن (م) وبعل (م) آلهتهم ـ عتتر عزز وذات زهرن، سيدي جبل كنن، و ـ عتتر ـ ذا بعل (م) ذا تتر.

وهكذا، يتضّح مدى التطابق بين النقوش الآشورية ونصوص التوراة، وكذلك مع النقوش المسندية في مسألة مصر، و(**كل مصر**). ذلك أنَّ التعبير لا ينصرف، بأيّ صورة من الصور إلى اسم مصر البلد العربي، وكل ما أُلصق بتاريخ مصر من أحداث ووقائع لا أصل لها، كان ناجماً عن مطابقة تعسفيّة بين اللقي الأثرية والنصوص التوراتية. ما يقوله هذا النقش وسواه كثير جداً، أنَّ ملوك سبأ المتأخرين، وخلال الصراع لإعادة توحيد اليمن، خاضوا معارك ضارية، وبعضهم أخضع قبائل الجوف (مصر) أو تحالف معها للزحف على حضرموت وضمّها. إنَّ تلفيق (وجود مصر) في التوراة، كان ناجماً عن قراءة خاطئة. وهذا ما سنراه بوضوح في مثال صارخ آخر عن معركة وهمية تعرف باسم (**معركة رفح**)، قال عنها علماء الآثار ـ من التيار التوراتي ـ إنها شهدت خيانة وهزيمة ملك مصري؟

معارك وهمية في (رفح) اليمنية

تسبّبت أخبار الحروب في نصوص التوراة، وطريقة تسجيل أسماء الأماكن والمواضع والشخصيات، في حدوث تلفيق تاريخيّ فظيع، نجم عنه تأسيس وإنشاء (تاريخ رسمي) لمملكة إسرائيل القديمة، قابل بطبيعته وبسبب عمق التناقضات في الرواية، للمراجعة والنقد. لكنّ علماء الآثار من التيار التوراتي سرعان ما جعلوا فلسطين مسرح الأحداث التوراتية كلها، من دون تقديم أيّ حلول للتناقضات. ولعل طريقة قراءة هذه الأسماء من جانب محققّي النصوص والمترجين وكتّاب التاريخ وحدها، قد تسبّبت في ظهور ما يمكن اعتباره الجزء الأكبر من هذا التلفيق. فقد جرى اختلاق أسماء ملوك مصريين مهزومين، كما هو الحال مع اسم (سوء) الذي زعم هاري ساكز[٦]، استناداً إلى نصوص التوراة، لا الحفريات الأثرية، أنه جنرال مصري جبان أسره الآشوريون في معركة رفح خلال إحدى الحملات قبل عصر نبوخذنصر. ومع أنني عالجت هذه المسألة في مؤلفي السابق (فلسطين المُتخيّلة)، إلا أنّ الحدث، ضمن (المجلدين الجديدين)،

وهما مكرّسان لتصحيح التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل، يضطرّني إلى العودة إلى النص السابق وإعادة معالجة المسألة نفسها من منظور جديد، دون أن يؤدي ذلك إلى أيّ تبديل في نظرتي إلى الأمور، وهو أمر يبدو ضرورياً مع توافر نقوش جديدة، لم يكن ممكناً الحصول عليها قبل هذا الوقت، وهي تدعم وتؤيد ما ذهبت إليه. وفي إطار التلفيق الجامح وغير المسيطر عليه بضوابط علمية ونزيهة، جرى بانتظام (تلفيق) وقائع وشخصيات وتنسيبها إلى التاريخ المصري، ومن ذلك، ما يعرف في المصادر التاريخية بمعركة رفح التي خاضها سرجون الثاني، ضد ما يزعم أنه ملك مصري يدعى (برعو)، وأنَّ هذا وقع أسيراً، وأنَّ ذلك أدى إلى فرض سرجون الثاني الجزية على (مصر)! وهذه واقعة لا أساس لها قط.

هاكم أولاً نقش سرجون الثاني(٧) حول معركة رفح:

*5. In my second year of reign, **Ilu-bi'di of Hamath]** . . . . . of the wide [land of Amurru?] he gathered to geteher at the city of **Karkar** and the oath . . . . [the **cities od Arpad, Simirra]**, **Damascus and Samaria** [revolted against me] . . . . Iestablished **and Sib'u** ordered his turtan to go to his **(Hanno's)** aid, and he came forth against me, offering battle and fight. At the command of Assur, my lord, I defeated them and **Sib'u** ranoff alone like a shepherd whose sheep have been carried off, and he died. **Hanûni** (Hanno) I seized with my own hand and took him to my city, Assur, in chains. The city of **Rapihu** I destroyed, I devastated, I burned with fire; 9,033 people, together with their many possessions, I carried off.*

الترجمة

في السنة الثانية من حكمي حشد **إيلو بادي** (*ilu-bidi,*) في (حماث *Hamath*)

الشاسعة وعلى تخوم مدينة (قرقر*Karkar*) مع حلف (**بلاد أربده ـ عربد ـ والسميرة** *Arpad, Simirra*) ضدي. أما **دمشق والسامرة** اللتان رفعت عمادهما، فقد انقلبتا عليّ. وسبأ هبت لنجدة **تور- تانتو**(*turtanto* الثور) وتوجهوا لمساعدة (**حنو** *Hantini_Hanno*)، ثم جاء الربع[8] لمواجهتي. يعرض عليّ قتالاً ومعركة. يا سيدي الرب، لقد سحقتهم، بأمر من آشور. وفرّ **سبأ** هارباً كراعٍ هجره قطيعه، ثم هلك وحيداً بيدي، أسرت **حنو ـ حنتي، اقتدته إلى مدينتي آشور** مقيداً بالسلاسل. سويت مدينة «**رفح**» بالأرض، دمرتها، أضرمت فيها الحرائق؛ هجرت ٠٣٣ , ٩ من سكانها، هُم وممتلكاتهم.

في هذا النقش، يكشف سرجون الثاني عن قائمة القبائل التي قاتلها في رفح. وفي رأس القائمة **قبائل سبأ**. وبطبيعة الحال، يستحيل **تخيّل رفح هذه على أنها رفح الفلسطينية على تخوم سيناء المصرية**، لسبب منطقي واحد، أنَّ قبائل سبأ اليمنية لم تقاتل هناك في أيّ وقت، وما علاقة سبأ بفلسطين، جغرافياً على الأقل، ليكون بوسعنا تبرير هذا التلفيق؟ ويمكننا الاستدلال إلى موقع هذه المدينة القديمة، بالاستناد إلى الوصف الذي تركه لنا الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب/ فصل ما وقع باليمن من جبل السراة)، فهي تقع قرب مخلاف مأذن من حضور المعلل، وحقل سهمان ويعموم وبيت نعامة وبيت حنبص ومحيب ومسيب وحاز **وبيت قرن وبيت رفح**[9].

وهذا الوصف يؤدي إلى ما يعرف اليوم بمديرية بني مطر، وسنجدها هناك ضمن عزلة جبلية مؤلفة من قرى عدّة وبلدات ووديان وجبال: **محافظة صنعاء، مديرية بني مطر**، عزلة بني الراعي، قرية مسيب الخارجية. هاكم

أسماء المواضع الواردة في النقش كما هي في جغرافية اليمن دون أي تحريف:
إيلو ـ بادي (بادي): محافظة حجة، مديرية نجرة، عزلة الكابة، قرية بيت البادي.
سميرا ـ شميرا: محافظة حجة، مديرية **قفل شمر** أو محافظة‌حجة، مديرية **قفل شمر**، عزلة **شمرين**.

بلاد أربد ـ عربد: محافظة حجة، مديرية مستباء، عزلة غرب مستباء، قرية الجنة العلياء، محلة **جروف عربد**.
هنتي ـ هني: محافظة حجة، مديرية وشحة، عزلة بني هني.
حمث ـ حمش: محافظة صنعاء، مديرية سنحان وبني بهلول، عزلة الحمس العدني.
قرقر: محافظة صنعاء، مديرية أرحب، عزلة بني علي، قرية **القرقرة**.
ثورنتو ـ ثورو: محافظة عمران، مديرية خارف، عزلة خميس أبوذيبة، قرية ساك، محلة **حيث ثور (تورتو)**.

وهكذا يتضح أن سرجون هاجم قبائل صنعاء وعمران وحجة، حيث هزم السبئيين وحلفاءهم، واستولى على مدنهم.

وهنا نقش سرجون الثاني عن الملك المصري المزعوم برعو[١٠]:

*17, The tribes of **Tamud**, Ibâdid, **Marsimanu and Haiapâ**, distant Arabs, who inhabit the desert, who know neither high nor low official (governors nor superintendents), and who had not brought their tribute to any king,—with the weapon of Assur, my lord, I struck them down, the remnant*

*of them I deported and settled them **in Samaria.***
*18. From **Pir'u, king of Egypt, Samsi, queen of Arabia, It'amra,** the **Sabean,** the kings of the seacoast and the desert, I received gold, products of the mountain, precious stones, ivory, seed of the maple(?), all kinds of herbs, horses, and camels, as their tribute. **I defeated Mitâ, king of Muski,** in his province. The cities of **Harrua** and Ushnanis, fortresses of the land **of Kue,** which he had held by force since distant days I restored to their (former) status (lit., place).*

الترجمة العربية:

١٧: قوم ثمود وعبابيدي (***Tamud,** Ibâdid,*) ومرسوماني وخياب ـ خيابة (*Marsimanu and Haiapâ*). العرب البائدة، الذين سكنوا الصحراء، لم يكن لديهم نظام الدولة والسلطات الرسمية على اختلاف مراتبها «لا حكاماً ولا ولاة».. ولم يقدموا الإتاوة لأيّ ملك يا سيدي الرب، بطشت بهم بيد آشور، رحلت من تبقى منهم، ثم وطنتهم في السامرة.

١٨: تلقيت الذهب والأحجار الكريمة. العاج. محاصيل الجبل. بذور القيقب. جميع أنواع الأعشاب. الخيول والجمال كهدايا من ملوك البر والبحر، من برعو ملك مصري *Pir'u, king of Egypt* ومن شمسي ملكة العرب *Samsi, queen of Arabia*، ومن يثع أمر السبئي *It'amra, the Sabean*، هزمت ميتع ملك موسكي *Mita, king of Muski*، في مقاطعته ومنطقة نفوذه. أجريت إصلاحات ورممت مدن حرو *Harrua* وأوشان- **أوسان** (الأوسانيين) *Ushnanis*، والقلاع الحصينة لإقليم *Kue* التي سيطر عليها بالقوة منذ أيام خلت.

وفي نقش آخر يسجل سرجون الثاني أنه قاتل **برعو وأدبئيل ملك** (مصري *Musri*). وبالطبع، لم يعرف التاريخ المصري القديم لقب **إيلو - إيل**، فهذا لقب الملوك اليمنيين كما هو معلوم. وكما يلاحظ، فقد قام مترجم النص بوضع كلمة (*Egypt* كمرادف لـ*Musri*)، وهذا تضليل ما بعده تضليل!

818. The Bir'ai I brought in submission to my feet. The Mes'eans the Temeans, the Sab'eans, the Haiappeans, the Badaneans, the Hatteans, the Idiba'I leans which are on the border of the lands of the setting sun, whom no one knew of, and whose abode (place) is afar off, - theglory of my majesty my majesty,gold, silver, camels, female camels, all kinds of spices as their

tribute, with one accord they brought before me and they kissed my feet.
819. Idi-bi'ilu I appointed to be agent (overseer) in Egypt(Musri).

١٨ : **البراعي** *The Bir'ai* الذي اقتدته ذليلاً ومذعناً عند قدمي، **والمشعانيين والتيمانيين والسبئيين والخيابيين والحتيين وأدبئيل** *(The Mes'eans the Temeans, the Sab'eans, the Haiappeans, the Badaneans, the Hatteans, the Idiba'I)* الواقعة على حدود بلاد شمس الغروب، التي لم يسمع بها إنس ولا جان، والتي تبعد مرابعها عن حدود مجدي. حضرة الجلالة... جاؤوا ضمن ائتلاف واحد، مُحملين بالذهب، الفضة، الجمال والنياق، كل أصناف البهارات التي قدموها أمامي كإتاوات، ثم قبّلوا قدمي.

١٩ :فعينت إدبئيل . *Idi-bi'ilu* ليكون مندوباً «وصياً» في مصري (*in Musri*)

وبالطبع، سيكون من غير المقبول بأيّ معيار علمي - تاريخي (أو جغرافي) تخيّل أنّ الآشوريين عينوا **والياً على مصر يدعى أدبئيل!** أو أن تأتي **مصر** مع سبأ **والقبائل الأخرى** راكعة تقدم الجزية والبهارات **لسرجون!** إنّ اسم

البرعي ـ البراعي *The Bir'ai* في هذا النص ـ سوية مع اسم سبأ ـ سيُسهم في تحطيم أسطورة الملك برعو الذي تخيلته القراءة الاستشراقية في صورة (فرعون مصر).

وهاكم اسم هذه المملكة الصغيرة الزائلة:
محافظة ريمة، مديرية الجبين، عزلة خضم، قرية **البرعي**، محلة **قاع البرعي**!
ومحافظة ريمة ملاصقة لصنعاء، حيث أقامت قبائل سبأ وأسست مملكتها.

والآن، سأروي روايتي عن هذا التاريخ كما سجلته التوراة والنقوش الآشورية ـ الآسورية، وقبل ذلك، هاكم خلاصة عن الحدث كما روته التوراة، النص العبري: سِفر الملوك الثاني: ١٥: ٢٧:١١:
في عام ٧٤٧ ق. م صعد إلى عرش مخلاف ـ مملكة إسرائيل، ما يُسمى في التراث الكتابي[١١] مملكة الشمال، ملك يُدعى **فقحيه بن مناحم**[١٢]، بينما أصبح ملك آخر يدعى **عزْريَه بن أمصيه עזריה בנאמציה** ملكاً على يهوذه في الجنوب. والمملكتان ـ المخلافان، كانتا في حالة شقاق وصراع ديني وسياسي وقبائلي، بلغ ذروته مع حدوث صدامات دامية بين الطرفين. وبحلول عام ٧٣٧ ق.م زحف **بن مناحيم ملك إسرائيل** نحو أراضي السمرا (شمير) التي تتبع مملكة ـ مخلاف اليهودية ـ في هذا العصر ـ وأعلن نفسه ملكاً فيها. لكن أحد قوّاده هناك ويُدعى بنَ زْمليَه، تآمر عليه وضربه في أرمون ـ أرمان، ثم في بيت ملك ـ وادي ملك، وفي َءرْيه ـ الراية، وفي رجوب ـ رجاب، وكان معه خمسون من فرسان بني جلعد، فقتله في النهاية وأعلن نفسه ملكاً مكانه. في هذا الوقت، ومع تصاعد الحروب بين المخلافين ـ المملكتين، سارع تجلات بلاسر الثالث إلى التحرك لوضع حد لهذا التنافس. وبعد وقت قصير من

هذه الصراعات، صعد ملك جديد إلى المسرح، هو الملك ءحاز אחז الذي ذكرته النقوش الأشورية[١٣]. وهذا الطامح الجديد إلى العرش، أصبح ملكاً على مخلاف يهوذه نحو عام ٧٣٥-٧١٦ق.م، منتهجاً خطاً دينياً وسياسياً، مغايراً ومتناقضاً مع مخلاف ـ مملكة إسرائيل، ورافضاً التزام الشرائع والسُّنن الموسوية الأولى (والداودية ـ نسبة إلى الملك داود)، التي ظل سكان مخلاف ـ مملكة إسرائيل يتمسكون بها. ويبدو أنّ الشقاق المتفاقم، وأساسه دينيّ، بالطبع نظراً إلى وجود مخالفات دينية، يُزعَم أنَّ سكان يهوذه قاموا بها، منتهكين قواعد الديانة الإسرائيلية، قد شجع بن رَمْليَه ملك بني إسرائيل الجديد على التحالف مع ملك قبلي يدعى رصين ـ رضين، كان ملكاً على مخلاف ـ مملكة ءرم ـ آرام، وذلك لمقاتلة الملك اليهودي الجنوبي المتمرد والمخالف للشرائع (ءحاز). وهكذا، حاصر الملكان المتحالفان، رصين ـ رضين الآرامي، وملك إسرائيل بنَ رْمليَه، عدوهما المشترك الملك ءحاز، ملك مخلاف ـ مملكة يهوذا، ولكنهما لم يتمكنا من قهره. ولذا اغتنم ءحاز ـ الحاز ملك يهوذه في الجنوب الفرصة، وسارع إلى طلب النجدة من الآشوريين من أجل تحطيم هذا التحالف. ثم بادر إلى إرسال رسائل، تحثّ العاهل الآشوري على التدخل، قائلاً له (إنه عبد مطيع وابن مخلص للإمبراطورية وإنَّ من واجب العاهل الآشوري أن يهبّ لتخليصه من عدويه ملك آرام وملك بني إسرائيل).

ولأجل هذا الغرض حمل موفدوه إلى بابل آنية الذهب والفضة والهدايا الثمينة. لقد بدت الاستعانة بآشور، العدو القديم والتقليدي لليهود اليمنيين كما تصوّرها التوراة، حلاً وحيداً أمام ءحاز اليهودي للتخلص من خصومه، (بنو إسرائيل الذين تمسكوا بالشريعة الموسوية) أبناء جلدته وأخوته في الدين، بينما كان الآشوريون في الواقع يتحرّقون شوقاً لرؤية هذه اللحظة

من الشقاق والتنازع الدموي بين القبائل، وها قد جاء مَنْ يستجدي منهم تدخلاً عسكرياً كانوا هم أنفسهم، بأمسّ الحاجة إليه. لذا، نظّم الآشوريون حملة حربية كبرى، قادها تجلات بلاسَر بنفسه، زاحفاً على مملكة يهوذه في الجنوب، واجتاح خلالها دمشق(١٤)، وهذا اسم مكان في اليمن لا علاقة له بدمشق العاصمة السورية على الإطلاق. وسأكشف في المؤلفات القادمة بأدقّ التفاصيل عن لغز دمشق. ثم قام الملك الآشوري بعمليات تهجير لسكانها شملت منطقتي قير، وحرست(١٥). بعد ذلك، توالى سقوط المواضع القبلية الأخرى. وبالطبع، فليس المنطقي الافتراض أنه أسقط دمشق العاصمة السورية، وهجّر سكانها إلى قر، وحرست، لأنّ بلاد الشام كلها لا تعرف هذه الواقعة في تاريخها القديم المكتوب والموثق، كذلك، لا وجود لمكانين يدعى أحدهما قر، والآخر حرست في بلاد الشام. ومع سقوط المواضع أمام الزحف الآشوري بسرعة وواحدة تلو الأخرى؛ فقد تتالى سقوط مجموعة جديدة من مواطن القبائل، منها عيون ـ عيون، وإبل ـ إبل، وبيت معكه ـ العكه، وينوح ـ نوح، وجبل قدس ـ قَدَس، ووادي حصور ـ حضور. وبعد مضي اثني عشر عاماً من حكم ءحاز(١٦) صعد إلى العرش الآشوري شلمانصر الخامس ٧٢٦-٧٢٢ ق. م خلفاً لتجلات فلاسر الثالث. وفي هذا المنعطف من الأحداث التاريخية المؤكدة، وقع حدث آخر له صلة عميقة باسم مصر، وكان مادة خصبة (لتلفيق) استشراقي نموذجي، وذلك عندما زعم بعض علماء الآثار أنه عملية فرار ثم أسر (ملك مصري) يدعى سوء في معركة وقعت داخل رفح! ومع صعود شلمانصر الخامس، وفي هذا الوقت بالذات، سارع هوشع بن أيله(١٧) من مقاطعة السمرا، ليعلن نفسه ملكاً على مخلاف ـ مملكة إسرائيل. وفي مسعى منه لانتهاج سياسة

جديدة تقوم على الطاعة الكاملة للآشوريين، أبدى الملك الجديد استعداده للتعاون معهم. بيد أن الشكوك كانت تساور الآشوريين بحقيقة نوايا الملك الإسرائيلي الجديد، إذ تناهت إلى أسماعهم أنباء تقول إنَّ هوشع بن أيله هذا، كان يُحرّض ملك **عشائر المصريين** (عشائر معين مصرن) في الساحل على التمرد وعدم دفع الجزية للإمبراطورية.

والتوراة تسمي هذا الملك (ملك ـ ها ـ مصريم מלך המצרים) وتطلق عليه اسم **الملك سوء ـ سوأ**. ويبدو أن محقّقي التوراة ظنوا أنَّ المقصود به ملك مصر البلد العربي. ولمّا كان التاريخ المصري لا يعرف ملكاً يدعى **سوء ـ سوأ، أوسوءة**، ولا يعرف واقعة من هذا النوع، يكون فيها **لملك إسرائيلي صغير مثل هذا النفوذ على ملك مصر**، وبحيث يصغي إلى نصيحته بعدم دفع الجزية للآشوريين، وإلى هذا كله فالتاريخ لا يعرف أي شيء عن واقعة دفع الجزية. ولذا بدت رواية التوراة مثيرة للحيرة وعصيّة على التفسير. ولأنّ واقعة كهذه لا وجود لها بكل تأكيد، والمصريون لم يدفعوا أيّ جزية للآشوريين بهذه الصورة المخزية، فقد بات لزاماً علينا إعادة النظر في التأويل الخيالي للنص، وأن نعيد النظر بالاسم. في الواقع، لم يكن هناك قَطّ جنرال أو ملك مصري هُزم في معركة رفح التي سجلتها الوثائق الآشورية. والواقعة تُروى في السجلات العراقية القديمة على أساس وجود حلف من القبائل، العربية ـ البدوية، المتمردة على سلطة الإمبراطورية الآشورية، جرى تحطيمه في رفح، ولكن دون أدنى إشارة إلى فلسطين؟ وبالفعل، فقد كان هناك حلف من قبائل بدوية لصدّ الآشوريين، شاركت فيه قبائل مصرن بقيادة أحد ملوك مخاليفها ـ ممالكها الصغيرة ـ ويدعى ملك **مقاطعة سو**(١٨)، سيقع هو نفسه ـ تالياً ـ في أسر القوات الآشورية؛ فيما لم تكن هناك غزة

متورطة في الهجوم. فكيف حدث هذا الالتباس والخلط؟ في الواقع، كان الصدام المصري المزعوم مجرد قراءة خاطئة للأسماء في السجلات الآشورية وفي قائمتي الكرنك. ومن المهم أن نعيد التأكيد هنا، أنّ اسم مصر البلد لم يكن قد ظهر في هذا الوقت، ولم تستخدمه السجلات، بل كان الاسم الذي عرفت به هو إيجبت ـ الجبت (القبط). ولذلك، فالسجلات الآشورية والمصرية[١٩] تروي جوانب مهمة من الصدامات ضد معين مصرن اليمنية، وتروي أيضاً أخباراً عن حملات الآشوريين على قبائل عربية. فعلياً، رُسمَت جغرافيا خيالية إضافية، وذلك حين وُضعَت الأحداث برمتها في فلسطين. ولم يسلم من هذا التخييل حتى أفضل العلماء. إنَّ عالماً مرموقاً مثل ساكز، لا يتوانى عن استخدام نصوص سفر الملوك الثاني مثلاً، كمادة تاريخية في المُطابقة مع التاريخ المُدوَّن، ولذا نراه يتحدث من دون احتراس أو تدقيق عن معارك رفح التي سجلتها الوثائق الآشورية، باعتبارها رفح فلسطين على الحدود الصحراوية مع مصر! بل يتحدث عنها باعتبارها معارك ضد المصريين. ومع أنَّ النص الآشوري يتحدث بوضوح عن معارك في موضعي (قو) و(حمّة)، وهما موضعان لا وجود لهما شمال فلسطين، ولم تقع فيهما معارك بين الدولتين العظميين في العالم القديم، فإن التلفيق سيستمر ليبلغ ذروته مع ساكز، حين يقول ما يأتي:

إنَّ الجنرال المصري سو[٢٠]، هُزم أمام سرجون الثاني[٢١]، وذلك استناداً إلى رواية إشعيا الشعرية وإلى سفر الملوك الثاني. وهذا غير مقبول من عالم في التاريخ، لم يجرب إمكانية العودة إلى السجلات الآشورية أو النقوش التي تنكر أي معرفة لها بهذا الحادث وتصمت عنه. وهذا أمر مثير بالفعل؛ إذ من غير المنطقي أن تتجاهل السجلات الآشورية مثل هذا الحدث الضخم،

وهو هزيمة ملك مصر أمام سرجون الثاني لو أنه وقع حقيقة؟ وهاكم النقش(٢٢) الذي يروي الواقعة، وهو ما يؤكد أن الاستشراقيين لفقوا ملكاً مصرياً يدعى سو ـ سوء:

328. 1. (No. 64) the land of Amurru in [its] entirety[I conquered]. [Gebail l (Byblos), Sidon [and Arvad senttribute] I caught a great pagutuon myreturn Tribute, taxes and logs of cedaron the Hittite-land I imposed.
329. Against I went. The taxes which I........ ***of the land of Ishua andSuh—***
I carried
off and brought to my land.
330. [For the twenty-eighth time] I crossed the Euphrates,—the second time in one year. [From Tadmar ofAmurru], Anat of Suhi, [as far as

الترجمة العربية:

Tribute وعدت بحظوات كبيرة(٢٣). جزية وضرائب وأخشاب الأرز. فرضتها على أرض حتتي (*Hittite*).

٣٢٩. وضدّ... قد عدت «النص هنا مقطوع». حاملاً معي الضرائب التي حظيت بها إلى أرضي. الضرائب التي... **من أرض سوا ـ السواء** (*Ishua* و *Suh*).

٣٣٠. وللمرة الثامنة والعشرين عبرت الفروت، وللمرة الثانية من نفس العام. من تمارا العموريين (*Tadmar of Amurru*) **وعنة والسواء** (*Anat of suhi*) وصولاً إلى...

وهاكم ما يقوله ساكز، كنموذج عن القراءة التلفيقية (ساكز: مصدر مذكور: ١٤٤):

(وتورطت غزة بإسناد جبان من الجنرال المصري الذي يُسميه العهد القديم

باسم سو. ولكن عند الاشتباك في رفح، هرب الجنرال المصري ـ استناداً إلى الأخبار الآشورية ـ بشكلٍ مُخزٍ تاركاً ملك غزة لمصير محتوم).

من المؤكد أن اللوحات البطولية العملاقة التي تركها الآشوريون، تدحض فكرة وجود حدث تاريخي من طراز أسر جنرال أو ملك مصري يدعى سو، لأنها لوحات تصور قبائل بدوية مهزومة وقع فرسانها في الأسر. ولو كان هناك حدث بهذه الضخامة لسجلته الوثائق الآشورية. إنَّ أزياء المحاربين والأسرى وثيابهم، كافية بحدّ ذاتها للبرهنة على حقيقة المعركة ومسرحها، فهي ملابس جماعات يمنية تلبس اللباس اليمني التقليدي (الإزار ـ الوزرة). دعونا الآن نحدّد مسرح المعركة في غزة، حيث دار قتال شرس بين الآشوريين وقبائل معين مصرن، حول حصن جبلي يدعى **غزة**. هاكم اسم غزة في اليمن: محافظة حجة، مديرية حجة، **عزلة الغـزي**.

والآن مرة أخرى، ماذا عن قائمة الكرنك التي تذكر الأسماء نفسها؟ إنَّ قائمة الكرنك المصرية، وعلى المنوال ذاته، تضمّ أسماء مدن اليمن وقراه وجباله ووديانه، حيث غزا المصريون القدماء مدنه للاستيلاء على الذهب والبخور وإخضاع القبائل. أمّا معارك رفح وقو وحمه وقراقر عام ٧٢١ ق. م بين سرجون الثاني وقبائل مصرن، فهي تدور في المكان نفسه، ولا علاقة لمصر البلد العربي بها، لا من قريب ولا من بعيد. هذا الخلط المأساوي ناجم عن تهجئة مغلوطة للأسماء، وعن افتراضات مبنية أساساً على النصوص التوراتية، وليس على نتائج البحث الأثري التي لم تبيِّن قط وجود مثل هذه المعارك في فلسطين. إنَّ رفح اليمنية التي دار فيها القتال، ثم امتدّ إلى قو وقرقر وحمة ـ التي تخيلها الغربيون حماه السورية ـ هي ذاتها رفح في منطقة

البون الأعلى قرب ما يعرف اليوم بموضع خطم الغراب[٢٤]، وكانت تدعى في عصر الهمداني (بيت رفح). وبطبيعة الحال، فقد كانت منطقة البون (بونت في التوراة) الجزء الأكثر حيوية في جغرافية معين مصرن، لأنها كانت موطن أشجار البخور.

المثير للاهتمام أنَّ المصريين والآشوريين لم يسجلوا في المدونات المتروكة قطّ، أي شيء عن هزائم وحروب دامية من هذا النوع، بينما تسجل قوائم الكرنك، أسماء المواضع التي بلغتها القوات المصرية في عمق النجد اليمني وعلى الساحل من أجل إخضاع القبائل ذاتها. وهذا ما تتحدث عنه السجلات الآشورية أيضاً. بكلام آخر، يجب أن نميز بين حملات ملوك (إيجبت ـ القبط) على اليمن، وبين قبائل مصرن. ولذلك، استخدمت التوراة تعبير (**عشائر المصريين**). لقد ميّز النصّ التوراتي مقاصده من هذه الأسماء بدقة، لكن كثرة من كتّاب التاريخ أصيبوا بالعمى، وفهموا المسألة على أنها تخصّ مصر البلد العربي (مع أنَّ النص يقول عشائر المصريين). بهذا المعنى، يجب فعلياً إعادة النظر، بما يُدعى الحروب الآشورية ـ المصرية في فلسطين خلال حقبة **شيشانق الأول**، لأنها حروب كُتبت روايتها السائدة اليوم، بناءً على قصص التوراة وليس الآثار المتروكة أو السجلات والنقوش. وبالتالي، يجب أن نحذف من التاريخ الفلسطيني، أحداثاً بأكملها نُسبت خطأً إلى هذا التاريخ، منها حملة **شيشانق الأول**.

من المحتمل أن صداماتٍ دامية وحروباً ضارية وشرسة وقعت بين الآشوريين والمصريين، ولكننا لا نملك أيّ دليل تاريخي عنها، وهي بكل تأكيد ـ في حال وقوعها ـ لم تقع في فلسطين قطّ، لأنّ هذا القطاع الصغير من

جنوب الشام، كان قلب الإمبراطورية الآشورية المطلّ على المتوسط، ولا يمكن تخيّل أي سبب أو ظرف يدفع المصريين القدماء إلى مهاجمة الآشوريين في هذا الجزء الحساس من الجغرافية. لذلك، ومن أجل فهم أعمق لهذه الحملات، يتعيّن - اليوم - قراءة قوائم الكرنك من منطلق مغاير، بوصفها سجلاً بالغنائم والمكاسب العسكرية التي نجحت في الحصول عليها، حملات مصرية متتابعة، قادها تحوتمس الثالث (تحتمس الثالث: ١٤٢٥ ق. م) و(شيشانق الأول ٩٥٠-٩٢٩ ق. م)، واستهدفت إخضاع قبائل الساحل اليمني، وهو ما فعله الآشوريون مع القبائل المتمردة على سلطانهم، فخلال حملة شلمانصر الخامس (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) كان **هوشع بن أيله**، يحرّض قبائل الساحل اليمني على الامتناع عن تقديم الجزية **للآشوريين**. ولذا قرر مهاجمته لتنتهي حملته العنيفة بأسر ملك يدعى ملك السوا (سوء - سوءة)، وهو أحد ملوك مخاليف (ممالك) **مملكة مصرن في تعز**، حيث أخذه مُصفَّداً بالسلاسل إلى بابل. كذلك **حاصر الآشوريون أورشليم**، ونقلوا سكانها في حملة تهجير داخلية منظمة إلى **مدي** מדי. ومن المحتمل أنّ بعض المنفيين من أرضهم، نقلوا إلى **مدي** في ما يعرف اليوم بمديرية العدين: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة خباز، قرية حرض، **محلة شعب المدي** (وهذه مدي أخرى غير التي في ساحل حجة). أي إنَّ بعض القبائل أُبعدَت إلى أماكن بعيدة عن طرق التجارة الدولية عبر الساحل. ومن المؤكد أن **معركة قراقر - قرقر** هذه التي خاضها **سرجون الثاني ضد قبائل مصرن**، لا يمكن العثور على اسمها في أي مكان من فلسطين، وهي وقعت **في تعز**.

وبرأينا، إنَّ إقليم المعافر الذي كان يشكل قديماً أهم مقاطعة في اليمن القديم، هو مسرح القتال الذي دار هناك.

هاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية المواسط، عزلة بني حماد، قرية الحقيبة، محلة قرقر. ومن المؤكد أيضاً، أن قرقر التي تقع في ما يعرف اليوم بمديرية المواسط، هي أقرب موضع جبلي من جبل قدس. لقد وصل سرجون الثاني إلى المكان نفسه الذي وصل إليه رمسيس وشيشانق وتحوتمس الثالث: جبل قدس. وكنا قد رأينا من نقوش حملات آشورية وبابلية سابقة، كيف أنها تشير إلى (قبائل الساحل) التي كانت تمتنع عن دفع الجزية، لا البدو وحدهم، وهذا أمر مهمّ للغاية، لأنه يتطابق مع وصف التوراة، بما هي كتاب دينيّ من كتب يهود اليمن. فضلاً عن أنَّ فلسطين القديمة لا تعرف وادي العيون ولا وادي الملك ولا حضور ولا جبل يدعى قدس! فكيف جرى تخيّل الأحداث هناك، وعلى أيِّ أساس تاريخي؟ سنُعيد توصيف المدن التي سقطت في يد الآشوريين، لنتعرّف بدقة أكبر إلى مغزى وجود اسم (مصر). وهذه المواضع هي على التوالي: محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة بني سرحه، قرية الضبات، محلة بيت عيون.

ها هنا عيون، وها هنا حضور: محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة جبل خضراء، قرية الضباري، **محلة حضور**. وهناك حضور أخرى كانت مخلافاً كبيراً قرب صنعاء لا تزال تعرف حتى اليوم بـ (**مخلاف حضور بن شعيب**). وها هنا وادي **الملك ـ مليكي**: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بلاد المليكي.

سنتوقف هنا عند مكانٍ تفجّر فيه أكبر صراع بين المخلافين ـ المملكتين، وهو صراع سبَّب عملياً توفير كل أسباب التدخل الآشوري. لقد قُتل ملك إسرائيل على يد أحد قواده في السمرا ـ السامرة (التي تسميها التوراة: شامير) بعد مؤامرة ومعارك جرت في ها ـ ريه ـ الرية، ورجوب ـ رجاب،

وأرمون ـ أرمان التي يترجمها مترجمو النص العبري إلى (برج الملك). ولأجل رسم جغرافية المعارك التي جرت بين الآشوريين وقبائل (مشفحت مصريم ـ اي عشائر المصريين)، فسنبدأ من اسم الملك المصري الأسير. لقد وُضع **الملك سوءه ـ سوء** ضمن التاريخ المصري ـ السوري، وزعمت كثرة من كتّاب التاريخ أنه كان معاصراً وحليفاً لملك سوري ـ آرامي يدعى **رصين ـ رضين.** وجرى في نطاق هذا التلفيق، تدوين وتسجيل وقائع معركة يُزعم أنها حدثت بين الآراميين والآشوريين على حدود سورية الجنوبية عام ٧٣٨ق. م، إنَّ السرد التاريخي لتاريخ مملكة إسرائيل القديمة لا يبدو منطقياً، فالمعارك التي تجري ضد البدو وفي السواحل، تنتقل فجأة إلى قلب سورية وحدود مصر.

ومرة أخرى، سأروي روايتي عن هذا التاريخ الغامض والمتلاعب به.

إنَّ القصة الحقيقية التي أكتبها عن تاريخ إسرائيل القديمة، قد يمكنها، بصورة ما من الصور، أن تُسهم في إنشاء السردية التاريخية الوحيدة التي ستبدو أكثر عقلانية بين كل ما كتب من مؤلفات. إليكم ما يأتي:
في هذا الوقت من التاريخ١٣٠٠-٨٥٠ق.م، أي طوال ٥٠٠ عام تقريباً من ظهورها وصعود دورها في التجارة الدولية، كانت **مملكة معين ـ مصرن** تواجه خطرين في آن واحد: أطماع **السبئيين**، وهم قبائل الشمال اليمني التي كانت تتحيّن الفرص لتحرير أراضيها من قبضة المعينيين ملوك الجوف، وهم من أصول حضرميّة، وفي الآن ذاته، كانت تواجه خطر الحملات البابلية ـ الآشورية.

كانت المملكة اليمنية وعاصمتها (قرنو) في الجوف، عرضة لأطماع خارجية وداخلية، فمن جهة كانت **القبائل السبئية المتحالفة مع الحميرين الجنوبيين،**

تتحيّن الفرص للأنقاض على المملكة، وانتزاع الممتلكات من الأراضي الشمالية والجنوبية، ومن جهة أخرى، كانت الإمبراطورية الآشورية تدرك أنّ هذا الجزء من العالم القديم هو امتداد جغرافي لساحلها على الخليج، لكن قبائله المتمرّدة وروحها الاستقلالية، يمكن أن تحرم الإمبراطورية من السيطرة على طرق التجارة الدولية، أو تدفق البضائع نحوها، وكان البخور أهم مستلزمات وشروط بقاء معابدها. في هذه الأجواء والظروف وقعت المعركة التي يقال إنَّ ملكاً مصرياً يدعى (سوا ـ سواء) هُزم فيها على أيدي الآشوريين؟ بدأت المعركة في **إقليم المعافر**، حين توجه **فرسان ملك مقاطعة السواء**، لصدّ الهجوم الآشوري. تقع **عزلة السواء** الجبلية الحصينة في ما يعرف اليوم بمحافظة تعز، **ضمن مديرية المعافر، حيث يمكننا أن نجدها هناك بالاسم نفسه:عزلة السواء**. لكن من هو الملك رصين الذي ساند **ملك السواء**؟ ما يثير العجب أنَّ كتّاب التاريخ القديم في أوروبا والعالم العربي استطراداً ـ تمسكوا برواية التوراة هذه، مع أن لا مصدر **آشورياً** يؤيدها. وهكذا صار طلاب الجامعات في أقسام التاريخ القديم، وحتى الباحثون المجرّبون، يستخدمون خبر التوراة هذا، بوصفه خبراً تاريخياً يخصّ التاريخ الآشوري.

كل ما نعرفه عن **الملك السوري** (الآرامي) **رصين ـ رضين الذي ساند الملك المصري المزعوم** سوء، مستمدّ بالكامل من المروية الاستشراقية عن هذا الحادث، وليس من أي مصدر تاريخي موثوق فيه كالنقوش والسجلات الرسمية الآشورية. إنَّ التاريخ المكتوب لا يعرف اسم هذا الملك، ووضعه ضمن التاريخ السوري هو من نوع التلفيق القابل للنقد. ومع هذا، يقال في بعض المؤلفات التاريخية إنَّ **رصين ـ رضين** كان معاصراً للملك **سوء ـ سوء**٥، وإنه شارك في المعارك ضد **الآشوريين** وأمكن أسره وحبسه هو الآخر. في

الواقع، ليس ثمة ملك آرامي اسمه رصين، والجملة في النقش تقول حرفياً: (ملك رصين ـ رضين)، أي ملك مقاطعة تدعى رصين، تماماً مثل اسم الملك سوء، أي ملك مقاطعة سواء، وليس (الملك رصين).

وهاكم نقش تجلات بلاسر الثالث الذي اصطدم بملك مقاطعة تدعى رصين ـ رضين:

Year 3

769. [In my third] year of reign, Sardurri of Urartu, revolted against me, with Mati'-ilu
[Sulumal of Melid (Melitene), Tarhulara of Gurgum, [Kushtashpi of Kummuhu, [trusted] in each others might. ……… (Trusting) in the might and
power of Assur,my lord, I fought with them,……… large numbers of them I slew.
The gorges and precipices of the mountains I filled with [their bodies]. Their chariots…………… their ………. without number, I carried away from that slaughter and of Sardurri. I seized with my own hands. 72,950 people, together with their
possessions, from……….. [Sardurri1, to save his life, escaped at night and was seen no more…………. up to the bridge across the Euphrates, the boundary
of his land, I pursued him. And his bed………. his royal coach,the seal-cylinder,
(hung) about his neck, together with [his]rings………. his royal chariot……….
Their(?)………. His……. much, without number, his(?) chariots,horses, mules, ………. his workmen, without number, I carried away. The house of the plain, '[his
royal] tent,........large quantities of his………… I burned in the midst of his camp ……. his……….. his bed, to Ishtar, queen of……… ……………………………………………………… the city of Kukusanshu,

*the city of Harbisina............ -piati....... -dinu the city of Izzeda, which Ma........... I laid upon the1. **Rasunni** [of Aram] .... 3 talents of gold, x talents of silver 20 talents of ladunu-(herbs)........ Kushtashpi of of Tyre, Uriaik [of Kûe], Pisiris of Carchemish, [Kummuhu,[Hiram Tarhulara of [Gurgum],......... iron, elephant hide, ivory,purple*

(wool), ... [products] of their lands, in large.....

الترجمة العربية:

السنة الثالثة

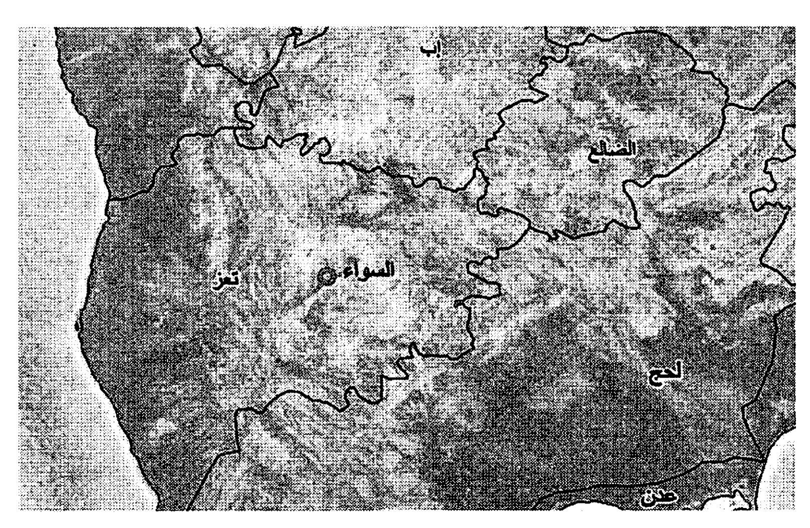
٧٦٩ ق. م. في السنة الثالثة من حملتي ـ حكمي ثار ضدي السر ـ دور، صاحب ـ ملك اور ارتو (*Sardurri of Urartu*) ومعه كل من **إيلو شول عم يثع** (*Mati'-ilu Sul*) وعومل صاحب ملته ـ ملطه والملطانيين وتل حور العر، وجلرمو ـ جرم وكوش تبه ن وكمنهو (كمنو ٩ *umal of Meld1 Melitene .(–Tal hulara of Gurgum Kushtashpi of Kummuhu1*

واضعين ثقتهم بقوة بعضهم البعض. أما أنا، فواثقاً بقوة وسلطان آشور قاتلتهم وذبحت أعداداً كبيرة منهم. ملأت الوديان ومنحدرات الجبال بجثثهم. ومركوباتهم التي لا تحصى حملتها بعيداً عن تلك المذبحة وعن السر ـ دور(*Sardurri*). أمسكت بيدي هاتين... ٧٢٩٥٠ شخصاً بكل ما يحملونه. وطاردت السر ـ دور(*Sardurri1*) الذي نجا بحياته ليلاً، ولم يعد أحد يراه بعدها على مرتفعات الفروت، حدود أرضه. سريره وأريكته الملكية وختمه الأسطواني المعلق على رقبته مع خواتمه... موكبه الملكي و... الكثيرة التي لا تُحصى، مركوباته وخيوله وبغاله وخدمه الذين لا يحصون، كلهم حملتهم بعيداً. و«بيته العادي»، خيمته الملكية،... وأشياء كثيرة له أحرقتها وسط معسكره. سرير لعشتار، ملكة مدينة كوك الشنشة

(*Kukusanshu*) ومدينة **بيت حريب سينا** (*Harbi sina_piati*) و دانو (*dinu*) مدينة ازيدا (*Izzeda*) التي (*Ma*)... وضعتها فوقهم. **أما رصين** (*Rasunni*) ملك آرام، وملك كمنهو، وقو، وكوش، وترشيب وكركميش وتل حور لارة، فقد قدموا ٣ طالن من الذهب وأكثر منها من الفضة وعشرون من أعشاب (اللادونو)

J Kushtashpi of Kummuhu,[Hiram] of Tyre, Uriaik [of Kue], Pisiris of Carchemish, Tarhularaof [Gurgum] الحديد وجلد الفيل والعاج والصوف الأرجواني وخيرات بلادهم.

وقبائل ددي ومرسماني وثمودي وإب وخياب (*Tamud, Ib&did1, Marsimanu*) و(*Haiap*) وقبائل عربية بعيدة من ساكني الصحراء، كبيراً أو صغيراً من أصحاب الجاه لا يعرفون دفع الجزية لأي ملك.



موقع السواء

هذا هو، ببساطة، ملك قبائل تدعى **رصين أو رضين** (الرضاويين)[٢٥]. في الواقع، حصل ملك مخلاف السواء في المعافر (تعز) على إسناد ودعم ملك قبلي في جبل مجاور. في مديرية المعافر نفسها، ولكن ضمن عزلة الشعوبة، قرية جاحصة، **محلة الرصن**. كذلك يوجد بالقرب من المكان نفسه جبل يدعى جبل حبشي، حيث يمكننا أن نجد حتى اليوم هناك اسم الملك الذي هبّ لنجدة ملك السواء: محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة المراتبة، قرية بني جعفر، **محلة شعب رصـان**.

إنّ الرواية السائدة والمهيمنة تتحدث عن صراع آشوري ـ مصري على سورية وفلسطين في إطار ما يُزعم أنها حملة عسكرية آشورية قادها تجلات بلاسر الثالث ٧٤٥- ٧٢٧ ق. م لاحتلال فلسطين، وهي انتهت بسقوط أورشليم والسامرة. وهذه الرواية، تبدو تلفيقاً نموذجياً من ألفها إلى يائها، ولا أساس لها في التاريخ المكتوب، لأنَّ مثل هذا الصراع لم يحدث في سورية، كذلك فإن دمشق لا تعرف ملكاً يُدعى رصين ـ رضين، ومصر لا تعرف ملكاً أو قائداً عسكرياً باسم سو ـ سوء. ولو كانت هذه الأحداث الضخمة والمثيرة وقعت في فلسطين، فلماذا لا نجد في تاريخها القديم أي أثر لها؟ وكيف لنا أن نوفق بين المزاعم عن أسر ملك مصري وما سجله التاريخ عن غنائم عاد بها ملوك مصر؟ أي كيف يمكننا أن نقبل واقعتين متناقضتين، إحداهما تقول إنَّ مصر هُزِمَت وقُبِضَ على ملكها واقتيد أسيراً إلى بابل، وبين واقعة عودة المصريين بغنائم سجلوها على جدران معابد الكرنك؟ ولمّا كانت فلسطين لا تعرف موضعاً أو حصناً جبلياً يدلّ على اسم (سوء)، ولا وجود لنقوش أو سجلات مصرية أو آشورية تؤيد وجود جنرال أو ملك بهذا الاسم، فلابد أن الحادث ملفق برمته، ومن نتاج مخيّلة استشراقية

قرأت النقوش والنصوص التوراتية بطريقة خاطئة، وهو حدث لم يقع هناك. وبكل تأكيد، ليس ثمة مكان يدلّنا على اسم هذا الملك القبليّ، سوى الحصن الجبلي الشامخ في تعز الذي لا يزال اسمه يعيد تذكيرنا بالتاريخ: مملكة السواء. برأينا، إنَّ المقصود من جملة (سوء ملك) في نصوص التوراة والنقوش الآشورية، إنما هو الإشارة إلى ملك مقاطعة، أو رقعة جغرافية تحمل هذا الاسم. ومن الواضح أنَّ سياق النص يشير إلى صدام مع جماعة قبلية من يافع، وأنَّ المعارك نشبت ضد قبائل يمنية أخرى. ويمكننا أن نجد أثرها في اليمن.

تقع السواء، وهي مملكة ومدينة وحصن أثري، جنوب مدينة تعز، واليوم يشاهد الزائر مدينة عامرة تحمل الاسم نفسه، ويُعرف بسكانها من قبيلة يافع القوية. تبعد السواء نحو (٣٠ كلم) تقريباً عن مركز المحافظة، وتعَدّ مركزاً لعزلة كبيرة من مديرية المواسط، لأنَّ التقسيم الإداري الجديد لليمن أتاح لها أن تضمّ عدداً كبيراً من القرى، ومن أهمّ ما يميزها، موقعها الجغرافي المهمّ الذي يتحكم بطريق التجارة العالمية. فقد ربطت قديماً بين المدن اليمنية القديمة وشواطئ البحر الأحمر وموانئه[٢٦]. وتدل الشواهد الأثرية المكتشفة على أنّ السواء وحصنها، ظهرا في العصور السبئية الأولى، إذ يذكر نقش قتباني[٢٧] (يعرف باسم ريبورتوا - ٤٣٢٩) ويعود تاريخه إلى القرن الثاني ق.م، أنَّ جماعة من **مدينة السواء مقيمين في المدينة**، قاموا بتشييد محفد (المحفد شبيه بدار الحكم)، وأنَّ السواء كانت لها علاقات طيبة مع عدد من المدن اليمنية القديمة. كذلك يذكرها نقش آخر *(ja 585)* يعود إلى عهد الملك إل شرح يحضب (إيلشرح) ويازل بني ملكي سبأ وذي ريدان (منتصف القرن الثالث الميلادي) بالاسم نفسه. هذا يعني أنَّ ما قصده

النص التوراتي، إنما هو الإشارة إلى معارك مع الآشوريين بقيادة تجلات بلاسر الثالث واليافعيين ـ من قبيلة يافع ـ بقيادة ملك مملكة ـ مخلاف سواء، وأنَّ هذا وقع أسيراً في أيدي خصومه؟ ومن اجل أن نستدلّ بدقة على خط هذه الحملات الحربية التي سجلتها النقوش، وما إذا كانت قد اتجهت نحو فلسطين كما يزعم التوراتيون، فسندقق في أسماء الأماكن الواردة عن الحدث نفسه في التوراة.

وهاكم تعريف الهمداني للمقصود بالجنرال المزعوم **سو ـ سوءه**، فهو من قبائل تعرف باسم **بني سوء ـ سواء**، كانوا يقيمون في تعز (صفة: ١٣٠-١٣١). إنَّ وجود أسماء المواضع في نصوص توراتية تتحدث عن صراع مملكة ـ مخلاف بني إسرائيل ضد ملوك مملكة ـ مخلاف يهوذا، داخل نصوص آشورية ومصرية قديمة، وبنفس التهجئة والتسلسل، أمر لا يمكن تجاهله في سياق تحليل **مسألة مصر**. وهاكم مثلاً، أسماء ثلاثة مواضع دارت فيها الحرب بين ملك إسرائيل ـ في الشمال ـ فقحيه بن مناحم، والملك عزْريَه بن أمصيه **עזריה בנאמציה** ملك يهوذه في الجنوب ووردت بالتسلسل نفسه: ها ـ رية (ءرية، شتات، ثلات) ووصفها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (صفة: ٣٧٢) بالتسلسل نفسه الوارد في التوراة: (شتات وثلات ورِيّة مواضع في بلد وادعة من همدان).

هذه هي ريّة وشتات وثلات، تماماً كما في السِّفر التوراتي، وقد حددها الهمداني قرب صنعاء. هذا يعني أنَّ معارك (المخلافين الدينيين) جرت في منطقة همدان. أما وادي ملك وأرمون، حيث قتل الملك اليهودي، فهما موضعان وقعت فيهما معارك أخرى، وميّز النص العبري بينهما في صورة

أرمون وملك. وسنرى دلالة وقوع الأعمال الحربية في هذا المكان، حين ندقق في خط الحملة العسكرية الآشورية التي اتجهت صوب وادي العيون.

كانت معركة وادي عيون ـ عيون واحدة من أهم معارك تجلات بلاسر الثالث، لأنها مكنته من الزحف داخل تعز ثم إب، وقبل ذلك تمكن من السيطرة على مملكة (مخلاف حضور ـ حصور)، وهو جبل ووادي حضُور. يقول النص العبري:

ובימי-פקח-מלך-ישראיל-בא-תגלת-פלשר-מלך-אשור-ויקח-את-עיון-ואת-אבל-בית-מעבה-ואת-ינוח-ואת-קדש-ואת-חסור-ואת-ה-גלעד-ואת-הגלילה-ובל-ארצ-נפתלי-וגלם-אשור

(النص العبري بالحرف العربي)

وب ـ يمي ـ فقح ـ ملك ـ يسرئيل ـ بء ـ تجلت ـ فلسر ـ ملك ـ ءشور ـ ويقح ـ ءت ـ عيون ـ وءت ـ ءبل ـ بيت ـ معكه ـ وءت ـ ينوح ـ وءت ـ **قدش** ـ وءت ـ **حصور** ـ وءت ـ ها ـ جلعد ـ وءت ـ ها ـ جليله ـ كل ـ ءرص ـ نفتلي ويجلم ـ ء **شوره**

الترجمة من العبرية:

(وفي أيام فقح ـ فقحيه ملك إسرائيل عاد تجلات بلاسر ملك شور، وأخذ وادي ـ عيون، وابل، وبيت معكه، وينوح، وقدس وحضُور[٢٨]، وجلعد، والجليل، وكل أرض نفتله ونفاهم إلى الشور).

إذا افترضنا أنَّ تسلسل المواضع والأماكن في هذا النص، هو تسلسل

صحيح ويبيّن جغرافية المعارك التي خاضها العاهل الآشوري في اليمن القديم، ففي هذا الحالة يجب أن نضع وادي **عيون** ـ كما في النص ضمن قائمة المدن الأولى التي انطلق منها، وهي مدن تتبع إدارياً محافظة إب، حيث مديرية حبيش وفيها عزلة صائر وتضم قرية المغصوبة و**محلة العيون**. هذا يعني أنَّ الجيوش اتجهت صوب **تعز عبر إب**، ابتداءً من منطقة الجوف. وإذا ما افترضنا أنها انطلقت من الجوف فلحج ثم تعز، واتجهت صوب إب، فسيظل التسلسل صحيحاً. لقد سقطت المدن الأولى في قبضة الآشوريين في الجوف ثم (**مدينة أحاز**) في الشمال الغربي لصنعاء. وهكذا، فقد استولى الآشوريون أولاً على جزء من منطقة حيوية في ما يعرف اليوم بمحافظة إب، وتحديداً في ما يعرف بمديرية حبيش، قبل أن يستولوا على **إبل**. وهاكم موضع **إبل**: محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة الشراجة، قرية العذير، محلة **شعبة الابل** (كذلك توجد في قرية مجاورة داخل العزلة الجبلية نفسها محلة تعرف **بشعبة الأبال**: محافظة تعز، مديريةجبل حبشي، عزلة الشراجه، قرية الإشروح، محلة **شعبة الأبال**).

بعد ذلك استولى الآشوريون على **معكة ـ العكة**.

وهاكم **معكة ـ العكة**: محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة القريشة، قرية الشرف، **محلة عكة**. وهذا يعني أيضاً، أنَّ الجيش سار من إب فوصل تعز أو العكس ودخل مديرية جبل حبشي، واتجه صوب مديرية الشمايتين ليستولي على **عكة ـ عكا**. وهكذا أيضاً صار بإمكانه أن يصل **جبل قدس** في مديرية المواسط، مستولياً في سياق الحملة على مواضع أخرى مثل **ينوح ـ نوحه**، **وحضور**، **والجليل**، **وأرض جلعاد ـ جلعد**.

وهنا لابد من توضيح للقرّاء غير المتخصّصين:

إنَّ نصوص التوراة تشير بدقة إلى أنَّ جلعد تغيّر اسمها وأصبحت تعرف باسم يبيس ـ بيت يابس (في الطبعة العربية يرسم الاسم هكذا: يبيش): جلعاد هي شرقيّ الأردنّ. في ١ مك ٥:١٧-٣٦، تُسمّى باشان أرض جلعاد. واشتهرت جلعاد بغاباتها الكبيرة (إر ٢٢:٦ ي) حيث كانت تنمو حشائش طبيّة (تك ٣٧:٢٥؛ إر ٨:٢٢؛ ٤٦:١١). كذلك اشتهرت بمراعيها وكثرة أغنامها (عد ٣٢:١؛ نش ٤:١؛ ٦:٥؛ إر ٥٠:١٩؛ مي ٧:١٤).

هذا التعريف الشائع هو نموذج آخر للتلاعب بالجغرافيا وبوقائع التاريخ، فقد وُضعَت قبائل يمنية شرق الأردن؟ في الواقع يقع شعب (بكسر الشين أي الشعبة من الجبل) يبيش-يبس في محافظة إب، مديرية العُدَيْن، عزلة بني عمران، قرية الوادي، محلة شعب يابس. وكنا قد قلنا إنَّ العُديْن ملاصقة لشرعب السلام. ونجد الاسم في سفر الملوك (ملوك *1: 12: 23* و *Kings 15:2*) كاسم لملك إسرائيلي:

شلّوم بن يابيش (يابس) ملك في السنة التاسعة والثلاثين لعزّيا ملك يهوذا، ملك شهراً وأياماً في السامرة. שלום בן יביש מלך בשנת שלשים ותשע שנה לעזיה מלך יהודה וימלך ירח ימים בשמרון.

كل هذا يعني أنَّ الآشوريين استولوا على يابس ـ يبيس (أرض جلعاد ـ جلعد) في محافظة إب، ضمن مديرية العُدين، وفي عزلة جبلية حصينة تعرف باسم عزلة بني عمران. وهاكم أسماء بقية المواضع: الجليل: محافظة لحج، مديرية حبيل جبر، عزلة حبيل جبر، قرية شعب الجليل. وإلى الشمال

الغربي باتجاه لحج، ما يعرف اليوم باسم وادي الجليلة في مديرية المقاطرة، ضمن عزلة تعرف بالاسم نفسه: عزلة الجليلة (ولحج ملاصقة لتعز). ما يجب ملاحظته في هذا النص، أنه يسجل اسم **جبل قدس** بوصفه موضعاً دارت فيه معارك ضارية، بين الآشوريين وبني إسرائيل في عصر الملك الإسرائيلي فقحيه نحو ٧٤٧ ق. م، وهذا الموضع هو ذاته الموضع الذي سجله رمسيس الثاني في حملته ورسم اسمه في صورة (قدش)، لكنه قرئ من جانب علماء الآثار بالمدّ (قادش). وكما نلاحظ، فهو في محافظة تعز.

إنَّ المواضع التي سقطت في يد تجلات بلاسر ـ فلاسر الثالث تمتد من السامرة ـ أي من مخلاف شمير حتى غرب تعز ـ حيث يوجد حتى اليوم أطول شاطئ بحري يعرف باسم الملك، وهو شاطئ ميناء المخا. تقع المخا على بعد ٦٤ كلم غرب مدينة تعز، وهي من أقدم موانئ اليمن، ويعرف شاطئها القديم حتى اليوم باسمه هذا على الشريط الساحلي (شاطئ الملك) المحاط بالنخيل، والذي يتميّز بوفرة المياه العذبة المتجاورة مع مياه البحر. ولنلاحظ أنَّ النص العبري يرسم الاسم الآخر في صورة ء **شوره ـ الشور**، وهذا رسم مختلف عن الرسم العبري لاسم **آشور** الإمبراطورية، بما يعني أنَّ التوراة لا تقول مطلقاً إنَّ العاهل الآشوري نفى كل السكان إلى آشور المملكة، بل إلى **وادي وجبل الشور**. أي إلى وادٍ بعينه يعرف بهذا الاسم. يعَدّ جبل الشوار من أعظم جبال تعز، ويقع في منطقة بني حمّاد على الطريق إلى جبل قدس في الجنوب الغربي بنحو ٨٠ كلم. أما شمالاً، فسنصل إلى شاطئ الملك. ومحافظة تعز كما هو معلوم تمتلك شريطاً ساحلياً طويلاً، يمتد من باب المندب جنوباً حتى شواطئ الملك شمالاً. وسنشير هنا عرضاً إلى أنَّ تجلات بلاسر الثالث في نصوصه، يؤكد أنه أسر ملكاً من

ملوك كو ـ قو(*Kiau*)[٢٩]. وهذا الاسم ورد في سجلات الحملات المصرية أيضاً، وليس ثمة مكان بهذا الاسم سوى موضع (قو) في أرض السامرة، ضمن مديرية مقبنه اليوم في تعز. ورد اسم (قو) في نقش الملك كرب ءيل ملك سبأ *RES 3945* في الصورة الآتية:

(وهبها ملك سبأ لالمقة ولسبأ، واستولى على مدنه **قو، وجوعل، ودورم، وفدة، وشبام** ومدن **أيك**، وكل ما يملك **سمه يفع ونشان** (نشأن)[٣٠] في أيك. كما امتلك ـ استولى ـ على مناطقها بامتداد الحدود إلى حد (منهيتم) وهبها لالمقة ولسبأ، كما تملك الأراضي الخصبة أسودها وأحمرها، وأرسل على أرض ملك نشان المسقية ونشان، مياه مذاب ودمر سور مدينته نشان).

ما يثير الدهشة في هذا النقش، أنه يؤكد ما ذهبنا إليه من أنَّ حملات كرب إيل وتر واستيلاؤه على المدن والقرى، قد دخلت النص التوراتي بوصفها معارك داود أو ملوك إسرائيل ويهوذا، فكل الأسماء الواردة في النقش أخذت طريقها إلى نصوص التوراة ؟ برأينا، إنَّ نقش الملك كرب ءيل يشير بوضوح تام إلى غزوات سبأ، لإخضاع مملكة معن مصرن خلال سنوات ضعفها. كان طموح المعينيّين التاريخي، يتجلّ صريحاً في رغبتهم بتحويل الممالك الصغيرة المبعثرة ـ تحت سيطرتهم ـ إلى دولة مركزية تحكم اليمن. ولسوء حظ هذه المملكة، فقد كانت هناك قوى قبلية جديدة صاعدة في شمال اليمن، من أهمها سبأ التي سعت إلى إضعاف كل الممالك الصغيرة، المتحالفة مع معين مصرن قبل الإجهاز عليها، وهي غزوات لم تتوقف إلا مع خضوعها ثم زوالها.

ومن المتعذر بالفعل العثورعلى ما يناظر أو يماثل أسماء المواضع أعلاه،

وبالصيغ ذاتها كما وردت في النص العبري، ونقوش المسند والهمداني والنقوش الآشورية والمصرية، وهذا أمر مدهش بالفعل. ها هنا البلاد القديمة السمرا ـ السامرة في الرسم العربي، حيث تفجّر صراع مسلح بين المملكتين اليهوديتين (مملكة إسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية) وأدّى إلى تدخل الآشوريين. تقع (قو) الأخرى، وهي غير التي رأيناها قرب صنعاء، وكما حدّدتها النقوش السبئية والآشورية، ضمن التقسيم الإداري الحديث لليمن في محافظة أبين، وهي تتبع مديرية لودر، حيث توجد اليوم عزلة زارة وقرية (قو يريح). ولّما كان الملك الآشوري يتحدث في نصّه عن إخضاع (ملك قو)، فهذا يعني أنه اصطدم بقبائل الضالع الملاصقة للحج، وهي من قبائل يافع القوية. وها هنا (قو) ووادي ملك ووادي عيون بالضبط. وهاكم وصف الهمداني لموضعي رفح وحاز ـ ءحاز الذي ارتبطت بعض الأحداث باسم ملكها (ملك ءحاز صفة: ١٥٦-١٥٧) شرقي صنعاء حيث دارت معركة رفح:

(نقيل السود، فبيت بوس وما بينهما من حقل صنعاء، ويلقى هذه الأودية سيل **مخلاف حضُور** وحاز وبيت قرن **وبيت رفح**).

إنَّ التسلسل الذي يعطيه نص الهمداني، مطابق تماماً للتسلسل الذي ترسمه نقوش العاهل الآشوري والتوراة. وها هنا مخلاف حضور (مملكة حصور في التوراة). وها هنا اسم ملك مخلاف يهوذه (**الملك ءحاز - إيلحاز**). لقد شملت الحملة الآشورية كل هذه المساحة الجغرافية: الجوف، صنعاء، إب، تعز، تخوم لحج.

- ٥ -



الجوف، مأرب، صنعاء، إب، تعز

تقع (حاز) شمال غرب العاصمة صنعاء، وتبعد عنها بنحو (٤٥ كلم) تقريباً، وفيها خرائب لمستوطنة يعود تاريخها إلى عصور سبأ، وهي مليئة بالخرائب والأطلال والنقوش اليمنية القديمة. ويبدو من بقايا خرائبها أنها كانت محاطة بسور لم يبق منه سوى الأساسات، وأشهر معالمها المبنى الضخم الذي يطلق عليه الأهالي مصطلح (القصر). وقصر حاز، هو أحد

معابد الإله (تألب ريام)، وكان اسمه كما جاء في النقوش (ش ص ر م). ويبدو أنَّ النصوص التوراتية عن قيام ءحاز ببناء (مذبح) وثني، قصد به بالضبط قيامه ببناء مذبح للإله اليمني تألب ريام. وللتدليل على أنَّ اسم هذا الملك أصبح اسماً لمكان بعينه، يُدعى حاز ـ ءحاز، أو أنه كان ـ في الأصل ـ اسم موضع، تسمّى به أو انتسب إليه الملك، سنضيف ـ هنا ـ تفصيلاً مهماً للغاية من سفر الملوك الثاني (النص العبري: ٢٣: ٣: ١٣) يتحدث عن الإصلاح الديني الذي قام به الملك يوشيه: ٦٤٠-٦٠٩ ق.م في مخلاف ـ مملكة يهوذه؛ إذ أزال هذا الملك بعض مظاهر العبادة الوثنية المتناقضة مع التوحيد، ومنها تحطيمه الأوثان في موضع يدعى ماوة (ماوة بعل). كذلك دمّر بعضها في موضع يدعى ء حاز. يقول النص العبري ـ بالحرف العربي ـ ما يأتي[٣١]: (وها مزبحوت ـ ء شر ـ عل ـ هنن ـ عليوت ء حز).

والجملة تعني: (والمذابح التي فوق ـ هنن ـ وفي معلاة أحاز).

ولأنّ الكلمة العبرية هنن ـ هنان بدت غريبة وغير قابلة للترجمة، فقد قام المترجمون بإعطاء مكافئ عجائبي من نسج خيالهم: (سطح). وبحسب هذه الترجمة، يكون الملك (بنى في أعلى سطح ءحاز مذبحاً). بيد أنَّ النص لا يشير، لا من قريب ولا من بعيد، إلى سطح مكان، بل إلى مكانين أحدهما يسمى جبل هنن ـ هنان والآخر أحاز ـ حاز. وبذلك تكون الجملة العبرية قد أشارت إلى امتداد الإصلاح الديني إلى أكثر من مكان من أجل إزالة فوضى المظاهر الوثنية في مخلاف ـ مملكة يهوذه الجنوبية. وفي هذه الحالة يصبح ءحاز ـ حاز اسماً لمكان بعينه في عام ٦٠٩ ق. م، أي عام الإصلاح الديني الذي قاده يوشيه. وبالطبع في سلسلة جبال حمير (حيث قبائل

الجنوب التي أسست المملكة اليهودية). أما هنن ـ هنان التي حيّرت قراء التوراة، فليست سوى عزلة بني هنان في محافظة عمران في مديرية السود، حيث توجد هناك، حتى اليوم، عزلة جبلية لتجمّع البدو تعرف باسم عزلة بني هنانو البدو. وهنان هذه ـ ويا للعجب ـ على مقربة من ءحاز شمال غرب صنعاء، حيث جرى تحطيم أصنام الآلهة.

يتّضح من كل هذه التفاصيل الدقيقة، أنَّ معركة رفح اليمن دارت قرب صنعاء بين الآشوريين وعشائرمصرن ـ مشفحت ها ـ مصريم משפחת-המצרים، وليس بين الآشوريين والمصريين، وأنَّ المزاعم التاريخية عن أسر ملك مصري، أو هروب (جنرال جبان) من ميدان المعركة، هو تلفيق يجب أن يشطب من تاريخ مصر. وهذا الترتيب للوقائع سيؤكد لنا أنَّ الملك تلقّب بلقب ءحاز نسبة إلى المكان، أو أنّه كان تحت سيطرته، وأنَّ هذا الملك الجنوبي تمكن من فرض سلطانه على جزء من شمال غرب صنعاء، وأقام فيه مملكة صغيرة ضمن ما يعرف اليوم بمنطقة الجوف الأعلى، وأنه قام ببناء مذبح وثني. ليس هذا المعبد الوثني سوى معبد تألب ريام. وهذا تطابق مذهل بين النقوش والتوراة والسجلات الآشورية، وهو يؤكد أنَّ كل أحداث التوراة هي تسجيل بلغة دينية لتاريخ مملكة سبأ التي كانت تضمّ مخلاف بني إسرائيل.



الهوامش

(١) في النقوش الآشورية يمكننا أن نجد اسم أحد الملوك الأسرى في صورة (ء حاز) وفي صورة حزا ءيل وكذلك في جملة (غضبت خونو على خزا ايلي ملك اربيي).

(٢) لم يقدّم مترجمو النص السبئي أيّ مقابل لغوي عربي لكلمة (كين). ومن المحتمل أن الكلمة كما في العامية العراقية المعاصرة تعني معركة، قتال (كاون).

(٣) الترجمة العربية إلى الإنكليزية: أودّ التنبيه إلى أنَّ الترجمة من السبئية إلى الإنكليزية غير دقيقة، فهي تترجم مثلاً جملة (كل مصر) إلى (كل الجيش: ***and all the army***)، وهذا غير مقبول، لأنَّ المقصود هو (كل قبائل مصر: عشائر مصر)

*1 **Rbs²ms¹m Yzd and his brother Krb'ṯt 's¹'d**, of the family **S¹'rn**,*

*2 Mḥylm, S³mkm, **'qwl** of the tribe of **Bklm**, fraction of **Rydt**,*

*3 **mqtwyy** of **'ls²rḥ Yḥḍb** and his **brother Y'zl Byn**, the two **kings of Sabàand ḏu-Raydān**,*

*4 sons of **Fr'm Ynhb, king of Saba'**, dedicated to 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, this statue*

*5 in bronze in praise because He favored and helped their lord **'ls²rḥ Yḥḍb**,*

6 king of Sabà and ḏu-Raydān, to beat, destroy, defeat and rout Krb'l ḏu-Raydān

*7 **and all the army**, the tribes and the troops of **Ḥimyar**, the children of 'm, when they made the battle*

8 in the plain of Ḥrmtm, and Krb'l ḏu-Raydān and his tribes and his troops brought destruction from the mountain

*9 **'s¹'y and Qrnnhn** to 'rws²tn, Ẓlmn and Hkrm. And in praise because He favored*

10 and saved their two lords from all the offensives, the sorties, the

incursions in which they were engaged,

11 bringing war, humiliating, killing and obtaining as booty, in numerous campaigns and offensives,

12 fortresses, palaces, victims, captives, booty, prize of war, which pleased

13 their two lords from those expeditions in which they fought and waged war, their two lords ***'ls²rḥ Yḥḍb***

14 and his brother ***Y'zl Byn,*** *the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, sons of Fr'm Ynhb, king of Sabà,*

15 in the land of ***Ḥimyar****. And in praise because 'lmqh Ṯhwn, Lord of*

16 'wm, favoured and helped their two lords ***'ls²rḥ Yḥḍb*** *and his* ***brother Y'zlByn,*** *the two kings of Sabà and ḏu-Raydān,*

17 sons of Fr'm Ynhb, king of Sabà, ***to destroy, humiliate****, rout and defeat*

18 Krb'l ḏu-Raydān, *his 'qwl, his troops, his tribes, his cavalrymen, the children of 'm,*

19 when they were regrouped, enaged in pitched battle and guided in the wadi of 'ẓwr, and Krb'l ḏu-Raydān

20 and his army came back in disorder to the two towns of Ykl' and 'bwn; and from there

21 those survivers of their army retired, everyone in his direction, in disorder, to their lands. And after that

22 Krb'l ḏu-Raydān sent guarantee of good conduct and placed his governors under the orders of their two lords 'ls²rḥ

23 Yḥḍb and his brother ***Y'zl Byn****, the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, sons of Fr'm Ynhb,*

24 king of Sabà. And after that their two lords 'ls²rḥ Yḥḍb and his brother

25 Y'zl Byn, the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, waged war until the land of Ḥimyar, and they arrived until the region

26 of the town of Hkrm and found there Krb'l ḏu-Raydān and his army and

27 their two lords 'ls^2rḥ Yḥḏb and his brother Y'zl Byn, the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, besieged them

28 in that town of Hkrm, until Krb'l ḏu-Raydān, his 'qwl and

29 his tribes surrendered and submitted on the authority of their two lords 'ls^2rḥ Yḥḏb and his brother Y'zl Byn, the two kings

30 of Sabà and ḏu-Raydān. And in praise because 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, granted to his servants

31 Rbs^2ms^1m Yzd and Krb'ṯt 's^1'd to come back, both of them and their tribe of Bklm,

32 fraction of Rydt, in safety and with spoils, captives, prisoners of war, booty and riches,

33 which pleased his two servants; and in praise because 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, saved his servant

34 Krb'ṯt 's^1'd of the family S^1'rn from all the physical injury that he suffered in the plain of Ḥrmtm; and

35 may 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, continue to grant to his servants Rbs^2ms^1m and Krb'ṯt

36 of the family S^1'rn the favour and the goodwill of their two lords 'ls^2rḥ Yḥḏb and his brother Y'zl Byn,

37 the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, sons of Fr'm Ynhb, king of Sabà, in whatever

38 their two lords 'ls^2rḥ Yḥḏb and his brother Y'zl Byn, the two kings of Sabà

39 and ḏu-Raydān, should command to both of them for diplomatic mission, garrison duty, and assignments in all the military campaigns that their two lords,

40 should command to them for fighting and performing service. And may 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, deliver them from the maleficence,

41 the malice, the calamity, the oppression, the calumny of any enemy, far or near, known or

42 unknown, and from the malediction that their enemy might give them against the

43 favour of their two lords. By 'ṯtr and 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, and by their Patrons 'ṯtr

44 and 'lw Z'ln, Lords of the citaled in Yf', and by their two lords 'ls²rḥ Yḥḍb and his brother Y'zl Byn, the two kings of Sabà and ḏu-Raydān, sons of Fr'm Ynhb, king of Sabà.

(٤) الترجمة الإنكليزية:

*1 [......] and **S¹'dt'lb Yhs²'** and their sons Mḥmdm*

2 [......] descendants of Ms²'rn dedicated to their Patron T'lb Rymm

3 Master of Ḥdṯnn [...... and] upon it a statue in bronze, in praise because [T'lb] granted

*4 [......] **S¹'dt'lb Yhs²'** descendant of Ms²'rn from all the expeditions, battles and*

*5 fights [......] **Mrb**, and his protection (or: guard) when they slaughtered the garrison of the Himyarites in the*

*6 city [......], and fortified themselves in the city of **Ḍhr**, and there besieged them the kings*

***7 Ys¹rm Yhn'm and S²mr Yhr's², kings of Sabà and ḍu-Raydān and all the army** of Ḥimyar.*

(ترجم تعبير كل مصر: كل الجيش؟ بينما تقول الجملة بالسبئية: ياسر النعم وشمر يهرعش ملكي سبأ وريدان وكل مصر – السطر ٧)

8 [......] the city of Ḍhr, and there they invested them until they died..

9 [......] their two lords Yrm and Brg descendants of Bt' and Hamdān concluded a pact

10 [......] the 'rydn, S¹fln, the bedouins of Mrb and D̲'bn 'r-

11 s²m [......] and after them (or: thereafter) they helped their two lords S²f'ṯt 's²w' and Yrm 'y-

12 mn [......] and they overtook them at Kwrnhn, and seized their captives

13 [......] three hundred and twenty men were killed, and as for the 'rydn, they besieged

14 [......] all the towers of Rydt and the fortresses of the 'rydn surrendered and

15 [......] the two [hills ?] Ḍb'm and Bḍ'tm, and they came back from all those expeditions

16 [......] and a booty which satisfied them, and in praise because they repulsed and

17 [......] the tower d̲-S¹b'yn in polished stone; and may T'lb R-

18 ymm grant [......] good harvests and crops in all their lands and fields

19 [......] by T'lb Rymm, Master of Ḥdṯnn.

(٥) الترجمة إلى الإنكليزية:

1 S²rḥ'l 's¹'r of the family Ḍrnḥ, the 'qwl of the tribe

2 Ḍmry, dedicated to 'lmqh Ṯhwn, the Lord of 'wm, the

3 statue of bronze, by which S²rḥ'l, of the family Ḍrnḥ, praised

4 the power and the authority of 'lmqh, the Lord of 'wm, because

5 they were protected, their two masters S¹'ds²ms¹m 's¹r' and his son Mrṯdm

6 Yhḥmd, the two kings of Sabà and d̲u-Raydān, sons of 'ls²rḥ Yḥ-

7 ḍb, king of Sabà and d̲u-Raydān, and all their tribe Ḍmry and

8 all the army which did service for their two masters in the expeditions they carried out in the

9 land of Rdmn, in order to do battle with the army of Yd''l, the king of Ḥaḍramawt,

10 and Whb'l, of M'hr, and the soldiers and the tribes, which supported

11 them. S^{2}rḥ'l praised the power and the authority of 'lmqh, because

12 their two masters and their tribe Ḏmry and all the army which did service for them

13 came back from those expeditions and battle in safety and in a perfect success

14 and with numerous spoils which satistied and gratified the hearts of their

15 two masters S^{1}'ds^{2}ms^{1}m 's^{1}r' and his son Mrṯdm Yhḥmd,

16 the two kings of Sabà and ḏu-Raydān. Might 'lmqh continue to grant favour to

17 their two masters in perfect success and in humiliating and destroying

18 all enemy and ill-wisher of their masters, the kings of Sabà. Because

19 'lmqh granted to His servant S^{2}rḥ'l all the favours he sought

20 from Him and in order to might 'lmqh, the Lord of 'wm, continue to

21 grant to His servant S^{2}rḥ'l of the family Ḏrnḥ all the favours

22 he will continue to seek from Him.

23 Might 'lmqh, the Lord of 'wm, grant to His servant S^{2}rḥ'l of the family Ḏrnḥ, the favour and the goodwill of their two master S^{1}'ds^{2}ms^{1}m 's^{1}r' and hi son Mrṯdm Yhḥmd, the two kings of Sabà and ḏu-Raydān.

24 Might 'lmqh, the Lord of 'wm, grant to His servants S^{2}rḥ'l and the family Ḏrnḥ prosperity, good luck, soundness of faculties and material ressources, good and luxuriant fruits from all their lands and their valleys.

25 Because He saved and will save S^{2}rḥ'l and the family Ḏrnḥ and their tribe Ḏmry from maleficence and malice [......] enemy and ill-wisher, which are distant and nearby. By 'ṯtr, Hwbs^{1}, 'lmqh, by ḏt Ḥmym, by ḏt B'dnm, by their gods 'ṯtr 'zz and ḏt Ẓhrn, the two Lords of the mountain Knn, and 'ṯtr 'zz ḏ-G'bm, ḏ-Ṭrr.

(٦) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان سباتو، دمشق، مؤسسة رسلان علاء الدين ٢٠٠٢ ص١٤٤.

(7) ANCIENT RECORDS OF ASSYRIA AND BABYLONIA II p3 by DANIEL DAVID LUCKENBILL,

(٨) الربع هنا قصد به ملك مقاطعة تدعى الربع: محافظة صنعاء، مديرية همدان، عزلة ربع همدان.

(٩) الربيعي: فلسطين المتخيلة ص ٢٠٠، نقلاً عن الهمداني: صفة جزيرة العرب.

(10) (ANCIENT RECORDSOFASSYRIA AND BABYLONIADANIEL DAVID
LUCKENBILL, Volume IIp15.

(١١) التراث الكتابي من الكتاب، أي التراث الديني اليهودي.

(١٢) يتحدث نقش بيت شعريم الذي اكتشف في فلسطين حرفياً عن (قبر مناحيم قيل ملك حمير). النقش يعود إلى ٣٠٠م، وهو يدعم فكرة أنَّ اليهود الذين عاشوا قديماً في فلسطين هم من أبناء القبائل اليمنية المهاجرة.

(١٣) معظم هذه النقوش متاحة اليوم على صفحات الإنترنت ***WWW. CSAI. Humnet. unipi.it***

(١٤) سنتحدث مطولاً عن دمشق في هذا المجلد.

(١٥) حرست - حرستا اسم عربي قديم لا يزال موجوداً في ضواحي دمشق الشرقية القريبة من مناطق لا تزال تتكلم ما يدعى الآرامية (وهي السريانية) مثل معلولا وصيدنايا. ومن المؤكد أنّ القبائل العربية القديمة (ما يدعى الآرامية) التي وصلت إلى الشام نقلت معها بعض أسماء مواضعها.

(١٦) وفي النقوش الآشورية قرأنا اسم حزا ءيل.

(١٧) انظر حول أيله كتابنا فلسطين المتخيلة مصدر مذكور في مؤلفات الكاتب.

(١٨) انظر مراثي أرميا وإشعيا، ولاحظ كيف أن أرميا حثّ القبائل على طلب النجدة.

(١٩) انظر مثلاً: هاري ساكز: عظمة بابل: ط، العربية: ١٤٤.

(٢٠) في هذا التلفيق يصبح ملك مصر جنرالاً مصرياً.

(٢١) ذكر الثموديون في نقوشهم التي يعرفها علماء الآثار جيداً، ومنها نقش عثر عليه في خرائب ثمود (أن سرجون الثاني أخضع ثمود لحكمه) انظر: جواد علي ٢٢٣/ ١، وهذا ما يتوافق كلياً مع ما ورد في السجلات الآشورية.

(22) :P103Ancient Assyrian Records 1

(٢٣) كلمة (*pagutu*) ليست كلمة إنكليزية، بل أقرب المعاني الموجودة لها باللغة الإيطالية ومن جذر لاتيني بمعنى (الفرح)، وأيضاً كلمة (*Pagu*) التي تعني (دفع أو تعويض)، فكانت حسب السياق (حظوات جمع حظوة).

(٢٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٥٦-١٥٩ـ النص مُختصراً:ما أقبل من أشراف نقيل السود فبيت بوس وجبل نُقم وما بينهما حقل صنعاء إلى خطم الغراب، وبيت رفح فالرحبة إلى خطم الغراب وقاع والبون، وأكانط والخشب.

(٢٥) وهؤلاء لا يزالون حتى اليوم يقطنون في بيحان أهم مديريات محافظة شبوة، وتعرف بأنها موطن قبائل (رضين- رضاويون) وهم من طيّ (من بني عبد رضا) المعبود اليمني القديم (رضا). وشبوة هي المحافظة ومركزها الإداري عتق، وتشتهر بوديانها الخصبة الصالحة للزراعة، مثل وادي جردان في المديرية الشرقية، ووادي عين، ووادي ميفعة في المديرية الجنوبية، ووادي مرخة، ووادي عبدان، ووادي يشبم في المديرية الوسطى. وهذه المناطق وردت كلها وبالصيغ ذاتها في نصوص التوراة.

(٢٦) ذكرها العديد من المؤرخين القدماء، مثلاً (ياقوت الحموي في معجم البلدان)، إلّا أنه لم يحدد مكانها تحديداً دقيقاً، كما ذكرها ابن المجاور في (المستبصر)، ويُسمّى موقعها اليوم حصن القدم الواقع في عزلة السواء، التي تبعد عن الحصن نحو كيلومترين. كذلك ذكرها صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري، فقال في وصفها ما يأتي: (مدينة السواء في المعافر أي ما يعرف اليوم بمحافظة تعز وأنَّ قيلها أي ملكها يقيم في المدينة، وأنَّ المسافرين كانوا يتجمعون في المدينة لاختيار الوقت المناسب للسفر بالبحر).

(٢٧) مملكة قتبان، تقع عاصمة المملكة التي تدعى تمنع إلى الشمال الغربي من مدينة عتق عاصمة محافظة شبوة، وتبعد عنها نحو ١٤٠ كم، ظهر اللفظ قتبان كاسم لقبيلة في نقش النصر الموسوم بـ (*RES 3945*) بعد تحالفها مع مكرب سبأ كرب إل / وتر / بن / ذمر علي (القرن السابع قبل الميلاد) ضد مملكة أوسان التي احتلت بعض أراضي هذه القبيلة وجارتها إلى الشرق من حضرموت، لكنها بعد أن دمّر المكرب السبئي مملكة أوسان، ورثت أراضيها التي كانت تمتد من دولة المعافر الحجرية اليوم حتى وادي ضرا وعبدان وبيحان شمالاً، وصولاً إلى لحج المحافظة الثانية في اليمن الجنوبي السابق تبن ووادي بنا ودهسم يافع والعود، والسواحل الجنوبية المشرفة على البحر العربي الممتد من باب المندب حتى ميناء قنا القديمة. ظهرت مملكة قتبان اعتباراً من القرن السابع قبل الميلاد وصمدت في المسرح التاريخي حتى مطلع القرن الأول الميلادي.

(٢٨) لنلاحظ التطابق التام في وصف الحملة عند الطبري وابن حبيب ونشوان الحميري والتوراة، فهذا يؤكد أنَّ الآشوريين قاموا بغزو أهل حضور اليمن. انظر: نشوان بن سعيد الحميري الأندلسي، نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة دار الأقصى، عمّان الأردن ١٩٨٢ والنصوص التي يستخدمها الكتاب مأخوذة عن نسخة إلكترونية، مصدر مذكور في قائمة المراجع والمصادر ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، طبعة حيدر آباد الدكن، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ١٩٦٤ـ الطبري: تاريخ الملوك والرسل: دار المعارف، القاهرة ١ :١٩٦٣/ ٣١٣.

(٢٩) وهناك موضع آخر يعرف باسم بطن قو، وهو من وديان الجوف.

(٣٠) في هذا العصر تمكن السبئيون من تفكيك ممالك الجوف، ومنها المملكة الصغيرة نشأن نشان. والإشارة في هذا النقش إلى أنَّ الملك السبئي وهب أملاك (نشأن) أراضيها ووديانها وجبالها لـ (المقه) و(سبأ)، يعني أنه ألحقها بالمملكة السبئية الموحَّدة.

(٣١) النص العبري: ٢٣: ٣: ١٣.

لغز الملك المصري نيخو- نخو الثاني

والآن: من هو «الفرعون المصري» نيخو ـ نخو الثاني الذي تتحدث عنه التوراة؟ هل هناك شخصية تاريخية (حقيقية) بهذا الاسم، وهل صحيح أنه هُزم أمام نبوخذنصر في معركة كركميش؟ في الواقع، لم يرد أي ذكر لاسم هذا الفرعون في أيّ وثيقة أو سجل تاريخي، أو نقش مصري. ومصر الحالية لا تعرف إطلاقاً أيّ ملك بهذا الاسم، ولا يوجد بأيّ صورة من الصور، أيّ اسم يماثل هذا الاسم في السجلات التاريخية المصرية؟ كل ما لدى علماء الآثار وكتّاب التاريخ، هو بعض الإشارات التي ورد فيها الاسم، منها اشارة وردت في قصيدة لأشعيا الكاهن ـ الشاعر (النبي) ولاشيء غير ذلك! فهل تكفي إشارة مُلتبسة، لخلق شخصية تاريخية تروي المؤلفات التاريخية أدقّ التفاصيل عن معاركها وهزيمتها؟

هذا هو نص إشعيا (الإصحاح: ٤٦ النص العبري: ٤٥: ٤: ٤٦: ١٠)

الذي يشير إلى اسم ملك مصري مزعوم:
חיל-פרעה-נבו-מלך-מצריםאשר-היה-על-נהר-פרת-בכר-כמיש

وترجمتنا للنص تقول: **وجيش فرعه نكو ملك مصريم (مصرين) الذي كان على مسيل فرث وفي مرج كامس**

وبالطبع، ففي الترجمة العربية للتوراة يستبدل اسم فرعه بـ(فرعون)، بينما تصبح فرث (الفرات). وتصبح الجملة هكذا كما في الترجمة الرسمية:
وجيش فرعون نيخو ملك مصر الذي كان على نهر الفرات وفي كركميش

وإذا ما سلّمنا جدلاً بفحوى النص، كما تقدمه الطبعة العربية من التوراة، فستكون لدينا جغرافية أكثر غرائبية من أي خيال جامح، فها هنا **فرعون مصر** وجيشه وهو يعبر **الفرات العراقي من مرج كامس**، أي إنَّ المعركة ستصبح في بلاد الرافدين لا في فلسطين!

لقد ترجمت كلمة **فرث ـ فرت פרת إلى فرات**، للإيحاء أنَّ المعارك دارت بالفعل بين **الآشوريين والمصريين**.

لكن **فرث** هذه ليست سوى الموضع الشهير (**شعب الفرث** - بكسر الشين أي الشعبة من الجبل) في محافظة إب، مديرية حزم العدين، ضمن عزلة الشعاور الجبلية، وتحديداً في قرية الأوهار، حيث يوجد حتى اليوم موضع قديم يعرف باسم محلة (**شعب فرث**). وكلمة (شِعب) مفرد شعاب، هي الأماكن الأكثر وعورة في الجبال، بما يعني أنَّ المعارك بالفعل دارت قرب وادٍ (مسيل مياه) وليس قرب نهر، وأنَّ كلمة (نهر العبرية נהר) تعني مياه

الوادي، لأنَّ القبائل القديمة كانت تسمي كل مسيل مياه نهراً. وطبقاً لفحوى الآية التوراتية، يكون **جيش فرعه أحد ملوك مصرن والذي يدعى نكو**، قد واجه الآشوريين في الامتداد الجغرافي لما يدعى اليوم محافظة إب. لكن، أين تقع **كركميش** هذه؟ وهل **فرعة** تعني (الفرعون)؟ لاحظنا من مثال سابق أنَّ كلمة (**برعو**) ترجمت إلى (**الفرعون**)؟ **فهل الفرعون هو برعو أم فرعة**؟ في الواقع، لا تعرف السجلات المصرية الرسمية، ولا النقوش والجداريات، ولا وثائق التاريخ المصري القديم ملكاً بهذا اللقب، أي لقب فرعون، لأن هذا اللقب هو التسمية الدينية التي شاعت في الثقافة العالمية بقوة سرد القصص التوراتية والقرآنية. أما أن يُطلق محقّقو النص العبري وعلماء الآثار **لقب فرعون على ملك يدعى نكو**، فهذا أمر مثير للتعجب، لأنَّ مصر لا تعرف لقب (الفراعنة) في تاريخها أبداً؟ وشيوع استعمال هذا اللقب **في وصف حكام مصر**، هو خطأ ناجم عن هيمنة (ثقافة شعبية دينية) قرآنية توراتية لا أكثر. وإذا ما سلمنا باعتبار (فرعه) تعني فرعون، فكيف نقبل بأن (برعو) هي أيضاً فرعون؟ لقد دخل هذا التعبير في وعي العامة من الناس، والدارسين على حدّ سواء، فقط مع الإسلام وبفعل الثقافة الشعبية، وارتباطاً بالقصة القرآنية عن **هروب بني إسرائيل من فرعون مصر**؟ أما في أوروبا، ومع تنامي وتعاظم الاهتمام بمصر منذ نهاية القرون الوسطى، وانخراط علماء آثار وكتّاب تاريخ في الترويج، لما يمكن اعتباره (تاريخاً لمصر) مُستمداً بالكامل من قصص التوراة، فقد شاع استخدام تعبير (**فرعون**) بفضل هيمنة القراءة الاستشراقية للتوراة، حيث فُسِّر اسم مصر في النصوص على أنَّ المقصود به مصر الإقليم العربي! والآن: أين وقعت **معركة كركميش** بالضبط؟ بحسب نصوص التوراة،

وتاريخ مملكة إسرائيل الرسمي الذي أنشأته وأسّسته دراسات، وأبحاث المؤرخين وعلماء الآثار من التيار التقليدي، فقد كانت هناك معركة كبرى بين الآشوريين والمصريين تدعى كركميش في فلسطين.

الإشارة الأخرى التي ورد فيها اسم نيخو- نخو (من دون كلمة الثاني لأن هذه إضافة من التيار الاستشراقي) هي في نص من سفر الملوك الثاني:
سفر الملوك الثاني ٢ : ٣٥:٢٣

كَانَ يَهُوآحَازُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ حَمُوطَلُ بِنْتُ إِرْمِيَا مِنْ لِبْنَةَ. فَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ كُلِّ مَا عَمِلَهُ آبَاؤُهُ. وَأَسَرَهُ **فِرْعَوْنُ نَخْوُ فِي رَبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ** لِئَلاَّ يَمْلِكَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَغَرَّمَ الأَرْضَ بِمِئَةِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَوَزْنَةٍ مِنَ الذَّهَبِ. **وَمَلَّكَ فِرْعَوْنُ نَخْوُ أَلِيَاقِيمَ بْنَ يُوشِيَّا عِوَضًا عَنْ يُوشِيَّا أَبِيهِ، وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُويَاقِيمَ، وَأَخَذَ يَهُوآحَازَ وَجَاءَ إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ هُنَاكَ.** وَدَفَعَ يَهُويَاقِيمُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ لِفِرْعَوْنَ، إِلاَّ أَنَّهُ قَوَّمَ الأَرْضَ لِدَفْعِ الْفِضَّةِ بِأَمْرِ فِرْعَوْنَ. كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ تَقْوِيمِهِ. فَطَالَبَ شَعْبَ الأَرْضِ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ لِيَدْفَعَ **لِفِرْعَوْنَ نَخْوٍ**.

עֶשְׂרִים וְשָׁלֹשׁ שָׁנָה, יְהוֹאָחָז בְּמָלְכוֹ, וּשְׁלֹשָׁה חֳדָשִׁים, מָלַךְ בִּירוּשָׁלִָם; וְשֵׁם אִמּוֹ, חֲמוּטַל בַּת-יִרְמְיָהוּ מִלִּבְנָה וַיַּעַשׂ הָרַע, בְּעֵינֵי יְהוָה, כְּכֹל אֲשֶׁר-עָשׂוּ, אֲבֹתָיו. **וַיַּאַסְרֵהוּ פַרְעֹה נְכֹה בְרִבְלָה בְּאֶרֶץ חֲמָת**, במלך (מִמְּלֹךְ) בִּירוּשָׁלִָם; וַיִּתֶּן-עֹנֶשׁ, עַל-הָאָרֶץ, מֵאָה כִכַּר-כֶּסֶף, וְכִכַּר זָהָב וַיַּמְלֵךְ פַּרְעֹה נְכֹה אֶת-אֶלְיָקִים בֶּן-יֹאשִׁיָּהוּ, תַּחַת יֹאשִׁיָּהוּ אָבִיו, וַיַּסֵּב אֶת-שְׁמוֹ, יְהוֹיָקִים;

וְאֶת-יְהוֹאָחָז לָקַח, וַיָּבֹא מִצְרַיִם וַיָּמָת שָׁם׃ וְהַכֶּסֶף וְהַזָּהָב, נָתַן יְהוֹיָקִים לְפַרְעֹה--אַךְ הֶעֱרִיךְ אֶת-הָאָרֶץ, לָתֵת אֶת-הַכֶּסֶף עַל-פִּי פַרְעֹה : אִישׁ כְּעֶרְכּוֹ, נָגַשׂ אֶת-הַכֶּסֶף וְאֶת-הַזָּהָב אֶת-עַם הָאָרֶץ, לָתֵת, לְפַרְעֹה **נְכֹה**

حسب هذا النص، فقد تمكنت قبائل معين الجوف (معين مصر ن) من إلحاق الهزيمة بكهنة أورشليم، وقاموا **بتنصيب كاهن يهودي موالٍ لهم هو الياقيم بن يوشيه**، بعد أن أزاحوا والده يوشيه من مركز الكهنوتية. ومن سياق النص، يتضحّ لنا بجلاء، أن (فرعون نخو) هذا، من ملوك مملكة معين الجوف، لا مصر البلد العربي، وأن المعركة التي هزم فيها كهنة أورشليم، وقعت في مكان محددّ هو (رَبْلَةَ فِي أَرْضِ حَمَاةَ). وبالطبع لا توجد في مصر قرية أو مدينة تدعى حماه فيها مقاطعة تدعى ربلة؟ ولما كان الاستشراقيون اعتبروا (حماه) التوراتية، هي حماه السورية، فمن غير المنطقي تخيّل أن المصريين وصلوا إلى شمال سورية ليهزموا كاهناً يهودياً من فلسطين ـ التي تقع في أقصى جنوب سورية ـ؟ بينما يمكن لنا رؤية مسرح المعركة الواقعي ضمن الجغرافية ـ والتاريخ اليمني ـ، لأن المقصود بملك نيخو ـ نخو، ملك مقاطعة مصرية تتبع الجوف، قاد بنفسه المعركة ضد كهنة الشمال السبأي، وهذه المقاطعة المصرية تدعى (نخو ـ نقو) ونحن نجدها في **محافظة صعدة، مديرية قطابر، عزلة آل ثابت، قرية الغمرة، محلة النقوة – النقو). ولنلاحظ أن النص التوراتي يؤكد لنا، أن أم الكاهن ـ الملك في أورشليم تدعى (حَمُوطَلُ بِنْتُ إِرْمِيَا مِنْ لِبْنَةَ)**؟ وكنا راينا أن (لبنة) من مدن الجوف التي سقطت في يد كرب إيل وتر السبأي عام ٧٥٠ ق. م، كما سقطت في قبضة الآشوريين خلال معاركهم في الجوف؟

ويُقال لنا في المؤلفات التاريخية إنَّ معركة **كركميش** خاضها ملك مصري يدعى **نيخو** الثاني ٦١٠-٥٩٥ ق.م وهُزم فيها أمام **نبوخذنصر**[١]، وإنَّ المعركة كانت واحدة من أكبر معارك التاريخ القديم، وإنَّها مثّلت من المنظور الاستراتيجي واحدة من أكبر المواجهات الحربية بين القوتين العظميين في العالم القديم، وقد مُني فيها المصريون بنكسة مأسوية، ولم يتمكنوا من السيطرة على **قدس** أو بلوغ الساحل، وهو الإخفاق ذاته الذي واجه **رمسيس الثاني من قبل**. فهل من المنطقي اعتبار (**نيخو- نخو**) اسماً لملك؟ وكيف يمكن تفسير أنه كان يخوض معاركه عام ٧٥٠ ق. م، وعام ٥٩٥ ق. م؟ هذا أمر مخالف لكل منطق، بينما يمكن اعتباره ملكاً من ملوك مقاطعة بعينها، كانت تتبع مملكة معين مصرن. لكن أين يمكننا أن نجد كركميش؟ إذا كانت (**كركميش**) هذه في **فلسطين**، فلماذا لا نجد لها أيّ أثر، حتى وإنْ كان لغوياً، يدلّنا على هذا الحدث التاريخي الضخم؟ وهل يمكننا، بوسائل أخرى غير تقليدية، أن نحصل على مقاربة ممكنة للمواضع (أو خريطة) تدلّنا على الميدان الحقيقي الذي دارت فيه؟ وكيف يمكننا أن نؤمن بتاريخ رسمي يتحدث عن ملك مصري لا وجود له في السجلات التاريخية؟

في وصف مسرح معركة كركميش

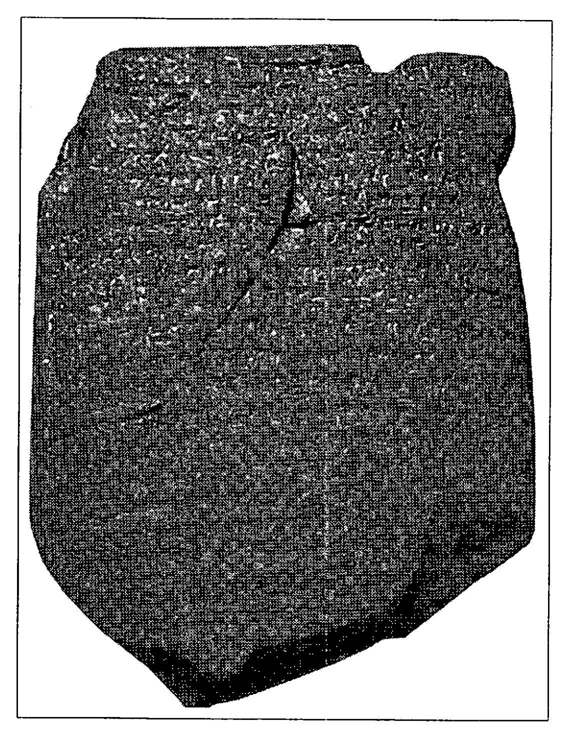
ورد اسم كركميش في نقوش نبوخذنصر[٢]، ومنها هذا النقش[٣]:

*[Obv.1] In the twenty-first year [605604/] the king of Akkad **[Nabopolassar]** stayed in his own land, **Nebuchadnezzar** his eldest son, the crown-prince,*
*[Obv.2] mustered the Babylonian army and took command of his troops; he marched to **Karchemiš** which is on the bank of **the Euphrates**,*
*[Obv.3] and crossed the river to go against the **Egyptian** army which lay **in Karchemiš**.*
*[Obv.4] They fought with each other and the **Egyptian army** withdrew before him.*

الترجمة للعربية[٤]:

في السنة الواحدة والعشرين (٦٠٥/ ٦٠٤ ق.م) بقي ملك أكاد (نبوخذنصر *Nabopolassar*) في أرضه. وقد كلف نبوخذنصر (*Nebuchadnezzar*) ابنه الأكبر، وولي عهده حشد الجيش البابلي وتولى قيادة قواته وسار إلى (كركميش- كرشميس *Karshemis*) الواقعة على ضفة (الفرث *Euphorates*) ثم عبر النهر لمواجهة جيش مصرن (الجيش المصري ***the Egyptian army***) - المتمركز -

في *Karshemis* وتقاتلا حتى انسحب (جيش مصرن ـ الجيش المصري) أمامه.



صورة نقش نبوخذنصر عن معركة كركميش

من سياق هذا المقتطف، نلاحظ أن نبوخذنصر سجل اسم المكان الذي وقعت في معركة كركميش ـ كرشميس، لكنه لم يسجل اسم **الملك المصري**؟ لقد افترض التوراتيون واللاهوتيون من علماء الآثار الإنكليز، أنَّ هذا الملك يدعى (**نيخو الثاني**)، مستدلين بنص توراتي هو مقاطع من قصيدة دينية كتبها **أشعيا الكاهن** ـ النبي! وهذا عمل مخالف للعلم بكل المقاييس، لأنَّ مصر البلد ـ الإقليم لا تعرف في تاريخها اسم هذا الملك؟ ما الذي استند إليه علماء

الآثار (لاختراع) ملك مصري مهزوم يدعى نيخو الثاني؟ لدينا ما يمكن اعتباره أفضل وصف قديم لأرض معركة كركميش، واسم الملك المصري المزعوم. إنه الوصف المذهل الذي تتضمنه قصيدة إشعيا النبيّ (إشعيا النبي ישעיה النص العبري: ١٠ : ١٧ : ٣٣ والنص العربي: ١٠ : ٢٧: ١١). لقد ترك لنا **إشعيا** في إحدى مراثيه وصفاً دقيقاً، للطريق المؤدية إلى **مرج الكامس** (مكمس ـ مكمش الميم الحميرية أداة تعريف: الكامش). وهذا ما يمكن اعتباره اكتشافاً استثنائياً. ولذا، وقبل الشروع في تقديم وصف مستمد من القصيدة، لابد من بضع أفكار عامة يتعيّن تسجيلها:

أولاً: إنَّ قصيدة إشعيا التي كتبت في خلال الغزو الآشوري لمملكة سبأ (نحو ٦٠٥ق. م) تتضمن تعبيراً شعرياً رائعاً عن الفزع الحقيقي الذي انتاب القبائل اليمنية السبئية والحميرية، أي الشمالية والجنوبية من الصراع المخيف. وهذا ما يمكن تلمسه من الصور التي تفيض بها القصيدة، إذ كانت القبائل تشعر بالهلع الحقيقي، وهي تشاهد جحافل الآشوريين تخترق مدنهم ووديانهم وجبالهم وتفاجئهم في كل مكان. ويبدو أنَّ إحدى الحملات المصرية القديمة التي قادها رمسيس الثاني سلكت الطريق نفسه، بدلالة وجود المواضع نفسها في القوائم المصرية.

ثانياً: إنَّ المواضع والأماكن التي مرّ بها الأشوريون ـ في طريقهم صوب سواحل الحديدة وتعز ـ حيث جبل قدس، ليست مجرد أسماء تتشابه مع أسماء توراتية، أو تتماثل في مبناها مع أسماء في أماكن أخرى. ونحن نتحدث هنا عن بيئة جغرافية متكاملة من الجبال والوديان والمدن والقبائل. ولذلك، لا ينبغي تحت أيِّ اعتبار غير علمي استخدام هذه الحجة الساذجة، والقول

إنه مجرد تشابه في الأسماء، فالمسألة برمتها أبعد ما تكون عن مجرد تماثل وتطابق أو تكرار في الأسماء.

ثالثاً: إنَّ مقاربة جديدة بين أسماء المواضع الواردة في قائمة الكرنك، مع أسماء المواضع كما وردت في نقوش المسند اليمنية، هي الفيصل الوحيد لفضّ النزاع في مسألة التماثل هذه.
ومن نافل القول، الإشارة إلى أنَّ العمل العلمي يتطلب مثل هذه المقاربة الجديدة، للبرهنة على أنَّ ما يبدو مجرد تماثل لغوي، هو في الحقيقة تطابق جغرافي تامّ، وإلا فكيف نفسّر وجود الأسماء نفسها في نقوش المسند؟ وما علاقة القبائل اليمنية بحملات المصريين لو لم تكن موجهة صوب بلادها؟

رابعاً: إنَّ استخدام النص التوراتي والعودة إليه، ليس أمراً خاطئاً بحدّ ذاته، كما قد يتوهم البعض بذريعة أنَّ النصّ يتضمن قصصاً أو أساطير. هذه النظرة السطحية للنص التوراتي، هي الوجه الآخر للقراءة الاستشراقية. ولذلك، لابد من التنبيه إلى أهمية تقديم قراءة جديدة لهذا النص، بوصفه نصّاً دينياً عربياً قديماً. ونحن نعلم حتى من تجارب المستشرقين الألمان العظام مثل **نولدكه**(٥)، كيف أننا يمكن في ظل غياب أيّ وثائق صحيحة، أن نستخلص التواريخ المهمة من أشعار الجاهليين؟

خامساً: إنَّ ما يسمى الشعر العبري في التوراة، هو برأينا شعر جاهلي ضائع، كتب بلهجات القبائل. ولأنَّ الشعر القديم هو شعر أماكن ومواضع (وهذه هي ميزة الشعر الجاهلي)، فإنَّ تقاليد تسجيل أسماء المواضع، ستبدو أكثر من مجرد ظاهرة ثقافية. وفي هذا السياق، ستبدو قصائد إشعيا وإرميا وحسقيال ـ حزقيال، وكأنها كانت تفتتح حقبة التقاليد الراسخة في

تسجيل أسماء الأماكن. فهي تعجّ بأسماء مئات المواضع وتتغنى بها، تماماً كما في الشعر الجاهلي. ولعل الاكتشاف المثير الذي خرج به منذ سنوات عالم الآثار اليمني د. يوسف عبدالله[٦]، حين عثر على قصيدة جاهلية مقفّاة تماماً كما في الشعر الجاهلي مكتوبة بخط المسند، وتتضمن تراكيب وتعبيرات شعرية غير مألوفة، من شأنه أن يغيّر نظرتنا كلياً إلى الشعر العبري. هذه الملاحظات التمهيدية قد تكون ضرورية لإعادة تركيب المضمون الحقيقي لاستخدام الشعر القديم في الاستدلال على الأماكن.

حول اسم المعركة

دعونا أولاً، قبل كل شيء، نحدّد إطاراً مفهومياً تاريخياً لاسم المعركة: معركة كركميش. وهل تعرف الجغرافية اليمنية هذا المكان؟ هاكم النصّ العبري:

إشعيا: **ישעיה27:29** :

מעל צוארך

וחבל- על -מפני-שמן

באעל—עית-

עבר- במגרון- **למכמש**

יפקיד- כליו- אשלש אולעברו

מ-עבר- הגבע- מלון- לנוחרד-

سأكتفي هنا بترجمة المقطع الذي يهمنا في هذا التحليل (النص العبري بالحرف العربي)

م-عل صئرك- **מ-על-צוארך**

وحبل ـ عل ـ م ـ فني ـ سمن **וחבל-על-מ-פני-שמן**
ب ء ـ عل ـ عيت **בא-על-עית**
عبر ـ ب ـ مجرون ـ ل ـ مكمس **עבר-ב-מגרון-ל-מכמש**
يفقيد ـ كليو ـ شلشه ـ عبروا **יפקיד-בליו-עברו**
م ـ عبره ـ جبع ـ ملون ـ لنو ـ نحرد ـ **מעברה-גבע-מלון-לנו-חרדה**

الترجمة إلى العربية:
صعدوا من أعالي ظهرك[٧]
من حبل
ومن الأعالي أمام سمن
جاءوا من عيت
وعبروا مجرون
إلى كلّ أشراف مكمس (كركميش)
عبروا ثلاثا من (عبرى)
وجبع وملون[٨] ومن حرده

لدينا في هذه الخريطة الشعرية أسماء سلسلة من المواضع التي تؤدي إلى كركميش (مرج الكامس، كر ـ كمس)، وهي برأينا ثلاثة أماكن تحمل الاسم نفسه في محافظة الحديدة: مديرية الزهرة، عزلةالخشم، قرية الجازع **محلة كمس الشرقية**. كذلك توجد في المديرية نفسها محلة أخرى بالاسم نفسه: مديرية الزهرة، عزلة الخشم، قرية الجازع، **محلة كمس الشمالية**. وهناك **كمس** جنوبية في المكان نفسه: مديرية الزهرة، عزلة الخشم، قرية الجازع، **محلة كمس الجنوبية**. فضلاً عن ذلك، هناك كمس أخرى

في محافظة المحويت. ومعلوم أنَّ جغرافية المحويت تبدو للناظر من بعيد، سلسلة من المروج والسهوب الخضراء. تقع محافظة المحويت إلى الجنوب الغربي للعاصمة صنعاء، وتبعد عنها بنحو (١١٣ كلم)، وهي منطقة صخرية مرتفعة وواسعة لها مظهر يتشكّل من سلاسل جبلية وهضاب صخرية لعدد من الجبال المرتفعة، وتتوزع تضاريسها بين جبال عالية تكسوها المدرجات الزراعية، ووديان عميقة وواسعة على ضفافها المناظر الطبيعية الخلابة.

وقبل أن أشرع في تحليل النص، أودّ الإشارة إلى أنَّ اسم **كموس ـ كامس** ورد في النقش المعروف خطأً باسم **نقش ميشع**[٩] في الصورة الآتية: (أنا ميشع بن كموش ملك مؤاب الدبياني)، بما يعني أنَّ كامس اسم إله (معبود) يمني قديم، انتسب إليه ميشع ـ اليشع، وصار موضعاً من المواضع في جبل ديبان ـ ديبون، كما تسمى حتى اليوم (تماماً كما في التوراة). وهؤلاء يعيشون ضمن قبيلة أرحب التي تقع أراضيها شمال صنعاء، بين جبال نهم شرقاً وجبال عيال يزيد غرباً، وهي قسمان: **زهيري وذيباني**. أما أهمّ **قبائل ذيبان**، فهي عيال سحيم ـ سحم في التوراة. لقد أقامت ذيبون ذات يوم في مدينة كانط ـ كانط في التوراة والنقوش المصرية (وتتبع اليوم من الناحية الإدارية لمحافظة تعز)، حيث أُقيمت المعابد هناك، مثلها مثل غيرها من المدن اليمنية القديمة. لقد اعتبرت كانط قديماً منطقة مقدسة بفضل المعابد التي وجدت فيها.

كل هذه المواضع ستدلّنا على الطريق الذي سلكته الحملة المصرية[١٠]، فهم ـ مثل الآشوريين ـ عبروا وادي وجبل ضهر ـ هكذا يرسم اسمه اليمنيون ـ

شمال غرب صنعاء، متجهين صوب الساحل للسيطرة عليه (ما يدعى اليوم محافظة الحديدة).

وكموس ـ كمس من قرى محافظة المحويت في مديرية الخبت، حيث يوجد حتى اليوم موضع يعرف باسم (كمس) ضمن عزلة الشعافل السفلى الجبلية، ويتبع قرية العرجين. ها هنا محلة كمس في الامتداد الجغرافي لصنعاء القديمة التي تتلاصق حدودها الإدارية مع محافظة المحويت.

ومديرية الخبت حيث توجد (كمس) تتصل بمحافظة الحديدة على الساحل. ولكل ذلك، نرى أنَّ المعركة دارت في الفضاء الجغرافي **لصنعاء ـ المحويت** وصولاً إلى الساحل، حيث **مرج كامس** هو ميدان الحرب. أما **جبل ووادي ضهر** ـ هكذا يرسم اليمنيون القدماء والمعاصرون اسمه[١١]ـ فيبعد عن العاصمة بنحو (١٤ كلم) تقريباً، وهو وادٍ كبير اشتهر منذ عصور ما قبل التاريخ، وتشهد على ذلك المخربشات الصخرية التي تنتشر على صخوره. وأول ذكر لوادي ضهر كان في القرن السابع قبل الميلاد، أي قبل كتابة التوراة بقرنين على الأقل في نقش النصر[١٢] الذي دونه كرب إل وتر بن ذمر علي ـ مكرب سبأ، حيث ذكر أنَّ الوادي كان يقع ضمن ممتلكات **ملك نشن**، وهي اليوم تدعى مدينة السوداء في الجوف، أي ضمن مملكة معين مصرن.

لقد استولى الآشوريون ـ خلال الحملة ـ على مقاطعة تدعى حبل (وفي التوراة استولى داود على حبل؟). هاكم اسم الوادي: محافظة الحديدة، مديرية الحجيلة، عزلة القطعة السفلى، قرية **الحبل**. وكانوا قد استولوا في معارك المحويت على مقاطعة تدعى (سمن). هاكم سمن: محافظة المحويت، مديرية ملحان، عزلة بني علي، قرية الحرق، محلة **سيل السمن**

(أي وادي سمن) هذا هو مسرح المعركة، وها هنا بقية المواضع بحسب التسلسل. أما عبرى ـ العبر، فهي في محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة الموادم، قرية العدوف، حيث نجد هناك موضعاً يدعى محلة العبر. وها هنا مجرون (الجرون: الميم أداة تعريف قديمة): محافظة تعز، مديرية ماوية، عزلة إصرار، قرية الدهنة، محلة حبيل أجرون. وهاكم أخيراً اسم نحرد: محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة بني بكاري، قرية المقادحه، محلة الحرد.

وسيتأكد لنا صدق هذا التسلسل، حين نعلم تالياً أنَّ نيخو ـ نخو الملك المصري المزعوم، كان في منطقة جبلية تدعى (شعب فرث ـ الفرات في الترجمة). وهاكم اسم الموضع: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الشعاور، قرية الأوهار، محلة شعب فرث.

إنَّ مروية التوراة لهذا الحدث الهلعي الذي ارتجّت له أركان العالم القديم، أصبحت هي الوثيقة الوحيدة التي نملكها، بفضل دقة تسجيلها للوقائع. بيد أنَّ هذه المروية لم تصلنا كسردية تاريخية، بل كقصيدة رائعة. نخلص من هذا العرض إلى الآتي: دارت معركة مرج كامس (كر ـ كميش) في فضاء جغرافي معلوم يضمّ أطراف صنعاء مع المحويت. لكنها لم تقع بين نبوخذنصر والمصريين، بل بين قبائل مصرن في الجوف ونبوخذنصر.

نيخو الثاني شخصية وهمية

في هذا الإطار، لدينا وثيقة أخرى مهمة، هي مرثية إرميا النبيّ[١٣] التي رثى فيها قتلى المعارك وضحاياها. وبذلك، تصبح لدينا شهادة إضافية، يمكن أن تدعم ما لدينا من تصورات مستمدّة في الأصل من مرثية إشعيا. وإشعيا وأرميا، هما كاهنان يهوديان ـ شاعران عاشا في عصر واحد. ومن المؤسف أنَّ القراءة المخيالية شوّهت المرثية، وتلاعبت في مضمونها وتعمّدت وضع التاريخ مرة أخرى في السلة الفلسطينية دون وجه حق، لتصبح فلسطين وسورية مسرحاً لحروب لا يعرف التاريخ المكتوب عنها أي شيء. ويتعيّن عليّ قبل الشروع في تقديم ملخص لهذه المعركة، أن أتوقف عند بعض الملاحظات الضرورية، لتعميق الفهم التاريخي بهذا الحدث.

أولاً: برأينا، يجب أن يُقرأ اسم كركميش بصورة أدقّ في صورة **كركميس**، فهذه هي التهجئة الصحيحة للاسم في العبرية.

ثانياً: إنَّ الاسم مركب من كلمتين كر ـ كمس، وليس من مقطع واحد كما توهم علماء الآثار ومحقّقو التوراة وكتّاب التاريخ من التيار التقليدي.

ثالثاً: تعني كلمة (كر) في العبرية: مرج. أما كامس، فهي اسم موضع يدعى الكامس، كما بينّا في الصفحات السابقة. ولذا، فاسم المعركة هو(**معركة مرج الكامس**).

رابعاً: وإنَّ صيغة **الاسم فرعه פרעה** التي تترجم في هذا النصّ بصورة **فرعون**، تبدو مختلفة مع صيغة **برعو** التي ترجمت إلى (**فرعون**) أيضاً، كما رأينا من مسألة برعو ملك مصر. هذا يعني أنَّ الصيغة السابقة (برعو) كانت تلفيقاً استشراقياً، وأنَّ الصيغة المقبولة مبدئياً هي **فرعه פרעה**.

خامساً: يجب أن يكون واضحاً أنَّ نظرية هذا الكتاب (المجلدين) تقوم على أساس أنَّ مملكة الشمال (مملكة بني إسرائيل)، ليست أكثر من مخلاف (مملكة صغيرة من بضعة جبال) نشأ في إطار مملكة سبأ الشمالية، شأنه شأن المخاليف الأخرى التي أسّستها القبائل وتجاوز عددها ٨٣ مخلافاً ـ مملكة صغيرة، وأنَّ هذا المخلاف نسب إلى نفسه كل تاريخ مملكة سبأ وحروبها، وأنَّ ما يُدعى مملكة الجنوب، أي (يهوذا) ليس سوى مملكة دينية صغيرة أخرى، عاشت ضمن مملكة أكبر هي (مملكة حمير) الجنوبية. ولذلك، عرفت حمير تاريخياً بأنها يهودية. لقد نشأت (يهوذه ـ يهوده) في تعز وامتدت جنوباً، ونسبت إلى نفسها إرث الحروب والمعارك والأخبار التاريخية، التي تخصّ القبائل السبئية المهزومة والحميرية المنتصرة على حدّ سواء. وما يؤكد صحة هذه النظرية، أنَّ النقوش السبئية والحميرية عن المدن والقرى والجبال التي سقطت خلال المعارك، هي ذاتها المدن والقرى والجبال في النص التوراتي. وهذا يعني أنَّ التوراة سجلت تراث **السبئيين والحميريين**، بوصفه تراث **بني إسرائيل**، وهذا سلوك مفهوم، فالتقاليد الدينية تسمح

بإعادة تنسيب التاريخ من منظور ديني. وهاكم مختصراً عن المعركة التي دارت في اليمن (وسوف نقدم في الكتب اللاحقة شرحاً مسهباً وتفاصيل تاريخية لا مكان لها هنا عن سقوط مملكة الجوف وسيطرة قبائل سبأ ثم انهيار مملكة سبأ وصعود دور الحميريين).

في عام ٦٠٥ق.م شنت القبائل المعينية (المصرية) التي انهارت مملكتها القديمة (معين مصرن) سلسلة هجمات، استهدفت القضاء على مملكة حمير، وتمكنت من إسقاط المخلاف الديني ـ المملكة الدينية اليهودية المسماة (يهوذه). وبالطبع، فقد كان الطابع الديني للحروب لايزال واضحاً، فقد واصل المعينيون رفضهم عبادة يهوه، وظلوا متمسكين بعبادة إلههم (ود). وهذا، كما قلنا مراراً، مغزى الآية القرآنية **(وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) أي لا تتركوا إلهكم ودّ**. وبعد تعرض مملكة ـ مخلاف يهوذه جنوب غرب تعز وعدن إلى هجمات المعينيين المصريين، ثم مع دحر الهجوم الآشوري إثر معركة هر ـ مجدو (ساحل وجبل بني مجيد)، وقعت معركة مرج الكامس، ولكن بين ملك مصرن ـ ويدعى نيخو ـ نخو، ونبوخذنصر ملك بابل.

في هذا الوقت، وحين شاهد الآشوريون أنَّ مملكة يهوذا الدينية الصغيرة التي ظهرت ضمن مملكة حمير الجنوبية، توشك على السقوط، وباتت المملكة نفسها مهددة بالسقوط، وقد تصبح من جديد تحت سيطرة قبائل الجوف، قرروا القيام بتحضيرات واسعة لهجوم ساحق بقيادة نبوخذنصر بن نبو بلاسر، وذلك لدحر القبائل المهاجمة. كان نبوخذنصر ـ في هذه الآونة ـ قائداً عسكرياً شجاعاً ومرموقاً، يعمل تحت إمرة والده الملك نبو بلاسر.

وعلى الطرف الآخر، كان هناك ملك مقاطعة تابعة لمملكة مصرن، يدعى في الدراسات التوراتية (ملك نخو). وكما قلنا، فقد استنتج الدارسون أنَّ هذا هو اسمه، فقط بفضل إشارة وردت في سفر اشعيا. كان (نخو) المزعوم يقود المعركة الدفاعية بنفسه. لقد حدثت أكبر وأعنف المواجهات بين المعينيين المصريين والآشوريين في مرج الكامس (كر ـ كمش). وهذا المكان تخيّله بعض محقّقي التوراة، وهم يفتشون عن حل للغز الاسم، جرابلس اللبنانية ـ السورية، وذلك في سياق التلاعب بالوقائع التاريخية، علماً أنَّ اسم جرابلس لا يتضمن من المنظور الفونيطيقي، أي عنصر من مادة كر ـ كميش. ونعيد التأكيد ـ هنا ـ أنَّ المقصود من الاسم كر ـ كميس، إنما هو مرج الكامس، بما أنّ (كر) العبرية تعني مرج. إنَّ ما يُدعى في المؤلفات التاريخية معركة كركميس ـ كركميش، التي أثارت جدلاً واسعاً ولغطاً لا معنى له، يصبح نموذجاً للتلفيق، لأنَّ كتّاب التاريخ لم يلاحظوا أنَّ المقصود بالضبط مرج الكامس، وهذا تقليد قديم عند القبائل في نسبة المعارك إلى الأماكن، وهي تسمّي معاركها بأسماء مواضع بعينها (مثلاً معركة مرج عامر، مرج دابق إلخ...). انتهت معركة مرج الكامس بمذبحة للطرفين، ولكنّ الذعر دبّ في قلوب جنود معين مصرن (المصريين)، فولّوا هاربين من الميدان، وكان بوسع نبوخذنصر مطاردة فلولهم في الجبال، لولا أنَّ نبأ وفاة والده الملك جاء ليضع حداً للحرب(١٤).

وفي هذا الصدد يسجل نبوخذنصر في النقش الخاص بهذه المعركة كيف هرب (الملك المصري) أمامه:

٦: والذي فرَّ مسرعاً من وجه الهزيمة، أسرع من أن يطالهم أي سلاح، في منطقة (الحمث *Hamath*).

٧: فقد لحقت بهم الفرق البابلية وهزمتهم، حتى أن أحداً منهم لم يتمكن من الهرب إلى بلاده.
٨: وفي تلك الفترة غزا نبوخذنصر كل منطقة (الحمث *Hamath*).

إثر انتشار أنباء هزيمة ملك (مصرن) أمام نبوخذنصر، دبّ الذعر في صفوف قبائل الجوف. سوف يطلب أرميا من سائر القبائل الشمالية والجنوبية، وفقط بوصفه شاعراً وكاهناً (نبيّاً) ينتمي إلى قبيلة سبأ المعادية، لسطوة مملكة معين مصرن في الجوف، ولكن المتحالفة قديماً مع الحميريين، أن تقاتل الغزو الآشوري، ولكن من دون أن تنسى قتال قبائل الجوف المتسلطة على رقاب السبئيين والحميريين.

أي أن لا تكتفي بقتال الغزاة؛ بل أن تتخذ موقفاً حازماً من ملوك مصرن، لأنَّ سلطانهم لن يدوم طويلاً. سيقول إرميا صراحة: «ثم قولوا لفرعة ملك مصر، الزمان يدور». ويبدو أنَّ هذا الموقف هو الذي دفع المعينيين المصريين إلى اتهامه بالارتباط بالآشوريين، وأدى إلى سجنه والتشهير به. إنَّ قصيدة إرميا توفّر للباحث في التاريخ القديم، فرصة ثمينة لتفكيك الصيغ المتنوعة التي يظهر فيها الاسم، مصريم מצרים، ومشفحت ـ ها ـ مصريم משף-חת-המצרים ومصري מצרי. وهذا ما سوف يستدعي بالضرورة العودة إلى النصّ التوراتي. سأقوم في هذا الجزء من الفصل بتفكيك لغز مصريم، من زاوية أخرى بهدف فضّ الاشتباك الدلالي نهائياً مع اسم مصر الإقليم.

يروي سِفر إرميا صوراً مدهشة عن طبيعة المعركة التي دارت في مرج الكامس. وسنكتفي بجزء صغير من النص، لإيضاح الفكرة، وليلاحظ القارئ **القافية العبرية ـ بالخط الأسود** ـ(الإصحاح: ٤٦النص العبري: ٤٥: ٤: ٤٦: ١٠):

אשר-היה-דבר-ירמיה-ה-נביאה-על-ה-גוים-ל-**מצרים**

ءشر ـ هيه ـ دبر ـ يهوه ـ ءل ـ يرميه ـ ها ـ نبيئه ـ عل ـ ها ـ جويم ـ ل ـ مصريم ـ

-על-חיל-פרעה-נבו-מלך-**מצרים**

عل ـ حيل ـ فرعه ـ نكو ـ ملك ـ مصريم(١٥) ـ

-אשר-היה-על-**נהר**

ءشر ـ هيه ـ عل ـ نهر

-פרת-בכר-כמיש-**אשר**

فرت ـ ب ـ كر ـ كميش ـ ءشر ـ

-הכה-נבוכדנסר

هكه ـ نبوكدر ـ نصر

-מלך-בבל-ב-שנת-ה-רבעית-ל-**יהוקים**

ملك ـ ببل ـ ب ـ شنة ـ ها ـ ربيعيت ـ ل ـ يهويقيم ـ

בן-**ינשיה**

بن ـ ينشيه

-מלך-יהודה-ערבו-מגנה-**וסנה**

ملك ـ يهوده ـ عركو ـ مجنه ـ و ـ صنه

-ונשו-ל-**מלחמה**

ونشو ـ ل ـ ملحمه

-אצרו-ה-**שושים**

ءصرو ـ ها ـ سوسيم

ועלה-**פרשים**

وعله_ها_فرشيم

-וה-תיצבו-ב-כובעים

وها_تيصبو_ب_كوبعيم

ה-גיו-במצרים

ها_جيدو_ب_مصريم

وهنا ترجمتي للنص، التي تختلف كلياً عن الترجمة السائدة في التوراة العربية مع تبيان الأخطاء التي ارتكبها المترجمون:

تلك هي كلمة الرب إلى إرميا النبيّ على الأمم وعلى **مصريم**

وعلى جيش **فرعة نكو**(١٦) **ملك مصريم**

الذي كان على **مسيل فراة**

وفي **مرج كامس** الذي ضربه **نبوخذنصر**

ملك بابل في السنة الرابعة من **حكم يهوياقيم**

بن يوشيه ملك يهوذه:

المجنَ والرماحَ للقتال **أعدّوا**

والخيولَ **اجمعوا**

وسروجَها **فاعتلوا**

بخوذاتكم في_ديار_**المصريين**

والمدهش أنَّ نبوخذنصر يسجل اسم **الملك اليهودي يهوقيم الذي جرت المعركة خلال حقبة حكمه**. يقول النقش إنَّ نبوخذنصر:

١٢: حاصر مدينة (يهوذا *Judah*)، وفي اليوم الثاني من شهر (*Addaru*) [شباط / آذار ٥٩٧] استولى على المدينة وأسر الملك **يهوقيم** [***Jehoiachin***].

١٣: وعين ملكاً اختاره هو [عم يهوقيم *Jehoiachin* واسمه متنيا *Mattaniah* ليصبح ملكاً على يهوذا *Judah* وغيّر اسمه إلى [*Zedekiah* صدقيا]، وأخذ منه جزية كبيرة وأرسلها إلى بابل.
١٤: في السنة الثامنة [٥٩٧/ ٥٩٦] في شهر *Tebetu* [شتاء ٥٩٧/ ٥٩٦] سار ملك أكاد إلى أرض (حتت *Hatti*) حتى بلغ **كركميس** (*Karchemis*).

يكشف نقش نبوخذنصر، كما تكشف مرثية ارميا، لا عن التطابق التّام في الوقائع الخاصة بالغزو، بل وكيفية (تلاعب) كتّاب التاريخ وعلماء التوراة الذين (اخترعوا) اسم فرعون مصري استناداً إلى هذه الإشارة الوحيدة: (وعلى جيش فرعة نكو)؟

ثم تفنّنوا في تصويره على أنه نيخو الثاني، ووضعوا له تاريخاً مستمداً من واقعة الغزو الآشوري ٦١٠ ق.م. ويبدو أنَّ هؤلاء وجدوا في اسم مصر، مبرراً كافياً لهذا التصوّر الزائف. لكن قراءة نزيهة ومغايرة، ستكشف بجلاء أنَّ هذا النداء الحارّ المُوجَّه من إرميا إلى القبائل، ينطوي على رؤية ببصيرة نفاذة، لمخاطر الرهان على مملكة معين مصر لطرد النفوذ الآشوري من الساحل. بيد أن القبائل المتخاصمة والمتقاتلة، سرعان ما توحّدت في جبهة واحدة لمواجهة الآشوريين. وهذا سلوك تقليدي محكوم بروح العصبية القبلية، التي تقرّر وتحدّد رهاناتها ومواقفها. كان إرميا طوال حقبة التوتر، ثم الصراع مع الآشوريين التي سبّبتها السياسة الطائشة للكهنة في بلاد اليهودية، جنوب غرب تعز وعدن، يدعو من دون كلل إلى التعقل، وإلى فحص عواقب هذا التمرد ومخاطره وانتهاج سياسة أكثر تبصراً بحقائق الأمور، والاحتراس من تقديم تقديرات سيئة بشأن حقيقة المصاعب

السياسية والعسكرية التي كانت تواجهها الإمبراطورية الآشورية. وفي هذه القصيدة يصوّر **إرميا** ويحدّد المواضع التي نشب فيها القتال، داعياً القبائل إلى الاستبسال دفاعاً عن وجودها. من الواضح أنَّ **إرميا يريد من اسم مصريم** في بعض المقاطع، **قبائل الجوف** كلها، وذلك مغزى قوله (جولوا أخبروا في ديار ـ **المصريين**)، إذ من غير المنطقي أن يطلب الشاعر من القبائل أن تجول في **مصر الإقليم**، لو كان يقصد مصر البلد العربي، بينما جيشها يدكّ **أورشليم**!

وهذا ما يعيد تذكيرنا بتعبير (**كل مصر**) في النقوش التي عالجناها سابقاً. إنه يقصد كل ـ **قبائل مصر** ـ أي كل قبائل منطقة الجوف اليمني. والنصوص **الآشورية تؤكد أنَّ الجيش الآشوري اصطدم** مع قبيلة أد ـ بئيل، وأنه نصَّب أحد شيوخها في النهاية وبعد استسلام القبيلة، ملكاً على **مصر** (أي ملكاً على معين مصرن) في الجوف. وهذا مغزى قول نقش تجلات بلاسر الثالث، إنه عيّن رجلاً من قبيلة أد ـ بئيل زعيماً على (مصري ـ مصريم). وبعض أسفار التوراة، كما رأينا، تسمي مصريم (مشفحت ـ ها ـ مصريم) أي: عشائر المصريين (المعينيين). وكل هذا يعني أنَّ صيغة مصريم تختلف دلالياً عن صيغة مشحفت مصريم، لأنَّ الأولى تنصرف إلى الإشارة للجوف ـ المملكة (مصرن)، والثانية تنصرف إلى الدلالة على العشائر (مشفحت ـ عشيرة باللغة العبرية). لقد كان إرميا الكاهن والنبي ـ الشاعر السبئي، توّاقاً إلى سياسات متعقلة تجنّب أورشليم الدمار المتتابع، والمتوالي بفعل الرهانات الانتهازية للكهنة اليهود، ولكن آماله سرعان ما انهارت مع تصاعد هيمنتهم على مقدرات الأمور. وسنرى كيف انتهت حياته نهاية محزنة حين اعتُقل واتُّهم بالعمالة للآشوريين. وهكذا، ففي عام ٥٧٠ ق. م نظمت

مملكة معين مصرن، بقيادة أحد فرسانها (يسميه علماء الآثار ضابطاً) هو حوفره ـ ابريز ـ البريز (٥٨٩-٥٧٠ ق. م) هجوماً جديداً وتمكنت فيه من السيطرة على وادي صيد ـ صيدا.

وهو ما اضطر الحاميات الآشورية إلى إخلاء مواضعها والانسحاب من أورشليم. وهاكم اسم ملك منطقة حوفرة (الذي حوّله المحقّقون إلى اسم ضابط)، فيما هو اسم الموضع الذي يحكمه زعيم قبلي ـ فارس من فرسان جبل حوفرة ولقبه البريز أوالمبرّز: محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة بني يوسف، قرية الشرف، محلة الحفير (حوفير بالنطق العبري، وكنتُ قد أشرت في الملاحظات اللغوية ـ الكتاب الأول ـ إلى قاعدة التذكير والتأنيث حوفرة حوفر). وعندئذٍ هبّت القبائل المناوئة لبابل، للاستيلاء على مقدرات الأمور فيها ونهبها. ووادي صيد هذا نجده اليوم في محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة العارضة، قرية العقائر، محلة صيد. كان إرميا في قصائده، أكثر تحفظاً من جميع الساسة ورجال الدين من القبائل، فلم يسارع إلى تأييد أيّ حرب، ولم يُبدِ أيّ قدر من الانحياز، أو الحماسة وتأييد دعوات الحرب التي كانت تسمع بقوة في أورشليم بفعل تشجيع الكهنة، بل على العكس من ذلك، تنبأ بوقوع كوارث جديدة مع كل معركة. ولكنه في المقابل، لم يتردد في توجيه الدعوات الحارة إلى قتال الآشوريين دفاعاً عن النفس. وهذا ما حدث بالفعل، فقد سارع نبوخذنصر في أعقاب هذه الحملة مباشرة إلى إرسال جيش قوي لمحاصرة أورشليم. وعلى امتداد ثمانية عشر شهراً، كانت المدينة تنهار من الجوع والخراب. وفي النهاية، فرّ المعينيون (المصريون)، تاركين المدينة المقدسة لقدرها المحتوم، حيث الجوع والدمار. وبكل تأكيد، فقد فرّ هؤلاء من مدينة لا يقيمون لها أيّ اعتبار أو قدسية دينية، لأنهم كانوا وثنيين.

ونحن نجد صيغة من اسم إرميا في محافظة تعز، مديرية المخاء، عزلة الزهارى، قرية الزهارى، محلة الرمة). في هذا الوقت كتب النبي حزقيال[١٧] (وكان معاصراً لإرميا وعاش الأحداث) مرثيته الرائعة عن سقوط صور اليمن القديم. ما يلفت الانتباه في مرثية صور، أن النبيّ حزقيال يذكر اسم مصر في صورة مصريم، دون حرف الهاء العبري (هـ ـ مصريم). وهذه صيغة مختلفة عن الصيغ الأخرى، مصر، مصري، مشفحت ـ ها ـ مصريم، ملك مصري إلخ. ولمّا كان حزقيال معاصراً للنبيّ إرميا، وهما عاشا سويّة الأحداث المأسوية ذاتها في خلال الاجتياح الآشوري، فإن قصيدته التي يذكر فيها اسم مصر، يجب أن تكون ـ في هذه الحالة ـ مهتمّة بإبراز حدث من قبيل سقوط مدينة صور الجميلة. لكننا نجده يتحدث عن مصريم في مقطع عن تجارة مزدهرة في الميناء، كانت فيها (مصريم) طرفاً رئيساً، سوية مع سبأ؟ وهذا ما يؤكد لنا مرة أخرى، أنَّ صيغة مصريم تنصرف إلى وصف التجار المعينيين في صور، وهو وصف مسهب تقدمه القصيدة، مع ذكر أسماء القبائل. ولو افترضنا أنه يقصد مصر الإقليم، فعلينا أن نبرهن على أنَّ مصر كانت تتاجر مع صور اللبنانية، وأنها سقطت في قبضتهم. وهذا ما لا أساس له في التاريخ، وهل يمكن تخيّل الشاعر النبي ـ في لحظات المأساة واجتياح القوات المصرية ـ وهو يتحدث عن تزيين المصريين ميناء صور اللبناني بأشرعة قرمزية؟ ألا يعني هذا أنَّ مصريم هنا تنصرف إلى معنى آخر؟ من المؤكد أنَّ النبيّ ـ الشاعر يريد من الاسم مصرم ـ مصرن (والميم والنون تتبادلان الوظيفة، فهما أداتا تعريف منقرضة) وليس مصر الإقليم، لأنها لم تعرف بصناعة الأرجوان القرمزي. ولكن ثمة جماعة قبلية أخرى[١٨] تُعرَف تاريخياً بصناعة الأرجوان القرمزي، وقد أشارت إليها

التوراة في أكثر من موضع، بوصفها (من أرض كنعن ـ كنعان). ولمّا كان كنعن اسم معبود قديم ذكرته النقوش المعينية، وورد فيها بأشكال مختلفة، فمن المؤكد أن ما يُدعى (الكنعانيين) هو تلفيق استشراقي للتغطية على الحقيقة التاريخية والتلاعب بها، لأنَّ المعينيين اليمنيين هم من ذكر اسم كنعن في نقوشهم، كاسم إله واسم (لغة ـ شفة، لسان) ولا وجود لأيّ نقش فلسطيني يذكر اسم كنعان. إنَّ الأكذوبة الفظيعة التي مرّرها علماء التاريخ والآثار، بزعمهم أنَّ الفلسطينيين (كنعانيون) لا أساس لها أبداً، لأنَّ التوراة أطلقت هذا اللقب الاسم على جماعة دينية في الجوف اليمني. وبالطبع، ليس من الإنصاف التاريخي تغليب اسم إله الجماعة على الاسم الأصلي لها.

والمثير للدهشة أنَّ التوراة تذكر أرض مصر بالتلازم مع أرض كنعن: تك/ ٤٧:١٣ : בארצ-מצרים-וארצ-בנען: والترجمة الدقيقة هي (في أرض مصريم وأرض كنعان). فما علاقة الفلسطينيين بكنعان؟ ولماذا أُطلِق هذا الاسم ـ اللقب المخادع عليهم؟ برأينا يجب اعتبار هذا التوصيف دليلاً لغوياً وجغرافياً على أنَّ المقصود هذه الجماعة القبلية: معين ـ مصرن التي دوّنت في نقوشها اسم إلهها كنعن، وعرفت به. ويبدو أنَّ إشارة حزقيال إلى صناعتهم التي اشتهروا بها وإلى تجارتهم مع صور، قُصد بها أنهم عُرفوا بهذا الاسم. إنَّ وجود اسم (قرن ـ قرنو) في القصيدة، وهي (قرنو) عاصمة المعينيين، يؤكد أن مقاصد النص التوراتي تنصرف إلى المعينيين ـ المصريين، أشهر تجار الجوف اليمني الذين كانوا يقودون تجارة العالم القديم. ولذا استخدم تعبير (أبناؤك) في وصف الجماعات التي كانت تتاجر في الميناء، وهو يسجل في قصيدته كل البضائع: الجلود والأسلحة والبجاد[١٩]

والدبس والأحجار الكريمة. وإذا ما وضعنا الاسم مصرم ـ مصريم في سياق الأسماء التي تذكرها القصيدة[٢٠]، وهو تسلسل يبدو غريباً وغير مألوف لنا، لأنه يضم عدن وقرن (قرنو) وددن وأوزال (صنعاء القديمة) سوية مع يهوذا وبني إسرائيل، فسيكون المضمون ساطعاً وغير قابل للسجال، فها هنا قصيدة ترثي مدينة محطمة كانت قبائل اليمن تستخدمها كميناء تجاري مزدهر.

هنا مقطع لتوضيح مضمون القصيدة:
وتجارٌ كثرٌ من أييم يشترون
تجار من قرنو ـ وسن وما يجلبون
وعندك الكثير مما تقدمين
الزمرد والأرجوان والأباريق
والتيوس وجرار الطين
يهوذه وأرض إسرائيل كلها تتجرُ معك
بالحنطة من منية والفنج
والدبس والسمن والبيلسَان
ها هنا يهوذا وإسرائيل و(قرنو) عاصمة المعينيين ـ الكنعانيين في الجوف؟

الهوامش

(١) كمثال على شيوع هذا النوع من التصورات المغلوطة عن التاريخ، اهتمام الدارسين العراقيين خصوصاً. انظر مثلاً الدراسة التي كتبها أحمد حبيب سنيد الفتلاوي، العلاقات البابلية ـ المصرية في العصر البابلي الحديث (٦٢٦ ٥٣٩ ق.م) جامعة بابل ـ قسم التاريخ. وهذه دراسة أكاديمية تروِّج لكل الأكاذيب التي يعجّ بها التاريخ الرسمي.

(2) :ABC 5 (Jerusalem Chronicle:http://www.livius.org/sources/content/mesopotamian-chronicles-content/abc-5-jerusalem-chronicle?/

(٣) الترجمة الموجودة في هذا الموقع مأخوذة من أ.ك. غريسون، سجلات آشورية وبابلية عام ١٩٧٥، ومن جان جاك غلاسنر، سجلات بلاد ما بين النهرين (أطلنطة ٢٠٠٤).

(٤) للاطلاع على النص كاملاً، انظر كتاب النقوش ضمن هذين المجلدين.

(٥) نولدكه (١٨٣٦ ١٩٣٠) كبير المستشرقين الألمان.

(٦) يوسف عبد الله، القصيدة الحميرية، مجلة ريدان، العدد ٥، ١٩٨٨.

(٧) تعني صئر في العبرية ظهر (واليمنيون يرسمون اسم الجبل الذي يحمل هذا الاسم في صورة ضهر هكذا يكتبه اليمنيون بما يشير إلى العادات الصوتية القديمة، وطريقة نطق حرف الصاد غير المعجم صهر. وإشعيا هنا يستخدم للتورية تعبير: ضهرك).

(٨) جبعة: محافظة عمران: جبعة (موطن التبغ اليماني) وملون، هي ذاتها موضوع ملو. ويجب هنا ملاحظة النون الكلاعية وكيف تدخل على كل الأسماء تقريباً (ملو ملون).

(٩) برأينا أنَّ اسم ميشع قُرِئ خطأً، والأصحّ أنه اليشع (لأنَّ الميم هنا هي الميم الحميرية مثل: ءم رصاص، ءم سماق، ءم القيوين)، وهي ألف لام منقرضة، تعود إلى حقبة الملوك المكربيين في اليمن (لاحظ مكرب أي الكرب)، وقد حلّت محلها أداة التعريف الأحدث (ءل)، وهو ما نجده في أسماء الملوك السبئيين، ونحن هنا نشير إلى عصرين عاشهما اليمن

في تطوره التاريخي (المكربي والسبئي). ولنا رأي خاص في صحة هذا النقش لجهة المكان الذي وجد فيه، وبرأينا أنه سُرق من أرض اليمن وأُعيد دفنه واكتشافه في الأردن في إطار التلاعب بتاريخ المنطقة، وهذا واضح من أسماء المواضع الواردة في النص، فهي مواضع يمنية لا تزال موجودة، وذكرتها سائر نقوش المسند ولا وجود لها في خريطة بلاد الشام.

(١٠) ورد في هذه القصيدة اسم موضع يدعى رمس، وقد تخيّله الاستشراقيون في صورة (رمسيس)، وشاعت في مؤلفات التاريخ فكرة زائفة دون أدنى دليل من النص نفسه، أنَّ بني إسرائيل أقاموا في هذه المدينة الفرعونية، فيما يتضح أنَّ المقصود به رمس، وهو موضع قبلي في اليمن، ويرسم في العبرية في صورة رمس רמס تماماً، ولا علاقة له بالفراعنة! وأهمية الموضع تكمن في وجود موضع في نطاقه الجغرافي يدعى عمد עמד (الوارد في النص العبري). وهذا أمر يستحيل توقعه على أساس المصادفة. هاكم وصف الهمداني ومحققه لهذه المنازل القبائلية: حَرْيَة قرية دارسة تنتابها البدو الرّحل للإقامة في أطلالها لرعي الأغنام والإبل. وتقع في عُمد من سارع الإكليل ج٢: ٢٥ (والرمَسيون هم بنو رمس).

(١١) طريقة رسم الاسم مماثلة للعبرية (ءرص أرض)، وهذا يعني أنَّ هذه التقاليد تنتمي إلى تقاليد رسم الأسماء في لهجات اليمن.

(١٢) الموسوم بـ*RES.3945* انظر النقش في (كتاب النقوش).

(١٣) الإصحاح: ٤٦ النص العبري: ٤٥ : ٤ : ٤٦ : ١٠، وفي الصفحات التالية سنعود لتحليل القصيدة.

(١٤) مصدر مذكور: *A.K. Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles (1975)*

(١٥) لاحظ أنّ اسم مصريم هنا يرسم في صورة ملك مصريم وليس ملك مصري!

(١٦) زعم كتّاب التاريخ أن نيخو الثاني حكم مصر البلد الإقليم المعروف عام ٦١٠ ق.م. وهذا ما لا أساس له كما سنبيّن. ليس ثمة أيّ وثيقة مصرية تحمل هذا الاسم.

(١٧) وهي اليوم تتبع عمان، وتعرف بصور عمان. لكن، كما حدث مع سائر القصائد والمراثي الأخرى، فقد وُضعَت المرثية ضمن التاريخ الفلسطيني بدلاً من اليمني، مع أنَّ صور

اللبنانية المزعومة لم تعرف مثل هذا الحصار المدمر. وليس ثمة دليل تاريخي أو أثري واحد يؤكد وقوع صور في أيدي المصريين أو الآشوريين عام ٥٧١ ق.م.

(١٨) قبيلة كنانة (لاحظ التماثل بين كلمتي كنان ـ كنعان).

(١٩) كلمة بجاد العربية هي ذاتها الكلمة العبرية في النصوص التوراتية: بجاد בגד.

(٢٠) انظر الترجمة الكاملة في كتابنا المراثي الضائعة: مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين، مصدر مذكور.



الفصل الرابع

أكذوبة «معركة» هر مجدو

ارتبطت أكذوبة وقوع حرب كبرى في التاريخ القديم، تُدعى (معركة هرّ- مجدو) وبشكل وثيق، باسم مصر. ويُزعَم في هذا السياق أنها قررت في الماضي مصير العالم، وستقرّره مستقبلاً حين تقع مرة أخرى. لكن هذه النبوءة الدينية الكاذبة تظل دون أيّ دليل حقيقي، أثري أو ثقافي ـ تاريخي، يدعم أو يؤيد وقوع حرب كبرى شاركت فيها دول المنطقة وممالكها، وإنّ أرض فلسطين كانت مسرحها. ولأجل تبسيط الأمور على القرّاء غير المتخصصين الذين غالباً ما يقرأون أو يستمعون إلى تُرَّهات من هذا النوع، فسوف أقوم استناداً إلى التوراة بوصفها المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذه المعركة بسرد القصة الحقيقية كما سجلتها التوراة.

القصة الشائعة تقول ما يأتي:

في عام ٦٠٩ ق. م (بحسب ما يزعم كتّاب التاريخ من التيار التقليدي)

قُتل ملك مملكة ـ مخلاف يهوذه ويُدعى يوشيه أثناء تصدّيه لجيش «الفرعون المصري» نيخو الثاني ٦٠٩-٥٩٥ ق. م في ساحل بني مجيد ـ مجدو. وبمقتله انتهى عهد الإصلاح الديني في هذه المملكة[1]. نشبت المعركة على الساحل بين «الجيش المصري» وقبائل اليمن اليهودية في الجنوب، وشارك فيها الأشوريون الذين سارعوا إلى قتال المصريين وهزيمتهم. وجراء ذلك، فقد لحقت الهزيمة بيهود الجنوب وتشتّتت فلول قبائلهم على امتداد ساحل (مجيدو). وهذه المعركة تعرف في الفكر الاستشراقي والفكر الألفي الأميركي، باسم معركة (هر ـ مجدو)، حيث يُزعم أنها ستحدث مرة أخرى للتعجيل بظهور المخلص.

لكنّ القصة الحقيقية مختلفة كلياً، وسأقدّم رواية بديلة لهذا الجزء من تاريخ إسرائيل القديمة.

كان المعينيون (المصريون) قد استغلوا فترة التراجع الآشوري أمام فارس الصاعدة في هذه الآونة، شرق بلاد ما بين النهرين وشمال شرقها، واستغلوا بالتالي انشغال الإمبراطورية وضعفها، لينظموا هجوماً مباغتاً على أورشليم. كان الصراع بالنسبة إلى الآشوريين خالياً من أيّ طابع ديني، وكان الهدف الاستراتيجي ينحصر في حدود السيطرة على سواحل البحر الأحمر، وإخضاع ممالك ـ مخاليف اليمن المتمرّدة على سلطانهم، لأسباب كثيرة وعميقة تتصل بأدوار القوى العظمى في العالم القديم آنذاك. أمّا قبائل الجوف (معين مصرن التي تفككت وسقطت في هذا الوقت من التاريخ)، فقد وجدت الفرصة سانحة لمهاجمة أعدائها من القبائل السبئية والحميرية. كانت أورشليم المدينة الدينية هدفاً من بين أهداف كثيرة لهجوم

قبائل الجوف، وهذا أمر مألوف في الصراعات الدينية. لقد أضفت الرواية التي سجلها ودوّنها الكهنة ـ في التوراة في الأسفار المتأخرة ـ بُعداً دينياً على الصراع. في الواقع، كانت معركة هرّ ـ **مجدو** معركة متعددة الأطراف. كان هناك هجوم آشوري يُعَدّ له لإخضاع القبائل المتمرّدة، وكان هناك المعينيون (المصريون) الذين تفككت مملكتهم القديمة. لقد ظلوا على عداء ديني قديم مع السبئيين والحميريين، وظلوا يحاولون بكل الوسائل استعادة هيبتهم المفقودة. لذا، استغلوا هذا الحدث، وبادروا إلى الدخول في قلب الصراع، وتوغلوا عميقاً في مدن الساحل اليمني. وما إنَّ تناهت أنباء الحملة المعينية (المصرية) وتقدمها صوب الساحل إلى أسماع الملك يوشيه، ملك مخلاف يهوذه الجنوبي، المعادي للمصريين والموالي للآشوريين، حتى خرج على رأس رجاله لملاقاتهم عند ساحل بني مجيد (مجدو). وهناك نشبت معركة ضخمة انتهت بمقتله على يد الملك المعيني المصري (ملك مقاطعة المناخ أو النقو). وإثر مصرع الملك المصلح يوشيه، صعد ابنه الأكبر إلى العرش. بيد أنَّ المصريين سارعوا ثانية ـ مستغلين الاضطرابات التي استمرت تواجه الآشوريين ـ إلى تنظيم اجتياح جديد، أدى إلى تخريب أورشليم وأسر ملكها الشاب في معركة ربلة ـ الربل من أرض حمة. ولسوف يموت هذا غريباً في مصر اليمن فيما بعد، حين يُنقَل إلى هناك، بعد أن استبدلوا به شقيقه يوهيقم ـ واقم[٢] الذي بادر إلى إعطاء الجزية للمعينين المصريين.

المثير للاهتمام أنَّ اسم والدة الشاب الأسير هذا، تدعى (زبيدة)، وحسب التهجئة العبرية (זבדה ـ زبدة ـ زبيدة)[٣]، وهي في الأصل من سكان موطن قبلي يُدعى في التوراة رومة ـ الرمه[٤]. تقع زبد (زبدة ـ لاحظ قاعدة التأنيث في العبرية التي تحوّل كل اسم مذكر إلى مؤنث) في محافظة تعز،

مديرية المواسط، عزلة بني حماد، قرية بني سنان، محلة زبد. هذا يعني أنَّ أم الملك اليهودي الحميري يهوقيم هي من مدينة تعز. وقد نقله المعينيون أسيراً إلى منطقة الجوف. وفي هذه الآونة كان نبوخذنصر، يصعد إلى عرش الإمبراطورية البابلية الجديدة إثر انتهاء حقبة الاضطرابات في بابل. ويبدو أن يهوقيم: يهوه ـ القائم (واقم)[٥] هذا، أدرك بسرعة مغزى صعود نبوخذنصر، ولذا بادر على الفور إلى انتهاج سياسة تقارب مع الآشوريين. وفي عام ٥٩٧-٥٨٧ ق. م، كان هناك اثنان من ملوك مخلاف يهوذه قد تعاقبا على العرش، بينما سارت الأوضاع في السراة الحميرية والساحل لمصلحة الآشوريين، الذين عرفوا آنئذٍ ملكاً حازماً وقوياً، ستتردّد قبائل الجوف كثيراً أمام فكرة الصدام معه. أحد هذين الملكين اللذين صعدا إلى عرش مملكة يهوذه، كان ابن يهوقيم ـ واقم الذي يُدعى يوياكن ـ يكن (يهوه ـ يكن: يهوه الكائن)[٦]. كان يهو ـ يكن في الثامنة عشرة من عمره، لكنه لم يُحسن التصرف دينياً وسياسياً، وذلك ما أغضب بابل، وحفّزها على المبادرة إلى سحق الدويلة الانتهازية المتمردة. ولذا قاد نبوخذنصر بنفسه الهجوم الأول ووصل إلى أورشليم، حيث أشرف على عمليات نفي القبائل. وهكذا، شملت عمليات النفي معظم الفرسان، وعددهم نحو سبعة آلاف فارس. أما الملك الثاني، فكان شقيق يهويكن (يقيم) الذي سمى نفسه صدقيا (أي الصدّيق)، وقد نصّبه الآشوريون بعد تدمير أورشليم، ظناً منهم أنه سيكون أكثر إخلاصاً من سابقيه. ولم يكد يمضي سوى وقت قليل، حتى تمرد صدقيا نفسه على بابل، فزحف نبوخذنصر مرة أخرى ووقف على أبواب أورشليم.

ومن جديد وصلت جيوشه إلى عمق اليمن. وفي البداية وصل نبوخذنصر

إلى **جبل شعر שעיר**، بينما كان الملك صدقيا وفرسانه يقومون بمناورة يائسة، ويتجهون فارين صوب وادي العرب-ها-عربه הערבה، حيث لاحق الآشوريون فلولهم، فأدركوهم في جبل أريحا (يريحو يريح יריחו). وعندما أمكن إلقاء القبض على صدقيا، اقتيد إلى (وادي ملك) أسيراً. وهناك فُقئت عيناه وأُرسل مُصفَّداً بالسلاسل إلى بابل. وإذا ما تتبّعنا خط سير المعارك هذا، فسيكون نبوخذنصر قد وصل إلى **جبل شعر** في محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الزراري، قرية جريس، حيث يوجد هناك حتى اليوم **جبل ووادي الشعر**. ومن شرعب الرونة ـ وهي جزء من شرعب السلام قبل تحويلهما إلى مديريتين في التقسيم الإداري الجديد لليمن ـ أخذ صدقيا أثناء فراره، الطريق المؤدية إلى هـ ـ عربة הערבה. وهذا يعني أنه فرّ من شرعب الرونة صوب ما يعرف اليوم بمديرية التعزية. وهاكم اسم الوادي: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة. كما توجد في المكان نفسه قرية وموضع بالاسم نفسه: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة، محلة العربة العليا. وعندما ألقي القبض على صدقيا، أُخذ مُصفَّداً إلى وادي ملك. وهاكم اسم المكان: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بلاد المليكي (الملك). أدت هذه الأحداث إلى نشوء تحالفات قبلية جديدة، احتشدت في معركة كبرى في ما يعرف بـ(هر ـ مجدو). وهذه الجملة تعني: **جبل مجيد** (هر ـ بني مجيد)، والجبل جغرافياً يعني وجود مسيل مياه في الوادي، ولذا يقال جبل ومياه مجدو. وشارك في المعركة ملوك مخاليف اليمن القديم. هذه بإيجاز شديد الخطوط العريضة للمعركة التي يزعم أنها ستحدث من جديد وتغيّر وجه العالم.

إنَّ ما يدعى في التوراة والنقوش المصرية والآشورية، ونقوش المسند

(مجدو ـ مجد)، والواو حرف صوتي وليس من أصل الاسم، هو **ساحل بني مجيد**. وما يؤكد ذلك أنَّ التوراة تقول تارة (هر ـ مجدو)، أي جبل مجدو، وتارة أخرى (ميم ـ مجدو ـ مياه مجدو)، أي ساحل مجدو. وهاكم اسم المكان الذي دارت فيه المعركة قرب أورشليم: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، **عزلة الأمجود**، قرية نصف **بني المجيدي**. ها هنا عزلة الأمجود وفيها قرية المجيدي، وهي في مكان لايزال يحمل بقايا من اسم أورشليم: شرعب السلام. (لاحظ انقلاب الواو إلى ياء مجدو ـ مجيدي).

إن الحوليات الآشورية تؤكد وقوع هذه الأحداث، وتدعم فكرة وجود تنافس آشوري ـ مصري للسيطرة على سواحل البحر الأحمر، والهيمنة على الذهب وثروة البخور الهائلة. بيد أنَّ المعضلة التي واجهت القراءة الاستشراقية المخياليّة، تكمن في أنَّ ما وردَ فيها من وقائع وتوصيفات وأسماء، كان يتوافق ويختلف في الآن ذاته مع ما سجلته التوراة، وخصوصاً في سفر الملوك الثاني. فمن جهة، هناك تفاصيل دقيقة عن الحملة، والرسائل المتبادلة بين الملوك الآشوريين وملك مملكة يهوذا في الجنوب. ومن جهة أخرى، هناك أسماء أماكن لا تشير البتة إلى فلسطين! هذا التناقض سيظل غير قابل للحل إلى النهاية، إلا بنقل جغرافيا النص التوراتي إلى مسرح آخر هو جغرافية اليمن، ثم إعادة وضع هذه الجغرافية دون تردد ضمن التاريخ اليمني. إنَّ ما يضاعف من حيرة القرّاء للتاريخ القديم، انعدام أي إمكانية للتوفيق بين ما ذكرته الحوليات الأشورية، وبين مزاعمهم المستمدَّة من قصص التوراة عن وقوع هذه الأحداث في فلسطين.

إنَّ إعادة بناء الرواية التاريخية عن الحملات التي سجلتها قوائم الكرنك

المصرية، تتطلب الاستمرار في فكّ الارتباط (فضّ الاشتباك الدلالي) بين الصيغ المتنوعة التي يرد فيها اسم مصر(ها ـ مصريم وها ـ مشفحت ـ مصريم، وها ـ مصري) ضمن نصوص التوراة، ونقوش المسند اليمنية والنقوش الآشورية كذلك. وهذه مهمة شاقة تستدعي وجود فريق من الخبراء والمتخصصين، يعيد فحص الوثائق القديمة، بما فيها نصوص التوراة، ذلك أنَّ بعض هذه الصيغ دخلت ضمن التاريخ المصري الرسمي بصورة اعتباطية، ومن ذلك مثلاً، ما يزعم أنه (شتائم) وجهها نبوخذنصر إلى المصريين، حين وصفهم بأنهم (مثل قصبة مكسورة لا يركن للاتكاء عليها). وهذا تعبير تحقيري، ورد ضمن رسائله إلى النبيّ ـ الملك حزقيا. بيد أنَّ فحص هذه النصوص سيكشف أنَّ الشتائم كانت موجهة إلى عشائر المصريين (معن مصرن) المتمردة التي راهن بعض ملوك مملكة يهوذا في الجنوب على مساندتها، ولم تكن موجهة إلى مصر البلد والإقليم، وبالتالي لا صلة لمصر بهذه الرسائل. وما يدعم تصوراتنا هذه، أنَّ نقوش حملة سنحريب ٧٠٤-٦٨١ ق. م تسجل بدقة واقعة محدّدة، تتعلق بصدامه مع ملك يدعى חזאל حزا ـ ءيل. وقد ورد الاسم بالصيغة ذاتها في سفر الملوك ٢ في صورة חזאלמלכ ארם حزا-ءيل ملك إرم[٧]. والرسائل التي تبادلها سنحريب مع ملوك اليهودية في جنوب اليمن خلال الحملة على مخلاف حضور، تشير بالفعل إلى أنه خاطب ملكاً يدعى حزقيا ـ بن ـ ءحزا (ءحاز) חזקיה בנ אחז.

وحزقيا هذا ابن لإحزا ـ أو إيلحاز، خصم العاهل الآشوري الذي سبق أن اشتبك معه، ولذا جاءت المراسلات لتؤكد حقيقة أنَّ الصراع ظل متواصلاً مع موت الأب وصعود الابن، ملكاً جديداً على عرش المملكة اليهودية

خلفاً له. وهذه المراسلات التي جرت قبل الاجتياح وفي أثنائه، تكشفُ عن الأهداف الحقيقية للحملات الآشورية، وتكشف كذلك ـ وهذا هو الأمر المهم للغاية ـ عن الأماكن الحقيقية التي جرت فيها سائر الحملات الحربية الآشورية والبابلية والمصرية، القديمة والمبكرة التي تعرض لها بنو إسرائيل والقبائل العربية البائدة، بما لا يترك أدنى مجال للشك في أنها لم تقع في فلسطين قط. كان حزقيا إصلاحياً واصل سياسة سلفه يوشيا ـ يوشيه التي مهدت السبيل أمام تثبيت أسس اليهودية، والقضاء على الوثنيات المحلية في الكثير من المناطق، بينما كان هوشع بن أيله في هذا الوقت يحكم مخلاف بني إسرائيل في الشمال، مكرساً الانشقاق الديني والسياسي بين المملكتين ـ المخلافين. ولذلك يقول عنه سِفر الملوك الثاني، إنَّ أول شيء عمله كان تدمير الأوثان والأصنام، كما حطّم تمثال الأفعى النحاسية التي صنعها موسى النبيّ لبني إسرائيل. وفي سبيل هذا الهدف، خاض حزقيا سلسلة من المعارك ضد قبائل ها ـ فلشتيم الوثنية في عزه-عزان، وفي مجدل، وبصر ـ بصره. وهذه الأسماء سجلتها قوائم الكرنك المصرية بوصفها أماكن ـ غنائم، استولى عليها ملوك مصر، وذلك خلال حملات متواصلة للسيطرة على سواحل البحر الأحمر. ويبدو أنَّ انتصارات حزقيا على القبائل الوثنية في وقت سابق (عصر شلمانصر) شجعته على تحدي الإمبراطورية الآشورية، إذ قام بالزحف نحوالشمرا ـ السمرا ـ شمير للاستيلاء عليها. لكن الإمبراطور الآشوري سارع إلى منعه، وسدّد إليه ضربة قاسية، عندما نظّم حملة خاطفة انتهت بنفي القبائل اليهودية من السمرا المحتلة. كذلك نقل أعداداً من الأسرى إلى مناطق بعيدة، ولكن من دون أن يتطور الغزو ـ هذه المرة ـ إلى اجتياح شامل لأورشليم التي ظلت بمنأى عن الدمار في

خلال هذه الحملة الخاطفة. وبذلك، اكتفى الآشوريون بإضعاف الملك حزقيا لا التخلص منه. ومع صعود سنحريب إلى عرش الإمبراطورية، جهز حملة حربية نحو عام ٧٠١ ق. م استهدفت محاصرة مخلاف ـ مملكة يهوذه مرة أخرى، بعد تمرد قبلي محدود. وفي إطار هذه الحملة، كتب حزقيا إلى سنحريب الذي كان يعسكر في الساحل (يعرف قديماً باسم لكيز ـ لكيس) وهذا هو الاسم نفسه الذي سجله الجغرافيون العرب القدماء، رسالة يدعوه فيها إلى تجنيب أورشليم مخاطر الاجتياح العسكري.

وعن هذا الأمر كتب سارد نص سِفر الملوك الثاني قائلاً: (سِفر الملوك الثاني، النص العبري: ١٨: ٨: ٢١) ما يأتي:

וב-ארבע-עשרת-ל-מלך-חזקיה-עלה-שנחריב-מלך-אשור-על-כל-עיר-חודה-וה-בסרות-ויתפשם-ב-וישלח-חזקיה-מלך-יהודה-ואל-מלך-אשור-לביזה-לאמר-חטתי-וישם-מלך-אשור-על-חזקיל-מלך-יחודה-שלשמות-ככר-כסף-ושלשים-ככר-הזב

النص العبري بالحرف العربي:

(وب ـ اربع ـ عشره ـ ل ـ ملك ـ حزقيا ـ عله ـ سنحريب ـ ملك ـ ءشور ـ عل ـ كل ـ عير ـ هوده ـ ها ـ بصروت ـ ويتفشم ـ ويشلح ـ حزقيا ـ ملك ـ يهوده ـ ءل ـ ملك ـ ءشور ـ لكيسه ـ ل ـ ءمر: حطءتي ـ شوب ـ م ـ علي ـ ءت ـ ءشر ـ تتن ـ عله ـ ءشء ـ ويشم ـ ملك ـ ءشور ـ عل ـ حزقيال ـ ملك ـ يهوده ـ شلشمئوت ـ ككر ـ كصف ـ وشلشيم ـ ككر ـ زهب).

وترجمة النص هكذا:

(وفي السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا، صعدَ سنحريب ملك آشور على

كل منازل يهوذه، وخربها ودمرها، فأرسل حزقيا ملك يهوذه إلى ملك آشور في لكيز قائلاً: لقد أخطأتُ فانصرف عني، وأيّ شيء طلبتَ سأعطيك، ففرض ملك آشور على حزقيا ملك يهوذه ثلاثمئة قنطار من الفضة وثلاثين قنطاراً من الذهب).

كانت الجزية باهظة، بحيث اضطرّ معها حزقيا إلى أن ينزع الذهب عن أبواب الهيكل، ليسدّد الثمن المطلوب لبقائه في العرش. ومع ذلك أرسل سنحريب قادته من معسكرهم في لكيز ـ لكيس على الساحل إلى أورشليم لتسلّم الجزية، دون أن يقدم أي ضمانات بأنه لن يدمر المدينة. وقبيل بلوغهم المكان، صاعدين في السراة، توقف قادة الجيش عند مياه تُدعى كُبس ـ كبس (وفي النص العبري: ء شر ـ بمعلات ـ شدة ـ كوبس، أي: التي في معلاة نجد كبُس). وهذه هي كوبس ـ كبس: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة الشريف، قرية الكبسة. هذا هو الموضع الذي توقف فيه نبوخذنصر، مهدداً أورشليم. والمثير للاهتمام أنَّ الترجمة العربية تعطي مكافئاً غريباً لهذه الجملة البسيطة، فهي تقول: (ء شر ـ بمعلات ـ شدة ـ كوبس: التي في طريق حقل القصار). وفي الحقيقة لا يوجد في النص العبري أي مفردة أو جملة، تفضي إلى هذا المعنى. علماً أننا لا نعرف فحوى جملة مثل هذه. وعلى العكس، هناك موضع حقيقي لا يزال يحمل الاسم نفسه: كُبس ـ كبس في مكان تسميه التوراة שדה شده ـ نجد. والنجد هو المرتفع من الأرض، وليس حقلاً. وفي هذا المكان هناك مياه تدعى مياه وادي كبس. ويبدو أنَّ سنحريب لم يكتفِ بفرض الجزية الثقيلة على حزقيا، بل رغب في إذلاله أيضاً، ولذلك كلف رُسل حزقيا أن ينقلوا إلى ملكهم الرسالة الجوابية الآتية:

قولوا لحزقيا لا نريد مجرد كلام. علامَ راهنت؟ أعلى **مصريم**؟ أليست من القصب المرضوض، متى اتكأ عليها المراهن ثُقبتْ كفه، كذلك هو ـ **ملك برعو**، و ـ **ملك ـ مصريم**، وذلك حال مَنْ راهنوا عليه. ولئن قلتم: كلا، على الرب إلهنا نتوكل، أليس **حزقيا هو الذي دمّر مذابحه في موّة**[٨]؟

تكشف رسالة **نبوخذنصر** هنا زيف الترجمة العربية (وباللغات الأخرى) للتوراة، فهو يميز بين **ملك برعو** (أي البرع، ولا يقول عنه فرعون كما في الترجمة) وبين **ملك مصريم** (مصرن). وكما هو واضح من سياق النصّ، فإن المسرح القتالي يتّسم بكونه ميدان قتال جبلياً وعراً، تقطن فيه قبائل عربية، بدلالة أسماء الوديان والجبال. وكما يتّضح من سياق الرسالة أيضاً، فإنَّ العاهل الآشوري يتحدث عن قبائل يمنية، لا عن مصر البلد، وإنَّ اسم **مصر** في هذه الرسائل ينصرف إلى تحالف عشائري كبير، وليس المقصود به مصر الإقليم. والرسالة بعد هذا تعيد تذكير **حزقيا** بمصير ملكين كبيرين، أحدهما ملك **برع ـ برعو**، والآخر **ملك مصريم**. لكن الترجمة العربية للتوراة، كما رأينا في مثال سابق، حوّلت اسم **برعو ـ برع** إلى **(فرعون) مصر**[٩]. وبسبب هذه الترجمة الخاطئة، فقد شاع في مؤلفات علماء الآثار والتاريخ ما يمكن عدّه نوعاً من(تحقير) لمكانة مصر، ورد في رسالة الإمبراطور الآشوري، وهو أمر لا وجود له في الواقع. ولو أننا تقبلنا هذه الترجمة، لوجب علينا أن نقبل على مضض فكرة أنَّ **الآشوريين** كانوا يعاملون مصر **كقبيلة أو تحالف قبلي**؟ وهذا مخالف للحقيقة التاريخية. لقد كانت الرسالة تتضمن تلميحاً لا تعوزه الصراحة ولا التهديد المُبطن، بأنَّ **الآشوريين** يشعرون بالضيق والغضب من الإصلاحات الدينية الواسعة التي قام بها **حزقيا من خلال تدمير الأوثان**. لقد عكست رسالة العاهل الآشوري بدقة، غضب

الإمبراطورية من الهجمات المدبرة التي نظمت ضد المعابد الوثنية. كذلك عكست بوضوح انزعاجهم من الطريقة التي كان حزقيا **يدير فيها العلاقة مع القبائل (العشائر)** المقيمة في الجوف، وهي من أقوى قبائل اليمن، إذ بدلاً من معاداتها لأنها معادية للإمبراطورية، راح يمدّ الجسور معها، مراهناً على إمكانية خلق جبهة قوية من تحالفات قبلية واسعة. ثم ختم العاهل الآشوري رسالته الغاضبة، مخاطباً القبائل العربية بالقول:

لا تسمعوا كلام حزقيّا واعقدوا صلحاً معنا. لا تسمعوا له وهو يقول إنَّ الرب سوف يُنقذه من يدي. الأمم التي دمّرها آبائي لم تنقذها آلهتها. أين آلهة حمّة وءرفد **وصفرئيم والبناع وعوي؟** هل أنقذت **السمرا** من يدي؟

وهنا جزء من نقش *P103* لتجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) يذكر فيه أنه احتل (ارفد). وهذا هو معنى قول سنحريب إنَّ آباءه احتلوا (ارفد):

*328. 1. (No. 64) the land **of Amurru** in [its] entirety[I conquered]. **[Gebail1 (Byblos), Sidon [and Arvad** senttribute] I caught a greatpagutuon myreturn Tribute, taxes and logs of cedaron **the Hittite-land** I imposed.*

٣٢٨. ١. (رقم ٦٤) غزوتُ أرض امورو كلها، وصيده، وارفد، واستوليت على قرتاب وقوطون ـ القطن. وفرضت عليها الجزية، وأنا من فرض الجزية على الحثيين.

في هذه الرسالة أعاد العاهل الآشوري التذكير بمصائر جماعات قبلية أخرى، وبمصائر آلهتها. ومنها قبائل وجماعات تعيش في حمّة ـ وليس حماه السورية كما في الترجمة العربية من التوراة وأخرى في ارفد **والصفرا والبناع والعوي**. وهذا تأكيد آخر للطابع القبلي للأسماء، وأن لا علاقة لمصر بهذه

المراسلات. وعندما استمع **حزقيا** إلى الرسالة الغاضبة، استشاط غيظاً هو الآخر ومزق **ثيابه** (ذلك ما يذكرنا بالطقس المعروف في المرويات اليمنية عن قيام الملوك بتمزيق ثيابهم. ويكفي التذكير بالملك اليمني **مزيقيا** الذي يزعم الإخباريون أنَّه كان يمزق ٣٦٠ حلة كل عام)(١٠). ثم أرسل **حزقيا** في ثورة غضبه يطلب **النبي أشعيا** أن يأتي إليه ليهدئ من روعه. في هذه الأثناء كان **سنحريب** يجتاح **لبنه ـ لبنت** مُنطلقاً من **لكيز**ـ الساحلية(لكيس). ولم يلبث إلا قليلاً حتى عاد وأرسل خطاباً جديداً، يتضمن التهديدات والتحذيرات ذاتها الموجهة إلى **اليهود**، بأكثر مما هي موجهة إلى **حزقيا** نفسه:

قولوا لحزقيا ملك يهوذه: لا يخدعنك إلهك، فالأممُ التي دمرَ آبائي آلهتها، لم تنقذهم **في جوزان وحيران ورصف**(١١) **وبني عدين**(١٢) والذين في **ثلا**، وفي ـ **جبال ـ السر**؟ **أين ملك حمّة، وملك ءرفد، وملك صفرئيم، واليناع وعوي**؟

إنَّ التأمل العلمي النزيه في هذه النصوص، سيكشف عن نوع الفضيحة وطبيعتها، فالزّج باسم مصر (والزعم أنها كانت طرفاً في هذا الصراع، وأنها تعرضت للشتائم والتحقير من جانب الآشوريين) لا صلة له بالعلم، ذلك أنَّ سائر أسماء القبائل والآلهة والأماكن في هذه النصوص، تشير كلها إلى مسرح يمني. تشير هذه الرسالة إلى أنَّ سنحريب (وملوك بابل وآشور من قبل) قد هاجموا معبد رصف في منطقة **الجوف اليمني**، واستولوا عليه. وسأعطي في سياق التحليل بعض النقوش اليمنية التي تتحدث عن معبد رصف هذا.

إنَّ أسماء مثل لبنة לבנת وحمّة חמת وعدين עדין ورفد ארפד ورصف وسواها، هي أسماء أماكن ومواضع قبلية شهيرة في تاريخ اليمن القديم،

وقد سجلتها نقوش المسند بالصيغ ذاتها. فقد ورد اسم لبنة بالصيغة ذاتها في نقش *RES 3945* ونصّه الآتي:

(ما ملكه كرب إيل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ، مناطقهم وجبالهم ومراعيهم ملكاً خاصاً. وكل ملاك الأرض الصغار في ثبير وأولادهم وممتلكاتهم إلى البحر............ ومناطقه وأراضيه وجبله وواديه ومراعيه ملكاً خاصاً، وكل المدن والمناطق حول منطقة ـ تفض ـ باتجاه ـ دهسم ـ[١٣] والتي على البحر، وكل سواحل تلك المناطق وكل منطقة يلا ـ و ـ شيعان ـ و ـ عبرة ـ و ـ لبنة ـ، كل مدنهم ومزارعهم وأوديتهم وجبالهم ملكاً خاصاً، وكل ما ملك ـ مرتع وجنوده ـ في دهسم ـ، وفي ـ تبني[١٤] ـ و ـ سلم يزحم ـ، وكل ملاك أرضه الصغار وناسه ومنطقته وجباله وأوديته ومراعيه لالمقة وسبأ، واستولى على ـ كحد ذا حضن ـ وملاك أرضه وناسه، وحوله إلى الذين حالفوا كرب إيل).

ولنلاحظ إشارة الملك إلى قبائل الساحل في جملة (والتي على البحر وكل سواحل). ولبنة ـ لبن هذه تقع اليوم في محافظة الجوف، مديرية خراب المراشي، عزلة المرانة، قرية الوزاء، محلة لبن. وها هنا لبنة ـ لبن في النقوش الآشورية ونقوش كرب إيل وتر.. ومعلوم أن بعض كتّاب التاريخ اليمني يزعمون أن كرب إيل وتر هذا حكم سبأ حوالي السنة ٦٢٠ حتى ٦٠٠ ق. م، أي قبل الزمن الافتراضي لكتابة التوراة بنحو قرن كامل. أما رفد، فقد وردت في النقش المعروف باسم (نقش نشان)[١٥] الذي عثرت عليه البعثة الألمانية وفيه النص الآتي:

وسيطر على مدن (رفد) وأوديتهم وجبالهم ومناطقهم وأرضهم الزراعية ومرعاهم ملكاً خاصاً، وسيطر على نخل (خل أمر بن حضرهمو بونب) ذو

حول وقراه وأتباعه آل حول وقراه ونخل ذ دوم، وسيطر على نخل (خل أمر) وقراه في ذ دوم وسيطر على (ذمرم ـ ذمار) يوم جعل لكل قوم إلهاً حامياً وعهداً وميثاقاً وحلفاً.

هذا التطابق المذهل بين الوقائع التي ترويها التوراة، ونقوش المسند اليمنية والنقوش البابلية الأشورية، هو الذي يؤكد نظرية هذا الكتاب. ولابد من توضيح مقتضب هنا، أنَّ كلمة (**نخل**) في النقش تشير إلى مكان بعينه، استولى عليه كرب إيل وتر، هو وادي نخلة في **محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الهياجم، قرية وادي نخلة**. وهذا يؤكد لنا أنَّ الانتصارات التي لطالما نسبها **بنو إسرائيل أو مملكة اليهودية إلى تاريخهما، هي انتصارات السبئيين على المعينيين**. وسنتحدث بالتفصيل عن سائر هذه المواضع. لكنني سأتوقف عند اسم (**بني عدين**) في رسالة العاهل الآشوري إلى ملك يهوذا. في الواقع، لا وجود لجماعة أو اسم مكان بهذه الصيغة في أي بقعة من العالم القديم (أو المعاصر) سوى موضع **العُدين في** محافظة إب. إنَّ **بلاد العُدين القديمة**، كانت ولا تزال حتى اليوم من الأماكن الأكثر قدسيّة في اليمن، وهي اليوم مديرية من مديريات محافظة إب، وسنتحدث عنها طويلاً في هذا المجلد. لدينا في الرسائل المتبادلة التي تؤيدها السجلات الآشورية، طائفة من المواضع والأماكن، وليس بينها اسم واحد يمكن الافتراض أنه موجود في فلسطين. وإذا ما كانت أورشليم التوراة هي القدس العربية على ما يُزعم، وبالتالي فإن الحملة الحربية الآشورية دارت في مسرح فلسطيني، ورمسيس الثاني هاجم قدس ـ قادش، فإن القدس العربية يجب أن تكون على طريق موضع يدعى كبس أو رصف؟

ورد اسم (**رصف**) في نقش *Glaser 1153=Halevy 243*، وذلك لمناسبة تقديم جماعة ذُكرت أسماؤهم في الكتابة نذراً إلى الآلهة «عثتر ذ فبض» في معبده «رصف ـ رصفم» الذي يتبع قبيلة «هورن ـ هوران». فذكروا إنَّ ذلك كان تيمناً بآلهة «معين» و«يثل». وأما الرجال الذين قدموا النذر، فهم: «مشلك بن حوه» من (خدمان ـ آل خدمان) من قبيلة «زلتان»[١٦]، والملك «خل كرب صدق ـ خال كرب صديق»، هو الذي بنى معبد «**رصف ـ رصفم**»، المعبد الشهير عند المعينيين. يقع هذا المعبد خارج سور «قرنو» العاصمة على مسافة نحو ٧٥٠ متراً من المدينة. وقد عثر في أنقاضه على عدد من الكتابات[١٧]. هذا يعني أنَّ الحملات الآشورية استهدفت منطقة الجوف اليمني، وهي استولت مرات كثيرة على معبد (**رصف**) أحد أهم معابد المعينيين. كذلك توجد **كبُس** أخرى، تماماً مثلما تشير**التوراة** وسجلات **الآشوريين**، وهي وادٍ خصب وعظيم من أودية **مديرية خولان** التي تشتهر بزراعة اللوز، وتُعَدّ من مديريات **محافظة صنعاء**.

أما **خولان**، فهو اسم لقبيلة وأرض، وقد ذكر الاسم (**خولن**) في النقوش اليمنية القديمة لأول مرة في حدود القرن السابع قبل الميلاد ـ فترة مكربيّ سبأ ـ كاسم لقبيلة، ولكن في فترة ملوك **سبأ وذي ريدان**، الممتدة من القرن الأول حتى الثالث الميلادي، سجل الاسم في صورة (**خولن**)، وصار يطلق على ثلاث قبائل متفرقة، هي ـ **خولن** (**جددن**): قبيلة **خولان الأجدود**، وكانت أراضيها تقع في المنطقة الممتدة من جبل **أم ليلى**[١٨] شمالاً وحتى الجنوب الغربي لحقل **صعدة**، وتعرف اليوم (**بخولان بن عمرو**) أو خولان بن عامر، ومساكنها تشمل منطقة واسعة من **محافظة صعدة**. في هذا السياق، سأتوقف عند مسألة نقش (**بن عمرو**) الذي يرتبط باسم قبيلة

خولان بن عمرو. إنَّ مقاربة جديدة للنقوش التي ورد فيها هذا الاسم، وعُدَّت «**نقوشاً إسرائيلية**»، وبحيث شاع الاسم في الثقافة الأوروبية بصورة مدهشة ومثيرة للحيرة في آن واحد، حتى أنَّ هولندا سمّت أشهر بنوكها **باسم بنك بن عمرو**، ستبرهن لنا أنَّ اسم **بن عمرو** قصد به **خولان صعدة** التي تسمّت بهذا الاسم، وليس ملكاً إسرائيلياً؟ ورد اسم **بن عمرو** في نصوص أسرحدون، باعتباره ملكاً من ملوك القبائل. لقد قام اسرحدون بحملة ابتدأ بها في اليوم الثاني من شهر تشرى ـ تشرين من السنة الخامسة من سني حكمه. وهي تقابل سنة ٦٧٦ ق. م. وقتل فيها ثمانية ملوك، هم ملك قو ـ كيوّ *Kiau* وملك قيسو*Kisu Ki–I–su* –، وملكة يافأ ـ يفع *Ja–pa* وملكة دخر*Didhrani* (جبل ذخر، أو ما يدعى اليوم جبل حبشي) وملكة با ايلو ـ بائلة *Ba›ilu –Ba–i–lu* وملكة اخيلو ـ أكيل (قبيلة أكيل *Ihilu*) وخبن امرو ـ ها ـ بن عمرو *Kha–ba–zi–ru* ـ *Habanamru* ملك ـ بدع *Buda* وأسر خلقاً من أتباعهم وأخذهم إلى أرض آشور كما حمل آلهتهم معه. وتمكن أحد الملوك، وهو ملك ليلى (من الفرار). وسوف أعالج هذه المسالة في مناسبة أخرى. أما الاسم هـ ـ **يناع** (الينناع الهاء أداة تعريف)، فنجده بالصيغة ذاتها دون أدنى تحوير في مديرية **بني مطر** ضمن الفضاء الجغرافي نفسه **لصنعاء** (ومديرية بني مطر إحدى مديريات محافظة صنعاء). **ويناع** اسم لجبل مشهور من الحيمة الخارجية، ومياهه تسيل إلى ثلاث جهات: الشمال الشرقي إلى حقل **صنعاء والرحبة**، ثم إلى **الجوف**، والشمال الغربي إلى وادي سردُدُ ـ سرد في **التوراة**، ثم إلى **تهامة فالبحر الأحمر**، والجنوب الشرقي والجنوب الغربي إلى **وادي سهام**، **فتهامة فالبحر الأحمر**. ويعود تاريخ مديرية **بني مطر** إلى العصور المبكرة من تاريخ **مملكة سبأ**، حيث

كان قاعها (قاع سهمان) أحد القيعان التي كانت سبأ قد استوطنت فيها؛ إذ ذكر في النقش السبئي[١٩] الموسوم بـ(**نقش نشن**) اسم (المعلل)، وهو اسم مازال إلى اليوم يطلق على المرتفعات الجنوبية للمديرية. **وجبل يناع** يُنسب، بحسب عادات اليمنيين وتقاليدهم في كتابة الأنساب إلى **يناع بن حضور**ـ حضور في التوراة، ويعدّ من الحصون المنيعة ومن معاقل اليمن المشهورة. وهاكم وصف المكان الثاني الذي جرت فيه الأحداث: ءرفد ـ **الرفد**.

لقد عُرف هذا الموضع الشهير ـ بفضل النقوش التي ذكرته ـ بكونه من **الحصون المنيعة** التي دارت فيها معارك القبائل اليمنية، وقال عنه الهمداني (صفة: ٢٣٠) إنه يتصل **بحمّة**، الوارد ذكرها في **النقوش الآشورية** في صورة حمّة[٢٠]. وكما رأينا في صفحات سابقة، فقد ورد اسم رفد ـ **أرفد** في النقوش السبئية في صورة رفد[٢١]، وفي نقش *RES 3945* ورد أنَّ المكرب كرب آل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ (سيطر على مدن رفد، وأوديتهم وجبالهم ومناطقهم وأرضهم الزراعية ومرعاهم ملكاً خاصاً). هذه هي ءرفد بلد الحصون، حسب وصف الهمداني[٢٢]، تماماً كما في النص العبري، وهي بلد قلاع جبلية على مقربة من حمة التي يرسمها النص العربي بطريقة مزورة ومضللة في صورة ـ حماه، وذلك لإيهام القارئ بأنَّ الأحداث شملت سورية. ومع أنَّ من المستحيل تخيّل مثل هذه المساحة الهائلة كمسرح للمعارك، إذ بين حماه السورية وفلسطين مسافة شاسعة ليس من اليسير على أي جيش، مهما تخيلنا قوته، أن يقوم فيها بعمليات حربية متصلة، وقد يتطلب الأمر ـ كما هو واضح ـ نشر مئات الآلاف من الجنود، وتشتيتهم والمغامرة بمصائرهم في بيئة قبائلية معادية؛ فإنَّ لمن المنطقي تخيّل المسرح اليمني قرب حمّه يمنية، أو قرب ءرفد أيضاً، حيث

وضع الآشوريون هناك حداً لحكم ملكين صغيرين من ملوك القبائل. بهذا المعنى يصبح تذكير سنحريب لحزقيا، بمصير ملكي (ء رفد وحمه) في حال عدم استجابته لشروط الإمبراطورية، استطراداً في حقيقة جغرافية أيضاً، وهي أنَّ الموضعين في فضاء جغرافي واحد يضمّ رصف وجوزان ـ جوز، وقرنتئيم ـ القرنتان، والقابل[٢٣] ـ القابل، وهي مواطن قبائل قرب بعضها.

يظهر اسم رصف في نقوش المسند، ارتباطاً باسم معبد ديني (الإله رصف). أما المكان الذي يحمل الاسم نفسه، فهو ـ بالإضافة إلى المعبد في الجوف ـ يقع في مديرية شبام الغراس إلى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء، بمسافة (٢٥ كلم) على الجانب الأيمن للطريق الإسفلتي الواصل بين مدينة صنعاء ومدينة مأرب، وعند سفحي جبلين يطلق عليهما جبل ذي مرمر، وجبل قهال ـ قهلت في التوراة بإضافة التاء اللاصقة الأخيرة مثل قرشت في قريش ـ وعلى وجه التحديد في تمنع عاصمة مملكة قتبان التي تمددت ـ لوقت قصير ـ حتى مأرب. ورد اسم رصف هذه في نقوش المسند في صورة (ر/ ص/ ف/ م ـ رصفم). وفي معابد معين الجوف (معن مصرن) وهو يظهر في أكثر من مكان ولقب، ففي المعبد الخاص بعبادة الإلهة عثتر، يظهر اسمه في صورة (عثتر ذو رصف)، كذلك فإنَّ الاسم (محرم عثتر رصف) الذي عثر عليه في المذبح رقم (١٣٦) خارج المعبد، يؤكد أنَّ عبادته ارتبطت بعبادة عشتار. كذلك وجد اسمه منقوشاً على الأعمدة (أ، ب، ج، د) في صورة (شلا عثتر رصف) وظهر على الأعمدة (٦، ١١، ١٣). ويبدو أنَّ المكان عُرف باسم المعبد الديني الذي يحمل الاسم نفسه. وقد عثر علماء الآثار في السنوات القليلة الماضية على مدافن قديمة قرب المعبد. وهاكم اسم الموضع بالضبط كما ظهر في وقت تالٍ من الأحداث: محافظة

تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة بني عيسى، قرية الشعيب، محلة رصافة (لاحظ التأنيث رصاف ـ رصافة). وكما هو معروف عن المعابد اليمنية القديمة، فغالباً ما توجد إلى جوارها المقابر، كمعبد (أوام) محرم بلقيس في مأرب. (والبكري في معجمه أوردها في صورة: رصف بالضبط، معجم: ط، بيروت: ٢: ٢٤٩)[٢٤]. فهل ينطوي الأمر على محض مصادفة؟

وفي هذا الفضاء الجغرافي سنجد وادي جوزن ـ الجوز (بإلحاق النون الكلاعية مثل صنعن في صنعا، وعدنن في عدن) ضمن محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة بني وائل، قرية الجوز.

هذه هي الأرض التي دارت فيها حروب الآشوريين ضد (مصر) التوراتية.

الهوامش

(١) برأينا، إنَّ مقاصد الإشارة القرآنية لقوم هود في الأحقاف جنوب اليمن، وتحديداً في حضرموت يجب أن تنصرف إلى الاسم يهوذا. فهذا هو البناء اللغوي اليمني التقليدي للاسم يهود ـ هود (مثل يعرب، يكرب، إلخ). ومما يؤكد ذلك، أنَّ التوراة تستخدم صيغة (هوده) في رسم اسم هوذه، وهو ما يدفعنا إلى إثارة مسألة دراسة تطور أساليب كتابة النص التوراتي بوصفه نصّاً يمنياً، حيث يجري تحقيق أو إسقاط الياء اللاصقة آخر الاسم. ومعلوم أنَّ اليمنيين يعتقدون اعتقاداً راسخاً، طبقاً للنص القرآني، أنَّ (هود) دفن في الأحقاف حضرموت، وهم يحتفلون سنوياً (١٥ شعبان من كل عام) بيوم مولد هود.

(٢) في النقش السابق يسجل نبوخذنصر اسم يهقويم الذي نصبه بنفسه (الهاء هنا حرف صوتي لا وظيفة له مثل يهرعش في يرعش ويهريق الماء في يريق الماء وهي لهجة يمنية).

(٣) يوشع النص العبري ١٧:٧ لايزال اسم زبيدة شائعاً عند اليهود الشرقيين.

(٤) رمة: محافظة الضالع، مديرية قعطبة، عزلة الاعشور، قرية رمه.

(٥) واقم، اسم لا يزال شائعاً في أسماء المواليد المسيحيين الشرقيين (واكيم)، ولاحظ البناء اليمني للاسم يوكايم أي القائم (مثل يكرب، يعرب، إلخ)، ومن هنا جاء لقب الإمام القائم عند الشيعة.

(٦) نجده اليوم في صورة الاسم (يكن-يكم)، والاسم كما هو واضح من تصاريف الفعل (قام)، والنون والميم تتبادلان الوظيفة، وكذلك الكاف والقاف.

(٧) سفر الملوك٢ - ٢١/ ١٤.

(٨) موة، وتسمى اليوم ماوية، وتشتهر بوجود الآثار القديمة فيها.

(٩) انظر النص العربي من التوراة ولاحظ الفارق في الترجمة.

(١٠) انظر كتابنا إرم ذات العماد: البحث عن الجنة- مصدر مذكور. للمزيد عن طبيعة هذا المشهد التوراتي، فهو يحيلنا على سلوك ديني نمطي عند الملوك الأسطوريين في اليمن،

ممن انفردوا عن سائر الملوك بممارسة طقس يقوم على عادة تمزيق الثياب في أثناء الحزن أو الغضب، وتوزيعها على الرعايا كعلامة على الخطر المحدق. وأسطورة مزيقياء هذه تتماثل تماماً مع إشارة التوراة.

(١١) قارن مع اسم الرصافة في العراق وشرق سورية.

(١٢) بنو عدين كانوا ضمن الأسرى في بابل. انظر كتابنا القدس ليست أورشليم.

(١٣) دهس ـ دهسم: يقصد بها قبيلة يافع في محافظة الضالع.

(١٤) تبني ـ تبن في محافظة لحج.

(١٥) مملكة نشان القديمة، وتدعى اليوم السوداء.

(١٦) وهذه القبيلة هاجرت إلى شمال إفريقيا (ليبيا) واحتفظت باسمها: قبيلة الزلتان.

(١٧) جواد: الفصل ٢١.

(١٨) ورد اسم جبل ليلى في نقوش البابليين والآشوريين. انظر الهامش التالي.

(١٩) انظر نقوش ريكمنس: العالم البلجيكي «ريكمنس» ***G.Ryckmans***- في مجلة ***Le Museon***.

(٢٠) هناك أكثر من (حمّة) في أرض اليمن، من أشهرها ربما (حمّة) في ذمار وحمة في منطقة الضالع قرب مساكن يافع ـ والحمّة هي مجمع صخور سوداء ساخنة، وتسمى عند عرب الشمال (اللابة أو الحرّة)، وتسمى الأكمة السوداء حمومة. ورد اسم حمّة في نقوش المسند في صورة حمان بزيادة النون الكلاعية مثل صنعا ـ صنعن، عربن ـ عربن، عدن ـ عدنن، ففي نقش كرب ءيل وتر ويعرف باسم نقش النصر ***RES3945*** ورد اسم حمة ـ حمان (وغلب ذبحان ذقشر وشرجب واحرق مدنهم واستولى على جبلهم عسمت ومنشآتهم المائية صير لالمقة ولسبأ. ويوم غلب أوسان وقتلاهم ستة عشر ألفاً (١٦٠٠٠) وأسراهم أربعون ألفاً (٤٠٠٠٠) من لجأة حتى حمان وأحرق مدن أنف وكل مدن حبان وذياب).

(٢١) عبد الله علي الغش: الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه القرن ٧-٢ ق.م. رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة دمشق ٢٠٠٨.

(٢٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، مصدر مذكور.

(٢٣) القابل: وتسمى أيضاً الروض، وتعود إلى مديرية بني الحارث ضمن منطقة جبل ضهر صهر في التوراة. يقع وادي ضهر في شمال غرب العاصمة صنعاء، ويبعد عنها بنحو (١٤ كلم) تقريباً، وهو وادٍ كبير اشتهر منذ عصور ما قبل الإسلام، وتشهد على ذلك المخربشات الصخرية التي تنتشر على صخوره. هذا الوادي قد استُوطن في عصور ما قبل التاريخ، وأول ذكر له كان في القرن السابع قبل الميلاد، في نقش النصر الموسوم بـ *RES.3945* الذي دوّنه كرب إل وتر بن ذمار علي مكرب سبأ. والوادي كان يقع ضمن ممتلكات ملك مملكة نشن مدينة السوداء في معين.

(٢٤) البكري، عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبوعبيد: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المحقق: مصطفى السقا، الناشر: عالم الكتب بيروت.



الفصل الخامس

صراع الإسرائيليين مع اليهود

قد يفاجأ قارئ هذا الفصل بالعنوان المثير، ويتساءل: هل هذا أمر منطقي؟ وكيف يكون هناك صراع بين بني إسرائيل واليهود؟ لكن الحقيقة التاريخية التي تؤيدها نصوص التوراة الدينية، ستكشف عن هذا البُعد المسكوت عنه في التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل القديمة.

وسأقدّم معالجة شاملة لهذا الموضوع في الكتاب ٣ من هذا المجلد، لكنني ـ هنا ـ ملزم بمعالجة مسألة مصر، وعلاقتها بما يزعم أنه صراع آشوري ـ مصري، وهو صراع (اخترعه) المترجمون والمؤرخون وعلماء الآثار، وحتى محقّقو التوراة. والآن، هل وجّه المصريون القدماء حملاتهم الحربية نحو اليمن؟ في الواقع، طبقاً لما ورد في النصّ العبري من التوراة، فقد وصلت إحدى حملات الملك المصري سنوسرت[1] الأول (١٩٧١-١٩٢٦ ق. م) إلى قلب اليمن القديم، أي ما كان يعرف بـ(مملكة حضرموت) وامتداداتها

في منطقة الجوف. لكن حملة أخرى قادها الملك المصري تحوتمس الثالث (١٤٢٥ ق. م) بلغت ما يُدعى في التوراة والسجلات المصرية القديمة (بلاد البونت)، وهي بلاد البون الأعلى والبون الأسفل בונת، أي إنّها بلغت تخوم ما يعرف اليوم بصنعاء. وهكذا، يتّضح أنَّ الحملات المصرية العسكرية في هذا العصر المبكر، غدت أكثر اتساعاً داخل المسرح الجغرافي اليمني. في هذا العصر، كان اسم **مصر** لا وجود له، وكان الاسم الشائع هو (بلاد القبط ـ إيجبت). وفي القائمتين المعروفتين باسم قائمة نهاريا الشمالية وقائمة مجدو في معبد الكرنك، يمكن للباحث أن يجد ما يكفي من الدلائل على خط سير هذه الحملات. وأريد أن أنبّه القرّاء إلى أنني سبق أن عالجت هذا الأمر في مؤلفي الضخم (فلسطين المُتَخيَّلة)، لكنني أجد حاجة ملحّة لإعادة بناء الأفكار الجوهرية في القراءة السابقة، نظراً إلى أهميتها في إعادة بناء التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل. بكلام آخر، وجدت نفسي مضطراً من أجل إعادة بناء الرواية التاريخية عن (إسرائيل المُتَخيَّلة) إلى أن أعود إلى (فلسطين المُتَخيَّلة) لمعالجة هذا الجزء الحساس من تاريخ إسرائيل. هاكم نصاً مُختصراً لقائمتي الغنائم لأغراض توضيح المسألة:

قائمة الكرنك/ مجدو كما سجلها المصريون[٢]

معبد الكرنك - جغرافية اليمن

١ : قدش — **قدس** (جنوب غرب تعز)

٢ : مخت — **المخا** (التاء في مباني الأسماء العبرية اليمنية أداة تعريف: من مديريات تعز)

٣: سمن ـ شمن — **سمن** (محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني هات قرية بيت الشبر، محلة أكمة السمن)

٤ : ءفرت **الفرث** (محافظة إب، مديرية حزم العدين
عزلة الشعاور، قرية الأوهار، محلة شعب فرث)

قبل الشروع في تقديم تحليل جديد لهذه القوائم، يقطع كلياً مع الاستنتاجات والتصورات الاستشراقية عن خط الحملات الحربية المصرية، يجب عليّ أن ألفت أنظار القرّاء إلى الملاحظات المهمة الآتية:

١ : إنَّ كثرة من الأسماء **في قوائم الكرنك**، جرى ضبطها طبقاً **لطريقة النطق اليمني القديم** (مثل **برقن** في **برق** بإلحاق النون الكلاعية، **عنقن** في **عنق**). وهذا المستوى من الضبط اللغوي أمر مثير للدهشة والإعجاب بالفعل، بما يؤكد أنَّ محرّر القوائم كان على دراية جيدة بالعادات الصوتية للقبائل. وكنتُ قد أشرت مراراً إلى القاعدة اللغوية في لهجات اليمن القديمة (عرب ـ عربن، قحط ـ قحطن، عدن ـ عدنن، صنعا ـ صنعن). وهذه الصيغ في بناء الأسماء هي صيغ يمنية صرف.

٢ : إنَّ هذا الضبط الدقيق للأسماء، اتّسم بالمهنية العالية، فالمحرّر أخذ في الاعتبار أنَّ سكان السواحل اليمنية، الذين هاجمتهم القوات المصرية، ينطقون بلهجة الواو (**عنسو** في **عنس**) وهم يشدّدون في حرف السين، فيُنطق صاداً في كثرة من الحالات (صُرب ـ سُرب)، ويقلبون الخاء كافاً (**مخت ـ مكت**).

وهذا الضبط الذي يمكن ملاحظته في اسم ساحل المخا اليمني (مكت) صحيح تماماً، فمن هذا الاسم مخا، جاء اسم الإله المقه اليمني (والخاء والقاف والكاف حروف تتبادل الوظيفة: ميخائيل في ميكائيل، ومكة في مقه)، ومنه جاء اسم مكة المدينة المقدسة.

٣: إنَّ القوائم الأصلية التي أعددنا عنها قائمتنا هذه، تضمّ أكثر من مئتين وعشرين اسماً. ونظراً إلى وجود معظمها في النصوص التوراتية التي سبقت الإشارة إلى بعضها في ما سلف، سنكتفي بالإشارة إلى بعضها الآخر، وحيث تطلب الأمر ذلك.

٤: ومن نافل القول، التشديد على أنَّ نقاشاً طويلًا ثار بين أهل الاختصاص تركَّز أساساً على طريقة قراءة الأسماء، وما إذا كانت هناك أخطاء وقعت سهواً في أثناء نسخ القوائم، أسهمت في تحويلها إلى أسماء غريبة وغير مفهومة، بسبب استحالة العثور عليها في فلسطين، أو أنها أسماء صحيحة، لكننا لا نعرف أين يمكننا أن نجدها؟ في الواقع، لم يحدث مثل هذا الخطأ الافتراضي في النسخ، ولكن حدث خطأ حقيقي وواقعي من نوع آخر، مصدره الالتباس في القراءة التي زعمت وجود الأسماء في الجغرافيا الفلسطينية. وهنا تكمن المشكلة الكبرى في هاتين القائمتين. وإذا ما قمنا بإعادة بناء الرواية التاريخية عن الحملات الحربية المصرية على مملكة حضرموت ثم معين مصرن في الجوف، وفي عصر تال مملكة سبأ (ومن ضمنها المخلاف الديني الصغير، أي الفاتيكان السليماني ـ الدواوودي المعروف توراتياً باسم مملكة بني إسرائيل في الشمال) وعلى أسس جديدة، فإن القوائم ستظهر آنئذٍ بكل دقتها كسجل موثوق به وغير قابل للتلاعب. ولذلك، يمكن القول إنها سجلات نظيفة، لم تحدث فيها أخطاء افتراضية في أثناء النسخ كما زعم بعض علماء الآثار. إنَّ سِفر أخبار الأيام الثاني، مثلاً، يروي فصولاً من أخبار هذه الحملات، ومنها **حملة الملك المصري شيشق ـ شيشانق الأول** ٩٣٣ ق. م على رحب عم ـ رحبعم بن سليمان الملك، حيث ترك هناك ما يُدعى أنه نقش (**معركة مجدو**). وإذا ما صدقنا هذه المزاعم التي

أشاعها بعض علماء الآثار، فإن الحملة تكون قد وقعت في ساحل مجيد ـ مجدو، وليس في فلسطين التي لا تعرف مثل هذا الاسم. وهذا النقش يؤكد لنا أنَّ معركة هر ـ مجدو ليست معركة واحدة كبرى، تخيّلها التوراتيون في هيئة حرب مصيرية ذات طابع قدري للبشرية كلها، وأنها سوف تتكرر في المكان نفسه، بل سلسلة حروب وقعت في هذا المكان لقربه من أورشليم. ونحن نعلم أنَّ الفكر الألفي الأميركي، ومعه تراث ضخم من النبوءات، يشدّدان على هذا الجانب، وبحيث صار مسرح المعركة خيالياً يستحيل العثور عليه.

كذلك يروي السفر (النص العربي لتسهيل عودة القراء: الإصحاح ٢٨: ١٤: ٢٧) قصة هجوم تجلات بلاسر الثالث في عام ٧٣٤ ق. م على مملكة ـ مخلاف بني إسرائيل عندما كان (ءحازאחז) ملكاً، بينما كان الآشوريون يواصلون الصراع طوال مئتي عام في هذه الحقبة الطويلة والنموذجية في المكان نفسه. وقبل البحث عن الأسماء الواردة في القوائم المصرية، سنقوم برسم إطار تاريخي لهذه الحروب والحملات، وسنأخذ حملة شيشانق الأول نموذجاً دراسياً، بهدف البرهنة على أنَّ القوائم المصرية في الكرنك هي سجل أمين وحقيقي بأسماء المواضع اليمنية التي اجتاحها المصريون.

هاكم رواية مُقتضبة عن الحملة كما وردت في سِفر الأخبار الثاني (دبري ـ ها ـ يميم ١٠: ٥: ١٨: والنص العربي: ١٠: ١٢: ١١: ١٤).

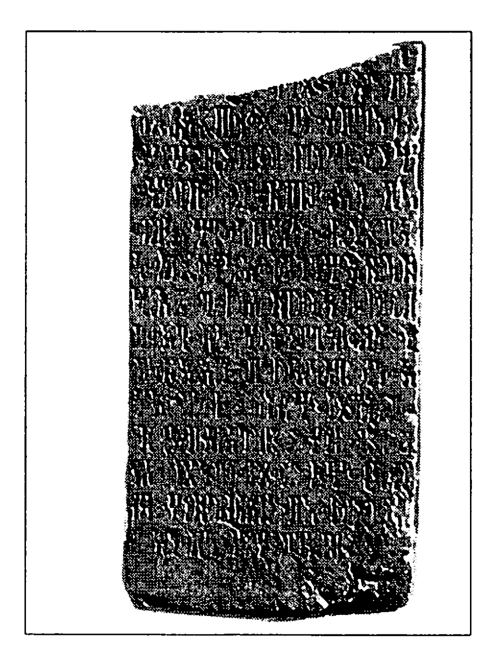
عندما توفي سليمان الملك، صعد ابنه رحب ـ عم (رحبعم) إلى العرش، وكان شاباً صغيراً قليل الخبرة. وأعيد التأكيد مرة أخرى، أنَّ هذه الشخصيات ليست تاريخية، بل شخصيات دينية نؤمن بوجودها الديني، لكننا لا نملك

أي وثيقة تاريخية عنها، أي إنّها تجسيد لعقيدة دينية تقوم على عبادة أو تقديس الأب والابن: داوود وسليمان، سليمان ورحب ـ عم، إبراهيم وإسماعيل، إبراهيم وإسحق إلخ). وهذا أمر مؤكد بالنسبة إليّ، فموسى وسليمان وداود إلخ، تجسيد لشخصيات دينية نؤمن بوجودها (الديني)، ولكنها من المنظور التاريخي شخصيات خلاصيّة مُتخيّلة. ولذلك، سأناقش الرواية الرسمية من هذا المنظور. كان صعود رحب ـ عم يمثّل إيذاناً ببداية حقبة الانشقاق، الديني والسياسي الداخلي في مخلاف ـ مملكة بني إسرائيل، أي الصراع الأهلي بين الإسرائيليين واليهود. وسأشرح هذه النقطة بإسهاب تالياً، فقد أدى ذلك في النهاية إلى قيام مخلافين ـ مملكتين[٣]: يهوذه المخلاف الديني الصغير ضمن مملكة حمير، وهو مخلاف ـ مملكة (أي نوع من فاتيكان ديني جديد وصغير) في أرض تعز (ما يُدعى مملكة الجنوب) ومخلاف آخر ـ مملكة أخرى، باسم مملكة بني إسرائيل التي استمرت كمخلاف، حتى مع زوال مملكة سبأ (ما يُدعى مملكة الشمال) وعاصمتهما الدينية المشتركة أورشليم حسب قول التوراة. عاشت مملكة ـ مخلاف إسرائيل، ضمن مجموعة ممالك أقامتها القبائل، وتشكّل من مجموعها ما يعرف تاريخياً بـ(مملكة سبأ) في شمال اليمن. ولذلك، تخيّل الكهنة وهم يكتبون الأسفار المتأخرة للتوراة، ويضيفونها إلى الأسفار الخمسة الموسوية، أنهم يمثلون هذه المملكة دينياً، وأنَّ تاريخها هو تاريخ بني إسرائيل.

وعندما سقطت مملكة سبأ على أيدي الحميريين الجنوبيين، وأقام هؤلاء مخلافاً ـ مملكة دينية صغيرة بديلة، ستعرف باسم مملكة يهوذا ـ يهوده، ثارت ثائرة الإسرائيليين، واعتبروا هذا الكيان الديني اختراقاً للشرعة الموسوية. لقد نظر الإسرائيليون إلى مملكة مخلاف اليهودية على أنها تمثل «هرطقة

دينية»، تخالف روح الشريعة الموسوية. ويبدو أن التأويلات التي قام بها الكهنة في مملكة ـ مخلاف اليهودية (يهوذه) لنصوص التوراة، وإضافتهم أسفاراً جديدة، وتطويرهم لما سيكون (فقهاً يهودياً)، أي تلمودياً خالصاً لأغراض التعليم الدينيّ، قد أدّت إلى تفاقم الشقاق. وعندما قاومت القبائل السبئية المهزومة هذا التطور الجديد، وذلك عبر شنّ حروب متواصلة على الحميريين (حرب الشمال ضد الجنوب)، اعتبر الكهنة في المملكة اليهودية الصغيرة، أنَّ هذه الحروب هي تعبير عن شقاق ديني، وأنهم انقسموا فعلياً إلى مملكتين متصارعتين. وهكذا، فقد سجلوا روايات الصراع الديني وكأنها حروب حقيقية، بينما كانت الحروب الفعلية تجري بين (الشماليين) و(الجنوبيين). لم تكن هذه الحروب، في الواقع، سوى حروب سبأ المهزومة ضد حمير المنتصرة، وهي استمرت منذ ٤٥٠ ق. م حتى ١٢٠ ق. م. ويكفي أن أعطي النقش التالي ـ من بين عشرات النقوش ـ لمعرفة مغزى هذا الصراع وحدوده *(CIH) 407 RES 3505A; RES 184; RES 661*.

يعود النقش إلى عصر شمر يهرعش الثاني ابن ياسر يهنعم الثاني ٣٠٠ – ٢٧٥ ق.م، ويتحدث عن معارك خاضتها سبأ (في حقبة تأسيس مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنت) ضد القبائل الجنوبية، المتمرّدة التي رفضت الانصياع لإرادة الملك القوي شمر يهرعش الثاني.



نقش شمر يهرعش

النص[٤]:

*1 ʾ**bs^{2}mr** ʾwlṭ w-**Rfʾ** ʾs^2[wʿ]*

2 bnw ḏ-Ḥfnm w-ḏ-Ḏnm ʾ[q]—

3 wl s^{2}ʿbn ʾyfʿ hqny[y m]—

4 rʾ-hmw ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾw[m]

5 ṣlmm ḏ-ḏhbn ḏ-s^{2}ft-hw ḥmd—

*6 m b-ḏt hwfy ʿbdy-hw ʾ**bs^{2}mr***

*7 **w-Rfʾ bn kl s^{1}b**ʾtm w-ḍbʾ—*

*8 t s^{2}wʿy mrʾ**-hmw S^{2}mr Yhr**ʿ**s^2***

*9 mlk S^{1}bʾ **w-ḏ-Rydn w-Ḥḍrmwt** w-*

10 Ymnt** ʿdy ʾrḍ **Ḫwln** ʾ**gddn

11 w-wqh-hw mr'-hw S^{2}mr Yhr's^2 l-r—
12 t' s^{2}rḥtm b-hgrn Ṣ'dtm w-l
13 g'mn((l'mn)) **'s^{2}r Ḫwln 'gdd**<n> b'd ḥr—
14 bt mlkn [..]w-b'd-n-hw f-ḍb'w b-
15 'ly 's^{2}r S^{3}nḥn b-s^{1}rn Df' w-
16 ḫmr-hmw mr'-hmw 'lmqh ḥ—
17 mdm w-mhrgtm w-'ḫyḏt w-s^1—
18 bym w-mltm w-ġnmm ḏ-'s^{1}m
19 w-b-kn s^{1}b'w w-ḍb' b-'m 'q—
20 w(l wqh)ẓ mr'-hmw S^{2}mr Yhr's^2 l-
21 ḍb' S^{1}h(rtn)(w)-(Ḥ)ẓ(rtn)(w)-(ḥ)rbw 's^{2}r N—
22 s^{2}d'l b-s^{1}rn 'twd b-s^2'(mt)w-
23 ḥmdw ḫyl w-mqm 'lmqh-Ṯhw—
24 n-b'l-'wm b-ḏ-ḫmr 'bdy-hw
25 'bs^{2}mr w-Rf' bnw Ḥfnm w-
26 Ḏnm 'ḥllm w-'ḫyḏtm w-s^1—
27 bym w-ġnmm ḏ-'s^{1}m w-l-wz' ḫ—
28 mr-hmw 'lmqh-Ṯhwn-b'l-'wm
29 'wldm hn'm w-bry ''ḏnm
30 w-mqymt w-ḥẓy w-rḍw mr'-h—
31 mw S^{2}mr Yhr's^2 mlk S^{1}b' w-ḏ-R—
32 ydn **w-Ḥḍrmwt w-Ymnt** w-'s^{1}m
33 'ṯmrm w-'brq ṣdqm ḏ-yhrḍy—
34 n-hmw b-'lmqh-Ṯhwn-b'l-'wm

الترجمة العربية استناداً إلى النص السبئي:

(أب شمر أولت ـ و ـ ورفشان، من عائلة حفان[٥] ودان (م) من أقوال (ملوك) قبيلة أيفع (يافع) قدما للمقة ثهون بعل أوام تمثالاً من البرونز، نذراً ووفاء للرب، لأنه أنقذ خادمه أب شمر، ورفع عنه كافة المخاطر،

في خلال الحملات والحروب التي شنوها خدمة لسيدهم شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت، وشملت أرض خولن ـ جددن (خولان الأجدود).

وقد أمره سيده شمر يهرعش بأن يؤسس قوة حامية في بلدة سأدتم، **وعقد اتفاقية سلام مع بدو خولان جددن** (خولان الأجدود) بعد حملة الملك (.....)، وبعد ذلك شنوا حرباً على بدو سنحان في وادي دفع[٦]، وقد منحهم ربهم المقة مجداً وأسرى حرب، وأسرى مدنيين، وغنائم وأسلاباً بكميات عظيمة، وعندما جهزوا حملة وشنوا حرباً مع الأقيال ـ الأقوال (الملوك) الذين أمرهم سيدهم شمر يهرعش بمقاتلة سهرتن وحرتن، وشنوا حرباً على **بدو نشدأل في وادي عتود إلى الشمال**. وقد أثنوا على قوة المقة ثهون بعل أوام، لأنه حمى خادمه أب شمر ورفع الخطر من عائلة حفان ودان (م) ـ وعادوا ـ بغنائم وأسرى حرب وأسرى مدنيين وأسلاباً بكميات عظيمة. وندعو المقة ثهون أن يستمر في منحهم أطفالاً أصحاء وأن يمنحهم المساندة والمصادر المادية والرضى والمودة من سيدهم شمر **ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت**، وكذلك يمنحهم قدراً كبيراً من المحاصيل ومواسم أمطار جيدة تحقق الرضا لهم بواسطة المقة ثهون بعل أوام.

هذا هو جوهر صراع **الشمال والجنوب في اليمن القديم**، المتواصل حتى اليوم بأشكال مختلفة. لقد تفكّكت المملكة الموحدة، فعادت القبائل تتصارع من أجل ضم وإلحاق المدن والمقاطعات في وحدة سياسية جديدة. وفي هذا السياق التاريخي، ظهر تعبير **(ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت)**.

وسوف أشرح في الكتب القادمة من المجلد الأول وبشكل مسهب معنى كلمة (يمنت). ويخيّل إليّ أنَّ أحد أوجه هذا الصراع الطويل الذي سجلته التوراة بدقة، وبما يتطابق تماماً مع التاريخ السبئي ـ الحميري، لم يتّضح كفاية في نصوص التوراة، نعني طبيعة النزاع بين الإسرائيليين واليهود.

لقد ظل الإسرائيليون (وهم السبئيون في الشمال اليمني) على إيمانهم بالشرعة الموسوية، بينما تحوّل الحميريون في الجنوب إلى (اليهودية) وهي عقيدة ـ دين جديد، ظهر بعد سقوط المملكة الموحّدة، والاسم نسبة إلى المكان والقبيلة (يهوذا). ويتجلى السبب الجوهري في هذا الانقسام الذي سيُكرَّس مع الوقت، ويصبح حقيقة سياسية، أنّ اليمن المفكَّك، شهد ظهور معارضة قوية من قبائل الشرق(٧)، وبروز قوى وظروف خلقتها السياسة التي انتهجتها (أسرة الملك سليمان)، وأنَّ هذه السياسة اتسمت بالقسوة والمظالم الاجتماعية. إن المثيولوجيا الإسلامية وحدها هي التي انفردت في تسمية سليمان نبيّاً، ورسمت له صوراً خارقة، بينما تظهره نصوص التوراة ملكاً وحسب. ويبدو أنَّ الوريث الشاب رحب-عم واجه نتائج هذه السياسة مبكراً، وأدرك المصاعب التي تواجه مسألة توليه العرش في مملكة دينية موحدة للإسرائيليين، وقيادة فاتيكان يضم كل أتباعه من أسباط بني إسرائيل؛ فقد كان هناك خصوم جدد يُطالبون بتغيير شامل في النظام السياسي والروحي. ومن بين هؤلاء كان يربعم بن نبط الذي فرَّ ـ حسب مزاعم القراءة المخيالية ـ إلى مصر في عهد سليمان الملك الأب، حيث منحه المصريون الأمان هناك، وكان على علاقة وثيقة معهم. وكما يلاحظ، فقد عاد اسم مصر في التوراة إلى الظهور مرة أخرى، ولكن ارتباطاً بقصة الشقاق الديني في بني إسرائيل وفي صورة (أرض مصر).

فهل قصد به مصر الإقليم، أم المكان القبلي (عشائر المصريين)؟ في الواقع، فرّ يربعم بن نبط إلى مصرن (معين مصرن)، وأقام في مستوطنة من مستوطنات السبئيين هناك، ليقود معارضة قوية مدعومة من ملوك الجوف ضد السبئيين الشماليين الثائرين. هذا الانشقاق الديني لن يكون مفهوماً إلا إذا وضعنا وجود يربعم بن نبط، ضمن ممالك الجوف اليمني، كتابع سبئي، وهم من شجعه على قيادة هذا الانشقاق ضد الجنوبيين الذين كانوا يتمرّدون، ويعملون على عقد تحالف عريض مع السبئيين لقهر المعينيين المصريين سكان الجوف. ورد اسم نبط عم في سلسلة من النقوش المكتشفة في منطقة الجوف اليمني، منها النقش المعروف باسم فون ويزمن *Wien 669*. هذه النقوش اكتشفت في (مصريم القديمة)، وهذا أمر مثير، لأنه يتطابق مع الرواية التوراتية. ولعلنا نجد الاسم حتى في وقت متأخر (نحو ٢٠٠ق. م) في صورة: عم يثع نبط ـ عمى يثع نبط، عم ـ يثع نبط، وهو ابن ابكرب يثع. كذلك ورد في صيغة: وقه آل نبط، وقه إيل نبط (نحو ٢٥٠ ق. م)[٨]. ونجد أيضاً صيغة «نبط يهنعم» آخر ملوك قتبان. لكل ذلك، فمن المؤكد أن اسم مصر هنا لا يشير إلى مصر الإقليم، وسنبرهن على أنَّ يربع ـ عم (يربعم بن نبط) خصم الملك سليمان لم يفرّ إلى مصر البلد العربي المعروف، وأنَّ هذا الخبر الشائع في كتب التاريخ، هو من نتاج قراءة خاطئة.

في اللحظة التي أُعلن فيها عن موت سليمان، سارع الملك الشاب رحب ـ عم (رحبعم) ابن سليمان إلى دعوة خصم والده للعودة من مملكة مصرن في الجوف (مصريم)، والمشاركة في ترتيبات اختيار الملك الجديد وتسيير شؤون المملكة. وبالفعل سارع يربعم بن نبط[٩] إلى العودة واتجه إلى مكان الاجتماع في قرية من قرى سبأ، تدعىءشكم ـ شكم (شكيم في الرسم التقليدي)،

حيث التقت قبائل بني إسرائيل كلها. بيد أن هذه المحاولة سرعان ما أخفقت وانهار الاجتماع، إذ تفاقمت الخلافات بين ممثلي القبائل. ولم يمضِ وقت طويل على عودته من (أرض مصر) حتى أعلن بن نبط هذا، انشقاقه من جديد عن أسرة سليمان، وأقام بمعونة مباشرة من بعض قبائل الشمال، ومنها قبائل بني المشرق، أي القبائل التي تقطن شرق وادي مور[١٠]، مملكة مناوئة لحكم أسرة سليمان، ضمّت الكثير من العشائر والبطون.

في هذا العصر (نحو ٧٠٠ ق. م. وهذا التاريخ هو خلاصة مقاربة دقيقة للتاريخ السبئي مع الوقائع التي ترويها التوراة) انقسمت مملكة سبأ الموحدة، وتسمى ملوكها باسم ملوك سبأ، بينما أعلنت قبائل الجنوب، ومنها يهوذا، أكبر أسباط بني إسرائيل، انحيازها إلى أسرة سليمان وابنه رحب عم، وأسست مملكة يهوذا (اليهودية) في الجنوب، وسوف يتسمّى ملوكها باسم ملوك حمير (وأكبر بطونها ريدان). ولسوف تُعرف هذه **المملكة - المخلاف الشمالي الذي أقامه بن نبط، باسم مملكة إسرائيل**. أما مملكة- مخلاف الجنوب الذي أسّسه **رحب عم بن سليمان**، فسوف يُعرف باسم (مملكة يهوذه ـ يهودية). وهؤلاء هم الذين عناهم **القرآن الكريم** وسماهم **قوم هود**. وكنتُ في أكثر من موضع من هذا المجلد، أشرت إلى أن قبائل الجوف وحضرموت وسبأ وحمير، تنتسب كلها إلى اب أعلى يدعى (هود). وهذا ما نجده في شجرات أنسابها، كما تزعم. وبذلك تبدأ حقبة جديدة وطويلة تفترق فيها القبائل دينياً وسياسياً. وبرأينا إنَّ تعبير (تفرّقوا أو تمزقوا أيدي سبأ) في الموروث الثقافي اليمني، ينطوي على إشارة إلى هذه اللحظة من الشقاق والتمزق القبليّ والدينيّ، بالقدر ذاته الذي مثله حادث انهيار سدّ مأرب وهجرة القبائل إلى بلاد الشام ومصر والعراق. وفي

سياق هذا الصراع بين الإسرائيليين واليهود، أي بين السبئيين الشماليين، والحميريين الجنوبيين، سوف تُثار وتُوجه الاتهامات بممارسات دينية منافية للتوحيد، مثل التقرب إلى النيران في جبل هنوم، وهذا ما نراه بوضوح في الكثير من المراثي والقصص التوراتية. وحسب رواية التوراة، فقد أقام **يربعم بن نبط**، بعد اختياره ملكاً على **بني إسرائيل** في أماكن كثيرة، وتجوّل في الوديان وبين الجبال والمدن، وسكن في وقت ما في المدينة الدينية المقدّسة أورشليم، وباشر بإقامة الحصون في هذه المواضع، ومنها موضع **بيت لحم- بيت لخم** **ביתלחם** **لخمو** في النصوص الآشورية[11]. إنَّ علماء الآثار يعرفون جيداً **نقش لخمو** إلهة دلمون الأنثى **לחמו**، فهو اسم قديم يرتبط بأسطورة الخلق الأولى في الأناشيد السومرية.

لقد اشتقّت القبائل اسم **بيت لحم**، وهو بيت العبادة الوثني القديم من اسم **إلهة الطعام اليمنية** (**لخمو**). ومن هذا الاسم جاء اسم القبيلة اليمنية الشهيرة **لخم** (اللخميّون) التي أسّست مملكة الحيرة في العراق بعد هجرتها. كان معبد الإلهة الأم (الأنثى) لحم، هو المعبد الرئيس لإلهة الخبز(إلهة الطعام) عند قبائل العرب، وكانت مسقط رأس داود[12]. وسوف نعالج مسألة بيت لحم في موضع آخر من هذا المجلد. وحسب التاريخ الرسمي الذي استمده العلماء من التوراة، فقد واجه **رحب-عم بن سليمان** في العام الخامس من حكمه، قدره الحزين، حين وقع هجوم **شيشانق** (ما يزعم أنه شيشانق الأول أحد ملوك الأسرة ٢٢- ٩٥٠-٩٢٩ ق.م).

في الواقع، يعترف علماء المصريات بوجود صعوبات جمّة في التعرّف إلى التسلسل التاريخي (الزمني) الصحيح للأحداث، وقد أشار باحثون

مصريون وعرب إلى هذا الجانب[١٣]. إنَّ رواية التوراة، تتضمن تفاصيل لا يعرف عنها التاريخ المصري أي شيء، من ذلك وجود أسماء نحو ١٥٠ موقعاً ذكرها شيشنق ـ شيشانق (في لوحة الكرنك) لا وجود لها في فلسطين؟ ومعظمها يشير إلى أنها في (السامرة)؟ ويبدو أنَّ خلطاً من نوع آخر، وقع فيه علماء التاريخ والتوراة (والآثار) حين اقترحوا اسم شيشانق الأول، ليتوافق مع التاريخ الرسمي للتوراة. ومع ذلك، ثمة مشكلة حقيقية في البرهنة على أنَّ اسم **شيشنق التوراة هو ذاته شيشنق** السجلات المصرية؟ إذ لم تكن هناك مملكة إسرائيلية في هذا العصر، والصحيح، أنَّ الهجوم وقع بعد الانشقاق نحو ٧٠٠ ق. م. لقد دشن ما يعرف باسم الملك المصري شيشانق الأول، عهده بحملة كبرى لإخضاع سواحل البحر الأحمر، وكانت أورشليم التي خرّبت ونُهبت على أيدي القوات المصرية هدفاً عرضياً. أما خصمه يربعم بن نبط المتمرّد، فقد أصبح اعتباراً من هذا الوقت، عرضة لمؤامرات داخلية، قاد بعضها بصورة مباشرة خصم جديد، يُدعى أبه ـ أبو. وهذا الاسم مألوف لدى علماء الآثار، فهو يذكر في نقوش الحملات الآشورية التي يتحدث بعضها عن صدامهم مع متمرد يدعى أوبو *Uabo* قام بثورة عارمة عامة للتخلص من سلطان الآشوريين. وهذا تطابق مدهش لم ينتبه إليه أحد من علماء الآثار، فالتوراة تسجل اسم الشخص المتمرد بالصورة نفسها في النقوش الآشورية.

يعطي هذا الإيجاز التاريخي، فكرة شديدة العمومية عن الطريقة التي دُمج فيها اسم مصر ـ المملكة التي فرّ إليها يربعم (يربع ـ عم) في عصر مَن يدعى سليمان، مع أخبار الحملة الحربية التي قام بها شيشانق الأول، وهما برأينا أمران منفصلان تماماً. في الواقع عاد يربعم بحسب ما تقول التوراة

إلى مكان بعينه يدعى **شكيم**-ءشكم، حين سمع بأخبار اجتماع الأسباط الإسرائيلية لمناقشة الخلافات الدينية بين الطرفين، أي رحب عم بن سليمان وخصومه. وعندما نعلم أنَّ شكم[١٤]- ءشكم هذه هي ذاتها قرية ءشكامَة (لاحظ التأنيث) في محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة جبل خضراء، قرية الشوافي، محلة إشكامة، فسوف يكون واضحاً أن الكهنة من الطرفين وبحضور القبائل، سعوا بكل الوسائل لمنع الشقاق الديني. في هذا السياق، يبدو أن المترجمين خلطوا بين اسم شكيم وءشكم هذه، أي بين اسم قبيلة تدعى **شكيم وهي من قبائل حضرموت الكبرى**، وبين اسم الموضع الذي **اجتمعت فيه الأسباط في إب.**

وبالطبع، يستحيل تخيّل أن يربعم كان في مصر البلد العربي، وهو عاد بهذه السرعة إلى فلسطين ليلتقي الكهنة والقبائل، بينما يمكن تصور سهولة وصوله، حين نعلم أنه عاد من الجوف (مصرن) إلى إب، ومنها عاد إلى ءشكم حين التقت الأسباط. ورد اسم شكم في نقوش حضرمية يعرفها علماء الآثار (ولكنها اختفت)، منها نقش[١٥] سجله شخص يدعى شكمم- شكم - بن سلحن بن رضون (شكم سلحان بن رضوان)، ونفهم منه أنَّ المكرب كلفه بناء سور وباب وتحصينات لحصن (قلت) في واد تقطعه الطريق القادمة من مدينة (حجر)المؤدية إلى ميناء قنا، وإنشاء جدر وحواجز في ممرات الوادي المهمة، لحماية المناطق الأخرى من هجمات الحميريين في لحج وأبين والبيضاء الذين صاروا يهددون المملكة. وهذا النقش يؤكد بشكل قاطع، أن قبائل الجنوب اليهودية، كانت تهدد مملكة مصرن (وليس مصر)، وأن التحصينات التي طلبها المكرب من زعيم قبلي يدعى شكم، كان الغرض منها صدّ هجمات هؤلاء. وهكذا، فقد خلطت القراءة الاستشراقية

بين اسم مصر الإقليم، وأرض مصر (مصريم ـ مصرن) مرة أخرى، وقامت بدمجهما مع نبأ حملة شيشانق التي سوف تقع بعد خمس سنوات من الانقسام الديني؟ ولفهم واستيعاب طبيعة الحملات العسكرية المصرية، يتعيّن علينا التخلص من تأثيرات القراءة الاستشراقية، وتتبّع خط سير هذه الحملات بموضوعية والتزام روح العلم، وسيكون ذلك مُمكناً من خلال تقديم مقاربات جديدة.

تشير قائمة شيشانق الأول (مرة أخرى حسب التاريخ الرسمي القابل للجدل: ٩٣٣ ق. م) إلى أنّ سلسلة من المواضع التي سقطت في قبضة الجيش المصري، تتبع ما سوف يعرف تالياً بمملكة الجنوب (يهوذا). وهذا ما يدلّل على أنّ خط الحملة التي أخذت طريقها صوب الجنوب، استهدف إخضاع القبائل الحميرية المنشقة عن حلفائها وأبناء جلدتها السبئيين. في هذا الوقت من التاريخ كانت قبائل سبأ بمختلف بطونها تعيش تحت حكم مملكة معين مصرن. وهذا ما يدعم فكرتنا عن رفض التاريخ الرسمي السائد، ففي هذا العصر لم تكن هناك مملكة موحدة، ولم يكن هناك هجوم مصري؟ وبطبيعة الحال، فقد كان هدف الحملات الأشورية والمصرية هو منطقة الجوف اليمني، ولكن هذه الحملات اصطدمت مع السبئيين الشماليين والحميريين الجنوبيين. لذلك، ومن أجل إعادة تركيب التاريخ القديم بعيداً عن التوراة، فسوف نعيد قراءة وضبط الأسماء في قائمة الكرنك المصرية، بالاعتماد على منهجين متلازمين:

أولهما: العمل الميداني، إذ قمت بزيارات منتظمة لليمن على امتداد ثلاث سنوات[١٦]، تجولت في خلالها في الكثير من المواضع والوديان والجبال،

ورأيت بنفسي كيف يتجلّى التاريخ القديم هناك ككائن حيّ ينطق بالحقيقة المسكوت عنها. وبالطبع، فلم أكن أفتش عن أي نوع من التشابه في أسماء المواضع كما قد يتوهم البعض، فهذا ليس هدفي ـ ولا هدف نظريتي ـ بل كنت أفتش عن (التاريخ والبيئة الروحية والثقافية والطبيعية) لقصص التوراة، بوصفها كتاباً دينيّاً من كتب يهود اليمن. ولذلك سأقدم ـ ما استطعت ـ وصفاً لهذه الأماكن كما شاهدتها أو تعرّفت إليها.

ثانيهما: الشهادة الجغرافية الحاسمة، المأخوذة من النقوش السبئية والآشورية عن كل ما ورد من أسماء وردت في التوراة، وهذا ما سيساعدنا في فهم النصّ التوراتي كنص (ينتمي إلى النسيج الدينيّ العربي القديم).

وأودّ التنبيه إلى أنَّ سياق التحليل، وأسماء المواضع والأماكن الواردة في قائمة الكرنك، والنص التوراتي، تفرض عليّ العودة إلى اسم رفح لمزيد من التوضيح، وفقط بسبب وجود أسماء أخرى في القائمة ترتبط به بقوة، ولم يتسنَّ لنا تحديدها بعد، وهذا ما سيُسهم في حسم الجدل بشأن حقيقة المعركة التي هزم فيها جنرال مصري مزعوم يدعى سو ـ على الحدود بين مصر وفلسطين ـ حسب المزاعم.

سأبدأ أولاً من وصف الهمداني المكثف لسلسلة من الأماكن الواردة في القائمة (١٥٦ - ١٥٩ - النص مُختصراً) يقول الهمداني في وصفه، إنَّ زائر هذه المناطق سيبدأ من: (نقيل السود فبيت بوس وجبل نُقم[١٧] وما بينهما حقل صنعاء إلى خطم الغراب[١٨]، وبيت رفح فالرحبة إلى خطم الغراب وقاعة والبون[١٩]، وأكانط والخشب[٢٠]). وإذا ما أمعنّا النظر في هذا الوصف، فسوف نجد أن هذه الأسماء ترد في قائمتي نهاريا ومجدو، دون

أدنى تحريف وبالتسلسل نفسه؟ والنص أعلاه ـ انظر القائمة في الصفحات السابقة وقارن الأسماء ـ يرسم فضاءً جغرافياً متكاملاً، فها هنا دارت رحى المعارك في خطم، والرحبة ـ رحب، وكنط ـ أكانط، والخشب ـ الخشب. وها هنا بيت بوس وها هنا أيضاً بلاد البون ـ البونت (وهما بونان أحدهما البون الأعلى وهو بلاد واسعة. وكما في تعبير السجلات المصرية فهي بلاد بونت). في هذا السياق، زعم بعض علماء الآثار أنهم قرأوا اسم شيشنق (شيشانق) في قطعة صغيرة مكسورة من بقايا ما يزعم أنه نقش (مجدو)؟

وعدا ذلك، لا نملك أي دليل آخر على وجوده كملك مصري؟ فهل كان هذا الملك (تلفيقاً) من تلفيقات القراءة الاستشراقية، وأين (نقش مجدو)؟ متى عثر عليه وأين؟ لا أحد يعرف جواباً دقيقاً. وبانتظار أن تكشف أرض اليمن عن الحقيقة، سيظل شيشانق ـ بالنسبة إليّ ـ ملكاً صغيراً من ملوك معين مصر الجوف لليمني، وليس مصر البلد العربي.

وإلى هذا كله: لدينا رفح اليمنية التي اشتبك فيها الآشوريون مع قبائل مصرن بقيادة أحد ملوكها من بني سواءة، عندما اندفعت من الساحل لصدّ المصريين ولنجدة بني إسرائيل (على الرغم من خلافاتهم العنيفة وصراعاتهم المريرة). هنا مقتطفات من نقش وردت فيه أخبار المعارك في رفح ارتباطاً بمعارك مع إسرائيل:

سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م):

SargonP3p40 :Ancient Assyrian records 2)

80. As for the king of Meluhha, the fear of the splendor ofAssur, my lord, overwhelmed him, they cast him into ironfetters—(binding) his hands and feet, and brought him to

*Assyria into my presence I plundered thecity of **Shinuhtu, Samirina** (Samaria) and the whole land of**Bit-Humria (Israel)**. I drew the Iamanean (Ionian, Cyprian) from out the sea of the setting sun, like a fish. I deported(the people) of the lands of **Kasku, Tabalu** and **Hilakku.**I drove out Mita (Midas), king of the land of **Muski**. Bythe city **of Rapihu***

: السجلات الآشورية القديمة ٢)

SargonP3p40

٨٠. أما بالنسبة لملك ملوحا *Meluhha*، فقد تملكه الخوف من آشور *of Assur* بهاؤك طغى عليه يا سيدي، أخرجوه إليّ مصفدّاً والأغلال في قدميه وجاؤا به إليّ. نهبتُ المدن من) *the city* من سنحو- سنحان *Shinuhtu*، والسامارة *Samirina* (السامرة) وكامل أرض في بيت حمير *of Bit–Humria* (إسرائيل). وأبعدت المعينيين عن البحر ***Iamanean*** من مغرب الشمس، مثل الأسماك وأنا من هجرّ هذا (الشعب) من أراضي (الكسكو- السكاسك) *Kasku*، وتبع إيلو *Tabalu* وخلاقو *Hilakku.I* والمديين من مدي وملك أرض موشكي ـ موسكي *Muski*. و رفح ***Rapihu***

نفهم من هذا النقش أنَّ سرجون الثاني استولى على مدن (رفح وموسكي) خلال حملة على بني إسرائيل، ولكنه سجل اسمهم في صورة (بيت حمير *Bit-Humria (Israel)*) وقد وضع المترجمون اسم إسرائيل بدلاً منه. والمثير للدهشة في هذا التلاعب الفاضح، أنَّ سرجون يذكر اسم تبع إيل في هذا المقتطف: *Tabalu*.

والآن: بالعودة إلى قائمة الكرنك المصرية، فسوف نجد أسماء بعض المواضع اليمنية الواردة في التوراة وسجلات الآشوريين والنقوش المسندية، منها:

جنب وبراق. وهاكم أولاً اسم: سراة جنب ـ جنب وعلى مقربة منها جبل بارق ـ برقن[٢١]: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني زياد، قرية العزلة، محلة شعب الجنب. وهاهنا برقن ـ البارق: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني عمران، قرية الوادي، محلة البارقي. لقد تسنى لي أن أصعد المنطقة الجبلية جنوب شرق صنعاء، متجهاً صوب بيت بوس، وهي بالفعل حصن منيع وقديم مغبرّ، وقد بدت على أسوارها المتهالكة آثار تاريخ غابر مليء بالأحداث الجسام. ومن قمة الجبل أطللت على الوادي (القاع الهائل) الذي يدعى حتى اليوم (دار ـ سلم)[٢٢]، وفيه مقابر اليهود اليمنيين. وهناك ـ في بيت بوس ـ سمعت مضيفي[٢٣] وهو يردّد على أسماعي ونحن نتأمل أسوار الحصن التاريخي المنيع، المثل اليمني القديم: كل بوسي يهودي، وكل يهودي بوسي؟ حقاً؟ وفي طريق العودة إلى صنعاء، لاح لي من بعيد جبل نُقم، ثم عيبان، وهما ـ تماماً كما وصفتهما التوراة وبالاسم نفسه ـ لقم[٢٤] ـ باللام ـ وعيبال ـ باللام ـ على جري العادات الصوتية لليمنيين. وفي طريق العودة كنت أشاهد أيضاً سائر المناطق والمواضع التي وصفها وتحدث عنها الهمداني قبل أكثر من ألف عام. والآن، لنتحقق من أسماء المواضع في حملة شيشانق قبل عصر سليمان. ولنبدأ من الاسم الأول: وادي عمق ـ عمق.

لدينا أكثر من موضع في تعز لايزال يحتفظ بالاسم القديم نفسه: محافظة تعز، مديرية المسراخ، عزلة الأقروض، قرية الصرم، محلة العمق. كذلك نجد الاسم في مديرية مجاورة هي قلب الإقليم الشهير المعافر: محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة الجبزية، قرية الحار، محلة دار العمق (فضلاً عن موضعين آخرين: محافظة تعز، مديرية مقبنه، عزلة الأخلود، قرية الشط، محلة باب العموق، وفي مديرية التعزية، عزلة الجندية العليا، قرية العماقي).

إنَّ التشابه في بعض الأسماء، وصمت الآشوريين والمصريين عن ذكر فلسطين ـ التي لم يكن لها وجود في هذا الوقت من التاريخ ـ والاكتفاء بذكر أسماء المدن والجماعات، قد يكونان السبب المباشر في حدوث الخلط المريع الذي يعجُّ به التاريخ الرسمي لمملكة إسرائيل[٢٥]. وسنأخذ هنا المواضع الآتية من قوائم معبد الكرنك:

افقن ـ ء ـ فق، وعيان ـ عيان، وكنط ـ كانط، الخشب ـ الخشب. وهي أسماء مواضع اعتبرتها القوائم المصرية من بين غنائم الحرب. وها هنا موضع أفق (ءفقن): محافظة تعز، مديرية المواسط، عزلة بني حماد، قرية يافق (الهمزة تقلب ياء في النطق العربي: بئر ـ بير). وهاكم اسم موضع عيان: محافظة تعز، مديرية مقبنه، عزلة الأقحوز، قرية جبل الصياده، محلة عيان. وهاكم وصف الهمداني قبل ما يزيد على ألف عام من الآن ـ لهذه الأماكن وبالتسلسل نفسه، وهي أسماء جبال ووديان رائعة الجمال. هاكم ما يقوله عنها (صفة: ١٥٩-١٦٣): إنَّ منطقة الجوف فيها أودية مثل يناعة ـ تذكرو، أنّ اسم هيناع ورد في حملات الآشوريين ـ وذي بين[٢٦]، وأكانط والخشب، ويلتقي بمياه وادي الخارد التي هبطت من صنعاء ومخاليفها ثم يصبان في الجوف[٢٧] ثم وادي بركان وعيان، ويمدهما سيل وادي نعمان.

واستناداً إلى هذا التوصيف ـ الذي يجمع لنا عدداً كبيراً من أسماء المواضع والأماكن التي سقطت في يد شيشانق الأول ـ وسجلتها التوراة، يكون الجيش المصري قد اجتاح كامل منطقة الجوف اليمني، وبالتالي فقد تمكن من دحر القبائل هناك، واستولى على مواضع مهمة من بينها أكانط، وهي ما يُسمى اليوم كانط، واليمنيون المعاصرون يعرفون هذا النطق جيداً كانط.

كما استولى على منطقة الخشب التي تتبع بلد أرحب، وهو وطن وقبيلة مشهورة وقديمة في اليمن، ثم وادي عيان.

إن كانط[٢٨] هذه، موطن قبائل من بكيل وحاشد ـ حاسد في التوراة، وهي من قرى البون ـ البونت في منطقة الجوف التي يقول المصريون في سجلاتهم، إنهم اجتاحوها ووضعوا يدهم عليها. ومدينة كانط التاريخية تتبع اليوم محافظة عمران قرب صنعاء، وتعدّ إحدى أهمّ مدن مملكة سبأ (التي أسّسها اتحاد قبائل يدعى اتحاد سُمعي) وحكمت اليمن قبل الميلاد وبعده، وبلغت ذروة مجدها عندما اتخذتها الأسرة الهمدانية الحاكمة حاضرةً لها. ولعل من أبرز ملوك هذه الحقبة التاريخية الملك شعرم بن علهان نهفان ملك سبأ وذو ريدان (أحد أجداد صاحب النقش الذي نشرناه في هذا الفصل). وتعتبر كانط من المدن اليمنية القديمة التي بنيت عند أطراف الوديان الزراعية الخصبة. أمّا أطلالها الأثرية، فهي لاتزال موجودة على سفح جبل الشِّصْر وحصنه المنيع، وقرب قاع شرع والسهل السفيح ووادي يناعه ـ يناع في التوراة.

وفي مدينة كانط أقيمت المعابد، مثلها مثل غيرها من المدن اليمنية القديمة، وقد عُدَّت المدينة منطقة مقدسة لكثرة المعابد داخل أسوارها، وكثرة النقوش التي تمجّد وتبتهل للآلهة المتمثلة في عبادة **الثالوث الكوكبي المقدس** (القمر والشمس والزهرة). ومن بين أهمّ المعابد معبد حدثم المكرس للإله تالب ريام، ومعبده الرئيسي في رأس جبل ذيبان من بلاد أرحب، حيث تنتشر معابد الإله تالب ريام، إله القمر في نطاق اتحاد قبائل سمعي. وإذا ما علمنا أنَّ اسم أرحب في قائمة الغنائم، هو ذاته أرحب القبيلة التي تعيش في كانط، فسوف يكون من قبيل (العناد التاريخي) فقط، الافتراض

أن شيشانق لم يهاجم كانط اليمن؟ وأنه ذهب إلى كانط فلسطين التي لا وجود لها؟ يعني هذا أنَّ المصريين هاجموا ما يُعرف بمملكة بني إسرائيل انطلاقاً من منطقة الجوف، ثم اتجهت قواتهم صوب المخا، لتبسط سيطرتها المطلقة على الساحل. ومن المهم للغاية أن نعرف في هذا السياق، أن مخت ـ مخا هذا، كما ترسمه قائمة الكرنك، هو قلب ساحل إقليم المعافر (تعز). ولا يزال اليوم باسمه القديم تماماً، مديرية المخا التي تقع على بعد ٦٤ كلم غرب مدينة تعز، وتعدّ من أقدم موانئ اليمن، كذلك تُعَد شواطئها الرائعة من الشواطئ السياحية النقية في العالم. وفي ساحل المخا الجميل هذا، يوجد (شاطئ الملك ـ ملك في التوراة) المحفوف بالنخيل. لقد وصل المصريون أخيراً إلى الساحل، وخاضوا هناك أكثر معاركهم مأساوية وبطولية. لقد ظل اسم (مخت ـ المخا) من بين أكثر أسماء المواضع في قائمة الكرنك، إثارة للسجال الصاخب بين علماء الآثار والجغرافيين والمهتمين بالتاريخ القديم، لا لشيء، إلا لأنه قرئ بطريقة مخياليّة جعلت منه مكاناً خارج كل وأي جغرافيا محتملة، تماماً مثل اسم (هر ـ مجدوהר-מגדו). وهذا يعني أنَّ الصراع على الساحل أمكن حسمه فعلياً في هذه المعركة الكبرى.

في ختام هذا الفصل، سأتوقف مرة أخرى أمام ما يدعى **(معركة قادش)** لأقدّم الخلاصة الآتية: إنَّ اسم (قدس ـ قدش) كان مادة رئيسة في التلاعب بالتاريخ، وهو في صلب المسألة الأهم (مسألة مصر).

في الواقع، لم تترك لنا سجلات المصريين أيّ وصف **لجبل قدس ـ قدش** الذي هاجمه رمسيس الثاني، لكن المعركة التي خاضها في هذا المكان، وارتبطت بطريقة استشراقية في نطق الاسم (معركة قادش) هي التي شغلت اهتمام علماء

الآثار والتاريخ، بأكثر ما شغلهم التدقيق في الاسم. ولّما كانت قادش هذه اسماً لا وجود له بهذه الصورة، وعلماء الآثار لم يتوصلوا إلى أيّ حل منطقي لمشكلة المكان، وأين يمكننا أن نجده، فقد أصبحت قادش مكاناً غامضاً ومجهولاً حتى اليوم. ويبدو أن نطق الاسم بهذه الطريقة مستمدّ من الرسم التوراتي للاسم نفسه، حيث تنطق السين العبرية شيناً קדש قدس ـ قدش وبالمدّ قادش. إنَّ خط الحملات الحربية المصرية، طبقاً لقائمة الكرنك، يؤكد بصورة قاطعة، أنها اتجهت صوب تعز حيث جبل قدس المبارك الذي لا يزال اسمه هناك، ولتشق طريقها نحو الساحل. إنَّ الافتراض التعسفي القائل إنَّ القدس العربية هي ذاتها قدس التوراة، وهي قادش التي هاجمها رمسيس، غير مقبول علمياً وتاريخياً. ولنلاحظ أن كلمة (مقدس) بناء يمني يتضمن الميم الحميرية، كما في اسم العاصمة الصومالية اليوم: (مقديشو). وفي جبل قدس هذا، تقع عزلة جبلية تعرف باسمه وتضمّ مواضع كثيرة من بينها جبل سامع ـ سامع في التوراة، وتتبع العزلة إدارياً مديرية المواسط في الجنوب الغربي من محافظة تعز، وعلى بعد نحو٦٤كلم، يحدّها من الجنوب محافظة لحج. لقد أسفرت نتائج دراسة ميدانية[٢٩] قام بها باحثون يمنيون عن اكتشاف (٢١) موقعاً أثرياً، و(٦) مواقع في جبل قدس ومنطقة سامع المجاورة، تعود إلى مراحل ما قبل الميلاد. وقد لاحظت الرسائل والبحوث العلمية التي أجريت في منطقة المعافر (موطن اليافعيين) أهميتها التاريخية من خلال ذكرها في النقوش اليمنية القديمة التي تحدثت عن مدنها وسكانها، منذ حملات المكرب السبئي كرب إيل وتر في القرن السابع قبل الميلاد، حتى القرون الميلادية. واتضح كذلك، أنَّ الحدود الجغرافية للمعافر قديماً، تؤكد أنها كانت من أكبر أقاليم اليمن وتشمل مساحة أكبر مما يسمى اليوم محافظة تعز، ووصل نفوذها إلى الشاطئ الأفريقي. ويتبيّن

من المعلومات التي أوردها نقش النصر، أنَّ المعافر كانت تتمتع بأهمية سياسية واقتصادية وتجارية نتيجة لموقعها الاستراتيجي بإشرافها على الشريط الساحلي للبحر الأحمر حتى باب المندب غرباً. وتبرز أهمية المكان من كونه أولى المناطق التي هاجمها المكرب كرب إيل وتر قبل غيره، ونلمس أهميتها السياسية من خلال علاقات المملكة التي نشأت في إطاره، مع المالك اليمنية القديمة(٣٠).

في هذا السياق، وإذا ما وضعنا **قدش** ضمن جغرافية القوائم الموصوفة، فإن القوات المصرية تكون قد توجهت بسهولة من **عنس** و**حمّة** و**سُربة** صوب جنوب تعز بنحو ٨٠ كلم لتستولي عليه. فهل هي محض مُصادفة إذن، أن تكون المواضع الواردة في قوائم الكرنك، قرب بعضها البعض في جغرافية اليمن؟ من الواضح أن سقوط هذه المواضع وحسب تسلسلها يعطي فكرة عن حجم المعارك التي جرت هناك، والقبائل التي تم إخضاعها للنفوذ المصري. هذه هي أهم المواضع التي سقطت في أيدي المصريين في حملاتهم الحربية المتعاقبة في ساحل البحر الأحمر واليمن. وهنا مسرح المعركة الشهيرة التي خاضها رمسيس الثاني، وعرفت باسم معركة قادش، لكنها ظلت مكاناً غامضاً ومجهولاً.

ثمة مصر أخرى تحدث عنها التاريخ القديم ولم يتنبّه إليها أحد. ويا للأسف، كانت هي مسرح قصص التوراة.

في الكتاب القادم (الثالث) (**يهوذا والسامرة: البحث عن مملكة حمير اليهودية**)، سأقدم كل التفاصيل عن صراع بني إسرائيل مع اليهود.

الهوامش

(١) هو الملك الثاني في الأسرة الثانية عشرة في مصر.

(2) : W MaX Muller, Egyptogical Reserches, Vol.1 (1906) pls.44-85.
UrIversit Of Chicago, Orient.Inst.publ.Vols 1,11&111 (1936-1954).

(٣) وهذا ما يُعيد تذكيرنا بانقسام اليمن إلى دولتين شمالية وجنوبية في خلال القرن الماضي.

(٤) الترجمة الرسمية إلى الإنكليزية:

*1 **'bs^{2}mr** 'wlṭ and Rf' 's^{2}w',*

2 of the families Ḥfnm and Ḏnm, 'qwl

*3 **of the tribe 'yf'**, dedicated to*

4 their Lord 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm,

5 a statue in bronze that they had promised Him in

*6 praise because He saved His servants **'bs^{2}mr***

7 and Rf' from all the expeditions and wars

8 in which they performed service for their lord S^{2}mr Yhr's^2,

9 king of Sabà and ḏu-Raydān and the Ḥaḍramawt and

*10 Ymnt, **to the land of Ḫwln 'gddn,***

11 and his lord S^{2}mr Yhr's^2 had ordered him to

12 establish a protective force in the town of Ṣ'dtm and to

13 make a peace settlement with the nomads of Ḫwln 'gddn after the

14 campaign of the king [..] and after that they waged war

*15 against the nomads of **S^{3}nḥn** in the **valley Df'**, and*

16 their Lord 'lmqh granted them glory

17 and casualties and war prisoners and civil

18 prisoners and loot and booty in great quantity,

19 and when they made an expedition and waged war with the 'qwl

20 whom their lord S^{2}mr Yhr's^2 had ordered to

21 fight S^{1}hrtn and Ḥrtn and they waged war on the nomads of

22 Ns²d'l in the valley 'twd to the north;
23 they praised the might and the power of 'lmqh Ṯhwn,
24 Lord of 'wm, because He granted His servants
25 'bs²mr and Rf' of the families Ḥfnm and
26 Ḏnm spoils and war prisoners and civil prisoners
27 and booty in great quantity, and may
28 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm, continue to grant them
29 healthy children and soundness of faculties
30 and material resources and the goodwill and the satisfaction
31 of their lord S²mr Yhr's², king of Sabà and
32 ḏu-Raydān and the Ḥaḍramawt and Ymnt, and a great amount of
33 crops and good rainy seasons that will satisfy them.
34 By 'lmqh Ṯhwn, Lord of 'wm.

(٥) حفان الحفان: محافظة ذمار، مديرية مغرب عنس، عزلة بني طيبة، قرية الموفر، محلة الحفان.

(٦) وادي دفع: محافظة شبوة، مديرية حطيب، عزلة حطيب، قرية دفع.

(٧) إن الهمداني ونصوص التوراة يشيران باستمرار إلى هؤلاء ويطلقان عليهم الاسم نفسه: سكان الشرق. وهذا أمر مثير بالفعل.

(٨) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دارالساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م http://www.raqamiya.org

(٩) لاحظ العلاقة بين اسم القبيلة نبط واسم نبيت نبيط بن إسماعيل الأب الأعلى للعرب، وقارن مع اسم الأنباط المهاجرين من اليمن إلى بلاد الشام والعراق.

(١٠) برأينا أنَّ تعبير شرق وغرب (ها يردن) في التوراة، قصد به شرق وغرب وادي مور، وأن الاسم الديني (ها يردن) هو الاسم الرديف لاسم مور.

(١١) قرأ عالم الآثار هومل نقشاً يعود إلى حملة شلمنانصر الثالث ٨٥٨- ٨٢٤ ق.م يعرف بنقش لخمو، وتعتبر من كبار آلهة دلمون (البحرين القديمة) وتظهر في صورة لخامو لخامون، وهي إلهة أنثى.

(١٢) وهو يقول عن نفسه في نصوص التوراة أنه ءفراتي من بيت لحم.

(١٣) أنظر حول حملة شيشانق الأول: موسوعة مصر القديمة الجزء التاسع.
تأليف: سليم حسن. القاهرة: مطبعة جامعة فؤاد الأول. ١٩٥٢م.

(١٤) وردت شكيم في نقوش المسند المكتشفة في حضرموت في صورة شكمم:
انظر، جواد علي، المفصل ١/ ٧٨١.

(١٥) علي، المفصل١/ ١٦٥ وما بعدها.

(١٦) في شتاء وربيع ٢٠١٢.

(١٧) جبل لقم في التوراة والنون واللام تتبادلان الوظيفة مثل: إسماعيل وإسماعين.

(١٨) ورد الاسم في قائمة الكرنك في صورة ختم.

(١٩) ورد الاسم في صورة البونت.

(٢٠) وردا في الصورة ذاتها كانط، خشب.

(٢١) سجل المصريون اسم هذا الموضع طبقاً للنطق اليمني القديم النون الكلاعية برقن. وهذه وثيقة تاريخية دامغة يقدمها المصريون القدماء لنا عن طريقة النطق القديمة.

(٢٢) تقع دار سلم في صنعاء، وهناك دار سلم أخرى ضمن محافظة لحج وفي مديرية يهر- يهر في التوراة وفي قائمة الكرنك. وهي عزلة جبلية تعرف حتى اليوم باسمها القديم عزلة يهر، جنوب شرق صنعاء، ويحدّها من الشرق وادي الأجبار، ومن الجنوب السواد (ما يسميه الهمداني نقيل السود)، ومن الشمال لكمة العرة، ومن الغرب الجرداء.

(٢٣) الفريق الركن عبد الملك السيّاني (وزير الدفاع اليمني الأسبق).

(٢٤) من المألوف في الحميرية قلب النون لاماً مثل إسماعيل وإسماعين، وقلب الميم نوناً (من بمعنى بن).

(٢٥) لفهم مغزى هذا الخلط ومضمونه، يجب أن نلاحظ أنه كانت هناك مدينة تدعى عزه، ولكن الآشوريين والمصريين لا يحدّدون المقصود بها. وكانت هناك رفح بالفعل، ولكنهم تجاهلوا تحديد المقصود منها. والأمر ذاته ينطبق على اسم ملك مصريم. لقد

أدت القراءة الاستشراقية للتوراة والتي تلازمت طوال القرن الماضي مع أعمال وجهود علماء الآثار للمطابقة بينها وبين المكتشفات ـ إلى تكريس قراءة مغلوطة جملة وتفصيلاً للتاريخ القديم في المنطقة، الأمر الذي خلق فوضى لا حدود لها. في هذا الإطار، واستناداً إلى التوراة وحدها، فقد قرأ التيار التوراتي في علم الآثار، وعلى منواله كتاب التاريخ، اسم عزه في صورة غزة، ورفح اليمنية في صورة رفح الفلسطينية، كذلك قرئ اسم مصريم في كل الحالات ومن دون تمييز أو تدقيق في صورة مصر.

(٢٦) قارن مع أسماء أو ألقاب ملوك اليمن في نقوش المسند ممن يحملون اسم لقب ذي بين.

(٢٧) محافظة الجوف تقع في الجزء الشمالي الشرقي من اليمن وتبلغ مساحتها نحو ٣٣, ٣٩٤٩٦ كلم مربعاً أي نحو ٢, ٧٪ من إجمالي مساحة اليمن. يحدّ المحافظة من الغرب محافظة عمران ومن الجنوب الغربي محافظة صنعاء ومن الجنوب محافظة مأرب، ومن الشرق محافظة حضرموت ومن الشمال الشرقي المملكة العربية السعودية ومن الشمال محافظة صعدة، الأمر الذي يجعل منها إحدى بوابات اليمن إلى منطقة الخليج العربي.

(٢٨) الهمداني (صفة: ٢٢١). فهذه قُرى البون: الخشب وأكانط.

(٢٩) بشير عبد الرقيب سعيد حميد -جامعة صنعاء -قسم الآثار ٢٠٠٩ رسالة جامعية.

(٣٠) وانظر كذلك دراسة إسماعيل بن على الأكوع -مجلة الأكليل العدد (٢) السنة الاولى ص ٩ـ٢٧ ١٩٨٠م.

مصادر ومراجع

الأجنبية:
١: التوراة، النص العبري תורה נביאים בתוכים כערבית ונגלית
تورة نبئيم كتوبيم بعبريت وءنكليت

2: THE SOCIETY FOR DISTRUTING HEBREW
SCRIPTURES 1Rectory Lane.Edgwarte. Middles H A87LF ENGLAND U.

٣: جام: نقوش سبئية من محرم بلقيس.

4: Sabaen Inscriptions from Mahram Bilquis(Marib),Jamme,A
CSAI: Corpus of South Arabian Inscriptions -K
5: csai.humnet.unipi.it
6: ANCIENT RECORDS OF ASSYRIA AND BABYLON IA DANIEL DAVID.
LUCKENBILL, Volume II

٧: البرايت: *The Archaeology of Palestine: From the Stone Age to Christianity (1940).*

٨: المعجم السبئي- الإنكليزي:
A.F.L. BEESTON. M.A. GHUL. W.W. MÜLLER· J. RYCKMANS

SABAIC DICTIONARY (English-French-Arabic
PUBLICATION OF THE UNIVERSITY OF SANAA, YAR

٩: معظم هذه النقوش متاحة اليوم على صفحات الإنترنت:
www.csai.humnet.unipi.it

10: ABC 5 (Jerusalem Chronicle: http://www.livius.org/sources/content/mesopotamian-chronicles-content/abc-5-jerusalem-chronicle/?

11: A.K. Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles (1975)
W MaX Muller, Egyptogical Reserches, Vol.1 (1906) pls.44-85.
University Of Chicago, Orient.Inst.publ.Vols 1,11&111 (1936-1954).

العربية:

١: المركزالوطني للمعلومات اليمن **بيانات المديريات وفقاً للتقسيم الإداري لعام ١٩٩٤.**

٢: هاري ساكز، **عظمة بابل**، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان سباتو، دمشق، مؤسسة رسلان علاء الدين ٢٠٠٢.

٣: جواد على: **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٤: مطهر علي الأرياني: **نقوش مسندية وتعليقات**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٠.

٥: بافقيه، محمد عبد القادر، الفريد بيستون، ك. روبان ومحمود الغول، **مختاراتمن النقوش اليمنية القديمة**، تونس.

٦: محمد عبد القادر بافقيه: **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.

٧: إبراهيم الصلوي، مباحث في **تاريخ اللغة العربية**، صنعاء ١٩٩٦.

٨: عبد الله على الغش: **الصراع بين الممالك اليمنية القديمة أسبابه ونتائجه القرن ٧-٢ ق.م**، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة دمشق ٢٠٠٨.

٩: الهمداني، الحسن بن أحمدبن يعقوب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق العلاّمة محمد بن علي الأكوع سلسلة خزانة التراث، دار الآفاق التابعة لدائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩.

١٠: ابن الكلبي: أبو منذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المعروف بابن الكلبي، **الأصنام**. تحقيق: أحمد زكي، الناشر، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥.

١١: الحموي: الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٩٠.

١٢: البكري: أبو عبيد بن عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، الوزير الفقيه المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨.

١٣: الزمخشري محمود بن عمر: **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق:الدكتور

إبراهيم السامرائي، طبعةمطبعة السعدون - بغداد، وطبعة مطبعة بريل ١٨٥٥.

١٤: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار الفكر القاهرة ١٩٧٩.

١٥: الطبري، **تاريخ الملوك والرسل**، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر ١٩٦٨.

١٦: عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، الناشر مؤسسةالرسالة الطبعة الثامنة وطبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٨: الآلوسي، **غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب**.

١٧: بشير عبد الرقيب سعيد حميد، دراسة ميدانية، **جبل قدس وسامع**، جامعة صنعاء قسم الآثار ٢٠٠٩ رسالة جامعية.

١٨: إسماعيل بن على الأكوع، **مجلة الإكليل** العدد (٢) السنة الأولى ١٩٨٠م.

١٩: يوسف عبد الله، القصيدة الحميرية، مجلة ريدان، العدد٥، ١٩٨٨.

المؤلف

- مفكر وباحث عراقي متخصص في المثيولوجيا (علم الأساطير) ودراسات الكتاب المقدس واللغة العبرية.

- ولد في بغداد عام ١٩٥٢.

- مقيم في هولندا منذ عام ١٩٩٦ ويحمل الجنسية الهولندية.

شارك في مؤتمرات أدبية وفكرية عربية وعالمية منذ عام ١٩٧٤، وحصل على جوائز أدبية وشهادات تقديرية رفيعة.

- فاز مؤلفه **(القدس ليست أورشليم)** بجائزة أفضل كتاب عن القدس **من جامعة القدس ٢٠١٦.**

- فاز مؤلفه **(أبطال بلا تاريخ: المثيولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية) بالجائزة الأولى للإبداع الثقافي كأفضل كتاب في الدراسات الأنثروبولوجية** - الإنسانية والمستقبلية، القاهرة ٢٠٠٦ (مؤسسة الشاعر السعودي الراحل ناصر باشراحيل).

- **حاصل على درع الرواد والمبدعين العرب** (مهرجان وملتقى الرواد والمبدعين العرب - من مؤسسات الجامعة العربية) ٢٠٠٨.

نشر عدداً من المؤلفات في القصة والرواية والأدب والتاريخ الاجتماعي والسياسي العراقي والعربي والأنثروبولوجيا.

صدر له:

١: **الشيطان والعرش** (رحلة النبي سليمان إلى اليمن) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ١٩٩٦.

٢: **إرم ذات العماد**: البحث عن الجنة - بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ١٩٩٩.

٣: **كبش المحرقة**: نموذج مجتمع القوميين العرب (طبعتان): شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠٠٠، دار الفرقد - دمشق ٢٠٠٦.

٤: **شقيقات قريش** (الأنساب والطعام في الموروث العربي) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠٠١.

٥: **يوسف والبئر** (أسطورة الوقوع في غرام الضيف) بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠٠٨.

٦: **أبطال بلا تاريخ**: المثيولوجيا الإغريقية والأسطورة العربية (طبعتان) دمشق دار قدمُس للنشر، ٢٠٠٣، والفرقد ٢٠٠٥.

٧: **قصة حب في أورشليم (غرام النبي سليمان بالإلهة العربية سلمى)** دار الفرقد للنشر، ٢٠٠٥.

٨: **الجماهيريات العنيفة ونهاية الدولة الكاريزمية** - دمشق، دار الأهالي ٢٠٠٥.

٩: **الخوذة والعمامة:** موقف المرجعيات الدينية من الاحتلال الأمريكي للعراق - دمشق، دار الفرقد ٢٠٠٦.

١٠: **ما بعد الاستشراق:** الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولنياليات البيضاء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٧.

١١: **فلسطين المتخيّلة:** أرض التوراة في اليمن القديم (مجلدان - خمسة كتب) دمشق، دار الفكر ٢٠٠٧.

١٢: **الأسطورة والسياسة** (بالاشتراك مع الباحث الراحل **تركي علي الربيعو**) منشورات دار الفكر - دمشق ٢٠٠٧.

١٣: **العسل والدم:** من عنف الدولة على دولة العنف، دار الفرقد، دمشق ٢٠٠٨.

١٤: **من مجتمع القهوة إلى مجتمع الشاي:** دولة الكانتون القبلي، دمشق، مركز الغد ٢٠٠٩.

١٥: **المسيح العربي:** النصرانية في جزيرة العرب والصراع البيزنطي - الفارسي - بيروت ٢٠٠٩ شركة رياض الريس للكتب والنشر.

١٦: **القدس ليست أورشليم**: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، بيروت، شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠١٠.

١٧: **الحرب والطائفية** (بالاشتراك مع د. **وجيه كوثراني**) دار الفكر - دمشق ٢٠١٠.

١٨: **غزال الكعبة الذهبي**: النظام القرابي في الإسلام، دار جداول - بيروت ٢٠١١.

١٩: **حقيقة السبي البابلي**: الحملات الآشورية على الجزيرة العربية واليمن، دار جداول - بيروت ٢٠١١.

٢٠: **المناحة العظيمة**: الجذور التاريخية لطقوس البكاء في الجاهلية والإسلام، دار جداول، بيروت ٢٠١١.

٢١: **إساف ونائلة**: أسطورة الحب الأبدي في الجاهلية، دار جداول - بيروت ٢٠١٢.

٢٢: **المراثي الضائعة** (مساهمة جديدة في تصحيح تاريخ فلسطين) دار جداول - بيروت ٢٠١٢.

٢٣: **في ثياب الإعرابي: الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية** - منشورات المجلة العربية - الرياض ٢٠١٢.

٢٤: **بنو إسرائيل وموسى لم يخرجوا من مصر** - شركة رياض الريس للكتب والنشر ٢٠١٦.

فهرس الأعلام

ج

ح

د

ر

س

ش

فهرس الأماكن

ف

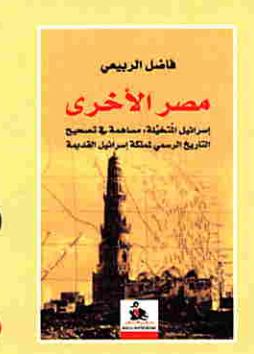
ق

ك

ل

م





فاضل الربيعي

مصر الأخرى

في هذا الكتاب - الثاني من المجلد الأول: إسرائيل المُتَخيّلة - يقدم المفكر العراقي فاضل الربيعي رؤية مثيرة وغير مسبوقة عن (مصر الأخرى) التي وردت في التوراة، ويعرض ويحلل مجموعة نقوش نادرة آشورية ومسندية، ورد فيها اسم مصر (التوراتية) التي ظهرت كمملكة عظيمة في منطقة الجوف اليمني، وهو ينفي بقوة أن يكون المقصود منها مصر البلد العربي؟ ويشرح الربيعي في سياق تحليل النقوش البابلية- الآشورية والمسندية (اليمنية) التي يعود بعضها إلى ٨٥٠ ق.م، كيف أن مملكة مصر- مصرن ، قادت تجارة العالم القديم انطلاقاً من الجوف اليمني، وسواحل حجة والحديدة، حين فرضت سيطرتها على طرق التجارة البرية والبحرية، وأن البواعث الحقيقية للصراع الذي دار على أرضها، وخاضه البابليون والآشوريون، تتصل بمسألة نهب كنوز هذه المملكة من الذهب والمعادن والأحجار الكريمة وتأمين البخور للمعابد، وكانت هذه ثروة تضاهي اليوم (ثروة النفط). وبذلك ينقل الربيعي النقاش حول مسرح القصص التوراتية من (الجغرافية) إلى التاريخ السبأي- الحميري في اليمن. هذا الكتاب أخيراً، سيضع حدّاً للنقاش حول نظرية الربيعي، عن التماثل أو التشابه في أسماء الأماكن والجماعات القبلية، وذلك بنقل هذا النقاش إلى التاريخ. لم تعد المسالة مسالة تشابه في الأسماء؛ بل مسألة تاريخ قرئ بطريقة استشراقية تلاعبت بوقائعه.


ISBN 978-9953-21-661-4

